

حنان بنت خالد محمد الخضيرى

العقيلات فى سورىة

دورهم الاقتصادى والاجتماعى والسياسى والعسكرى

1256 - 1371هـ / 1840 - 1950م

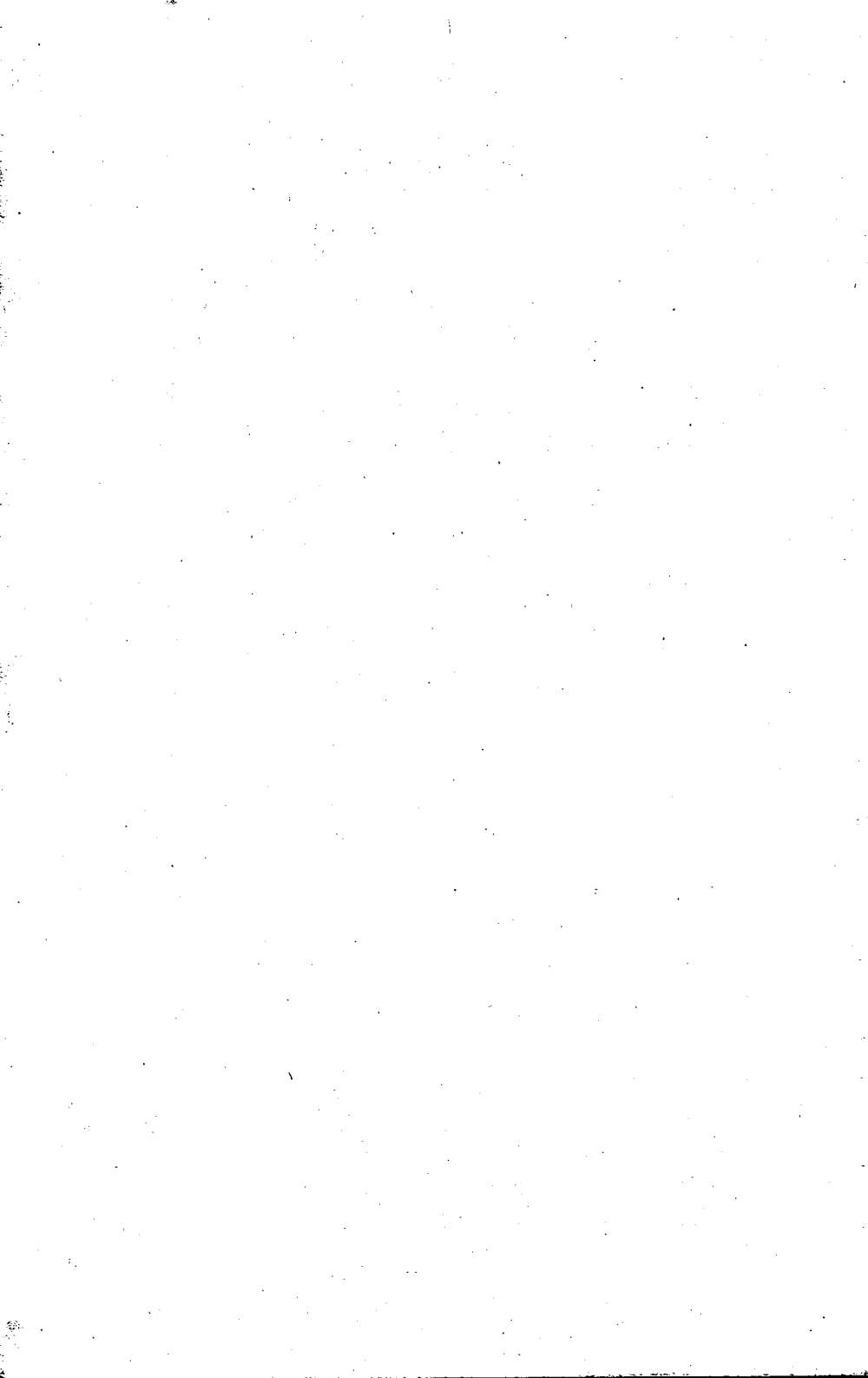
مسح شهاب الدمشقى



العقليات في سورية

دورهم الاقتصادي والاجتماعي والسياسي والعسكري

1256 - 1371 هـ / 1840 - 1950 م



حنان بنت خالد محمد الخضيرى

العقيلات فى سورىة

دورهم الاقصادى والاجتماعى والسياسى والعسكرى

1256 - 1371هـ / 1840 - 1950م

الكتاب: العقيلات في سورية
المؤلفة: حنان بنت خالد محمد الخضيرى

جداول

للنشر والترجمة والتوزيع
رأس بيروت - شارع كراكاس - بناية البركة - الطابق الأول
هاتف: 00961 1 746638 - فاكس: 00961 1 746637
ص.ب: 5558 - 13 شوران - بيروت - لبنان
e-mail: d.jadawel@gmail.com
www.jadawel.net

الطبعة الأولى

كانون الثاني / يناير 2017
ISBN 978-614-418-347-2

جميع الحقوق محفوظة © جداول للنشر والترجمة والتوزيع

لا يجوز نسخ أو استعمال أي جزء من الكتاب في أي شكل من الأشكال أو بأية وسيلة من الوسائل سواء التصويرية أم الإلكترونية أم الميكانيكية، بما في ذلك النسخ الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو سواها وحفظ المعلومات واسترجاعها دون إذن خطي من الناشر.

طبع في لبنان

Copyright © Jadawel S.A.R.L.
Caracas Str. - Al-Barakah Bldg.
P.O.Box: 5558-13 Shouran
Beirut - Lebanon
First Published 2017 Beirut
تصميم الغلاف: محمد ج. إبراهيم

المحتويات

9.....	المقدمة.....
17.....	التمهيد: (لمحة تاريخية عن العقيلات).....
17.....	التسمية.....
29.....	أصولهم.....
38.....	البداية والنشأة.....
46.....	الجماميل، الرحيلية، الحدرات.....
53.....	الفصل الأول: (أصل العقيلات في سورية - التاريخ والانتشار).....
53.....	شمال شبه الجزيرة العربية.....
56.....	الحدود الحديثة في دول شبه الجزيرة العربية.....
60.....	عوامل الهجرة وأسباب النزوح.....
61.....	(العامل الاقتصادي - العامل الأمني والسياسي).....
73.....	نجد بعد انهيار الدولة السعودية الأولى.....
76.....	حكم الإمام فيصل بن تركي (المرحلة الأولى).....
80.....	أثر معاهدة لندن على الأوضاع في نجد 1256هـ / 1840م.....
87.....	العقيلات في الدولة السعودية الثالثة.....
95.....	العقيلات في سورية.....

الرحلة والانتشار 111

موارد المياه 114

الفصل الثاني: (الأدوار الاقتصادية والاجتماعية والعسكرية

والسياسية للعقيلات) 127

الأدوار الاقتصادية 127

دور العقيلات 128

تجارة الإبل 129

طريقة التعامل التجاري للعقيلات (البضاعة والمضاربة) 130

تجارة الخيل 136

التجارة العامة - التصدير والاستيراد 138

نقل الحجاج 146

أعمال مختلفة (مهام البريد، التعاملات النقدية) 151

الضرائب والرسوم 162

الأدوار الاجتماعية (تنظيمات العقيلات ، إقامة العقيلات) 163

الأدوار العسكرية والسياسية 171

المعارك التي شاركت بها العقيلات (الصريف، الفيضة،

البكيرية، الشنانه وقصر ابن عقيل ، روضة مهنا) 174

دور العقيلات العسكري في سورية 181

(كفاح الميدان، معركة ميسلون) 182

العقيلات والتمثيل الخارجي 185

191	الفصل الثالث: (ثقافة العقيلات وخصائصهم)
191	المظاهر الثقافية في نجد عام 1256هـ / 1840م
198	لمحة عن الحياة الثقافية في سورية
204	المعرفة عند العقيلات
212	أبناء العقيلات في المجتمع
214	خصائص العقيلات (الشجاعة، الكرم، الأمانة، معرفة الدروب)
221	الخاتمة
227	الملاحق
229	ملحق (1) مقابلة مع رجلين من العقيلات من أسرة النجدي
	ملحق (2) مذكرات رحلة ناصر عبد العزيز الباشا العنزي
251	إلى سورية
267	ملحق (3) قصيدة الخلوج
271	ملحق (4) أسرة البسام
277	ملحق (5) وثائق للعقيلات
293	المصادر والمراجع



المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم، وآله وصحبه أجمعين....

شكّل العقيلات الذين انطلقوا من نجد في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين/ الثامن عشر والتاسع عشر للميلاد، إلى منطقة الهلال الخصيب في العراق والشام وفلسطين وإلى مصر والسودان، جانباً هاماً في الحياة الاقتصادية لمنطقة نجد، كما كان لهم دورٌ سياسيٌّ وعسكريٌّ في أحداث المنطقة.

لم ينحدر العقيلات من أسرة أو قبيلة أو منطقة واحدة، وإنما كانوا تجمعاً لرجال تجار ينحدرون من أسر مختلفة جمعتهم هذه الهجرة في طلب الرزق وانضوا تحت مسمى «العقيلات»، تجمعهم رفقة الطريق والمتاجرة، حتى حققوا العزة والثروة في مهاجرهم أو في بلدانهم.

وتعدّ نجد ببلداتها المتعددة منطلق هؤلاء التجار المغامرين الذين اتخذوا من موارد بلادهم الاقتصادية مثل الإبل والخيول، وسيلة للتجارة، وساعدهم على ذلك وجود أرض منبسطة أمامهم بلا عوائق طبيعية تمنعهم، أو عوائق سياسية أو سيادية، أو حواجز جمركية تمنع انتقالهم.

لقد ساعد العقيلات في ترحالهم عددٌ من العوامل جعلت منهم أهلاً للنشاط التجاري في المنطقة، منها معرفتهم بالطرق السالكة والقبائل

المقيمة فيها وأعرافها ومواردها، وكذلك مثابرتهم وجلدهم وحسن تنظيمهم لإدارة القافلة. ولم يقتصر دور العقيلات على الجانب التجاري فحسب، بل كان لهم دور سياسي وعسكري سواء في نجد، أو في الشام، ومن ذلك مشاركتهم في معركة ميسلون 1338هـ/ 1920م، ومقاومتهم للاحتلال الفرنسي إلى جانب أشقائهم أبناء سورية.

إن دراسة هذا الموضوع غاية في الأهمية، مع أن عددًا من الباحثين قد تناول تاريخ هذه الفئة ضمن السياق التاريخي لمنطقة نجد. وكان التوفيق حليف كثير من هذه الدراسات، إلا أن أغلبها كان منصبًا على عقيلات العراق أو مصر، ولم يحظ عقيلات سورية بدراسة موثقة ومستفيضة من هذه الدراسات مع أن كل الطرق تربط العقيلات بهذه المنطقة، كما يستوطنها أو يزورها عدد كبير من هؤلاء المهاجرين التجار.

ويزيد من أهمية دراسة هذا الموضوع الحاجة الملحة إلى دراسة موثقة بعد توفر عدد من المؤلفات أو المعلومات التي تعتمد على المشافهة في نقل الأخبار. وإن دراسة تاريخ العقيلات يمثل مرآة تعكس بعضًا من أحوال المجتمع النجدي من الناحية الاقتصادية والسياسية والإدارية والاجتماعية خلال تلك الفترة.

ولا بُد من الإشارة إلى أن نشاط العقيلات قد تزايد في سورية منذ معاهدة لندن عام 1256هـ/ 1840م، والتي أخرجت محمد علي باشا من سورية والجزيرة العربية، إضافة إلى أنه تاريخ بداية استقرار الأحوال في نجد، الذي بدأ مع استلام الإمام فيصل بن تركي زمام الحكم في نجد للمرة الثانية.

أما تحديد آخر رحلة قام بها العقيلات فأوثق المصادر تحددتها بعام 1371هـ/ 1951م.

شمل البحث تمهيداً وثلاثة فصول وملاحق: تناول التمهيد لمحة تاريخية عن العقيلات وتسميتهم، والأماكن التي انطلقوا منها، أو الأماكن التي رحلوا إليها.

وبحث الفصل الأول عوامل الهجرة وأسباب النزوح، سواء كانت هذه العوامل اقتصادية أو سياسية أو أمنية، وتوضيح أماكن وجود العقيلات في سورية مع ذكر الأسباب التي أدت إلى الرحلات النجدية إلى سورية. كما تحدّث هذا الفصل عن الطرق التي سلكها العقيلات.

وعني الفصل الثاني بالحديث عن الأدوار الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والعسكرية.

وكُرس الفصل الثالث للحديث عن الأمور الثقافية للعقيلات، والخصائص التي اتسم بها هؤلاء المهاجرون التجار. تلا ذلك ملاحق البحث (مقابلة، مذكرات، وثائق وصور).

واجهت الباحثة صعوبات عدة كان في مقدمها قلّة المعلومات المكتوبة عن جماعة العقيلات وعن الفترة الزمنية التي عاشوها في سورية، إضافة لتعذر الوصول إلى سورية في ظل الأحداث الجارية حالياً (2011-2016م) للحصول على معلومات هامة تخص هذه الجماعة.

اعتمدت الباحثة في هذه الدراسة على مجموعة من المصادر والمراجع العربية، أما المصادر العربية فقسم منها محلي والقسم الآخر تواريخ عامة، ويأتي كتاب ابن بشر «عنوان المجد في تاريخ نجد» في مقدمة المصادر المعاصرة للأحداث، هذا الكتاب جامعٌ لوقائع تاريخ الدولة السعودية الأولى والثانية حتى سنة 1267هـ سلسلة على ترتيب السنين، حيث توقف ابن بشر عن تدوين التاريخ، مع أنه بقي حياً إلى سنة 1290هـ إذ

توفي في تاسع جمادى الآخرة منها. ثم يأتي كتاب ابن عيسى الموسوم «تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ووفيات بعض الأعيان وأنسابهم وبناء بعض البلدان من 700هـ إلى 1340هـ». وقد جاء هذا الكتاب جامعاً لخلاصة ما في تاريخ ابن بشر من (السوابق) والوفيات والحوادث التي لا تتعلق بالفتن والحروب إلا نادراً؛ ومما يؤخذ على ابن عيسى أنه أغفل ذكر ابن بشر مع أنه كان أهم مصدر من مصادره في كتابه هذا، وكذلك فعل مع تاريخ محمد الفاخري (1186 - 1277هـ) ومن الجدير بالذكر أن ابن بشر أغفل ذكر تاريخ الشيخ ابن غنام، ولم يشر إلى تعويله على كتابه. يلحظ المتتبع لهذه المصادر أن كتابات هؤلاء المؤرخين الذين عاصروا الدولتين السعودية الأولى والثانية، لم تهتم كثيراً بالمواضيع الاقتصادية والاجتماعية، وبالتالي لم يكن هناك ذكر للعقيلات إلا بإشارات يسيرة لا تفي بالغرض ولا توضح الصورة التي كانت عليها طبيعة هذه الجماعة.

أما بالنسبة للمصادر الحديثة فتأتي مؤلفات إبراهيم المسلم «العقيلات»، «رحلتي مع العقيلات»، «رجال من القصيم» في مقدمة الكتب وذلك لأن أغلب ما كُتب محلياً عن العقيلات نهل من هذه المؤلفات فكانوا عالة عليها.

يأتي في الدرجة الثانية كتاب عبد العزيز عبد الغني إبراهيم «نجديون وراء الحدود» حيث شكل هذا الكتاب مصدرًا ذا نكهة خاصة برجوعه إلى مصادر ومراجع أجنبية تعذر الرجوع إلى أغلبها لتوثيق ما سجله المؤلف بين دفتي هذا الكتاب.

أما كتاب «عقيلات الجبل» لمؤلفه عبد الرحمن بن زيد السويداء، فيبدو من عنوانه أنه مختص بعقيلات جبل شمر أو حائل، بينما هو

ليس كذلك، فقد شمل تاريخ العقيلات بشكل عام، واستند في كثير من معلوماته على المسلم، إلا أن فوائد هذا الكتاب كثيرة نظرًا لرحلة المؤلف إلى سورية ومقابلة بعض التجديين أو العقيلات هناك في عدد من البلدات السورية التي كانت موطنًا لهم.

ويأتي كتاب خليل إبراهيم الرواف «صفحات مطوية من تاريخنا العربي الحديث» تاليًا في الأهمية حيث أفرد المؤلف قسمًا لعقيلات دمشق وأوضاع معيشتهم. ومن أهم المآخذ على هذا الكتاب القيم أنه لم يسجل تاريخ السنوات التي مرت خلال الذكريات، وتركها قائمة عامة.

وثمة كتاب آخر له أهمية خاصة كونه ذكريات لأحد الرحيلية عنوانه «رحيلية عنيزة في ذاكرة الشيخ علي العبيد الله»، حيث سجل فيه المؤلف مهام التجار المعروفين بالرحيلية أو (أرحيل).

وثمة مصدر مهم تم الرجوع إليه في تراجم الرجال وهو كتاب محمد ابن ناصر العبودي «معجم أسر بريدة» الذي أفاد بترجمة العقيلات إضافة لتدوين الأحداث التاريخية التي مروا بها وأسرها، كذلك الأحداث التي مرت بها بلاد نجد فكان بحق خير مصدر، إضافة إلى مؤلفات العبودي المعجمية الأخرى.

أما المصادر الأجنبية فقد احتلت مؤلفات الرحالة الأوروبيين المرتبة الأولى من حيث الأهمية لكونها من المصادر الأساسية عن دراسة بعض حقب تاريخ الجزيرة العربية نظرًا لندرة المادة التاريخية لدى مؤرخي الجزيرة الأوائل، وتأتي في مقدمة هذه المؤلفات كتابات جون لويس بوكهارت، إضافة إلى كتابي رحلة آن بلنت، حيث تحدث أحدهما عن بدو الفرات، ووصف الثاني رحلة آن وزوجها إلى نجد وحائل. ثم كتاب الرحالة تشارلز داوتي «ترحال في صحراء الجزيرة العربية» ومؤلفات

ألويس موزل. كما أن هناك بعض كتب لرحالة آخرين أفدت منها بتعريفات صغيرة أو كبيرة تعتبر توثيقاً للمعلومات. ومهما كانت الحاجة لكتب هؤلاء الرحالة فيجب أن يتعامل معها الباحث بحرص وحذر.

إضافة إلى كتب المصادر والمراجع فقد تمكنت من الإفادة من مقابلة اثنين من أبناء عقيلات سورية ينتسبان إلى «أسرة النجيدي» (عبد العزيز وأخيه محمد إبراهيم النجيدي) أوضحالي من خلالها العلاقات الاجتماعية بين العقيلات والفوائد الاقتصادية أو الثقافية التي جناها أحفاد العقيلات في مهاجرهم. إضافة لإفادتي من أحد أفراد «أسرة البسام» (بدر البسام) بوثائق توضح أماكن وجودهم في سورية ووجود حارة سُميت باسمهم في دمشق. كما أفدت من بعض العقيلات من أسرة المالك العنزى (رياض المالك العنزى) بمذكرات عن رحلات الأسرة بقوافل العقيلات سنة 1294هـ، إضافة الى وثائق عبارة عن صور لجوازات سفر أو رسائل لم يسبق نشرها؛ وسألحق كل ذلك في ملاحق هذه الدراسة.

مشكلة البحث وأهدافه

تكمن مشكلة البحث - حسب علمي - في عدم وجود دراسات علمية دقيقة تبرز دور العقيلات في سورية، وهي الجماعة التي ساهمت مساهمة فعالة في المجال الاقتصادي والسياسي والعسكري والفكري في المنطقة.

كما أن قلة ما كُتب عنهم يعطي موضوع الدراسة أهمية خاصة، ويجعل من العسير الحصول على مصادر مكتوبة عن تاريخهم، فكل ما وصلنا عنهم جاء مشافهة من بعضهم في العصر الحديث.

وقبل أن أختتم هذه المقدمة أتوجه بشكري لله سبحانه وتعالى على ما منَّ عليّ من التوفيق، كما أتوجه بشكري لوالدتي وأسرتي لتشجيعهم لي،

وشكري لوالدي لما أسداه لي من نصيح ومراجعة للبحث، وجهوده في تأمين المصادر والمراجع والمعلومات الهامة، فأسأل الله أن يجزيه خير الجزاء.

وأتوجه بخالص شكري وتقديري وعظيم امتناني لأستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور عبد الله بن محمد المطوع الذي شرفت برعايته لهذا البحث، وأفدت من علمه الغزير بتوجيهاته الصائبة وتقويم أخطاء البحث أثناء مراجعته. وشكري للأستاذ الدكتور عويضة بن متيريك الجهني لما أسداه من تصويبات ساهمت في تقويم وإثراء البحث. كما أتقدم بالشكر إلى مرشدي الفاضل في مرحلة اختيار الموضوع، الدكتور محمد بن عبد الله الفريخ. والشكر موصول لكل من أعانني أثناء عملي في هذا البحث، وأخص بالشكر الدكتور علي بن عبد العزيز الخضير، لإفادتي ببعض المعلومات الهامة. والأستاذ الدكتور محمد بن سليمان الخضير على ما أسداه لي من نصيح وتوجيه. والشكر للأستاذ ناصر ابن فارس الخضير، لإعانتني بعدد من المصادر والمراجع النادرة. كما أشكر كل من عبد العزيز ومحمد إبراهيم النجدي، وخالد الرميح، وبدر ومحمد فيصل البسام، ورياض المالك العنزي، لما قدموه لي من وثائق ومعلومات عن أسرهم.

والشكر لدارة الملك عبد العزيز على ما توفر لديها من مصادر ومراجع هامة عن تراث المملكة.

وشكري وتقديري إلى أساتذتي وأستاذاتي وزملائي وزميلاتي منسوبي قسم التاريخ متمثل بلجنة الدراسات العليا بجامعة الملك سعود.

وأسأل الله العلي القدير أن يوفقنا لما يحب ويرضى، وأن يجنبنا الزلل، وصلى الله على نبيِّنا محمد وآله وصحبه أجمعين.



التمهيد

لمحة تاريخية عن العقيلات

1- التسمية :

يكتنف الغموض أصل تسمية رجال القوافل النجديين بالعقيلات، وقد تباينت الآراء في سبب هذه التسمية ومنشؤها، أو متى بدأت، فلا يوجد نص تاريخي محقق عن أصل التسمية، إنما هي ظنون واجتهادات، وقد ثبت بالاجتهاد الراجح بأن (العقيلات) جمع عامي وليس جمعاً نحوياً فصيحاً⁽¹⁾. كما ثبت أن هذه التسمية أطلقت حصراً على النجديين الذين شدوا عصا الترحال إلى العراق والشام ومصر، أما النجديون الذين رحلوا إلى بلاد أخرى للتجارة أو لأسباب أخرى فلم يُطلق عليهم هذا اللقب⁽²⁾، ولهذا الاسم (العقيلات) ومفرده (عقيلي) ويُلفظ (عكيلي) وجمع الجمع منه (عقيل) بسكون العين والياء، عدة آراء:

الرأي الأول: أنهم سُمُّوا بذلك نسبة للعِقال⁽³⁾ الذي يعصبون به

(1) الظاهري، أبو عبد الرحمن بن عقيل، مسائل من تاريخ الجزيرة العربية، دار الأصاله، ط4، الرياض، 1415هـ/1994م، ص 213.

(2) يطلق على تجارة الإبل مع الخليج اسم ارحيل، وعلى التجارة مع الشام وفلسطين ومصر اسم عقيل. (الوليبي، عبدالله ابن ناصر، الشماسية، ط1، الرياض، 1410هـ ص 111).

(3) العِقال: بكسر العين، جبل مصنوع من وبر البعير يُحيط الكوفية بدلاً من العمامة؛ وقد صار العِقال لباساً شائعاً لدى العرب، وهو في شبه الجزيرة العربية عبارة عن ثلاثة حبال مجدولة =

رؤوسهم والذي ميزهم عن غيرهم من جنود العراق الأتراك، فعندما استقر النجديون المهاجرون في العراق، انخرط بعضهم في الجيش العثماني العامل في بغداد وكان زيهم الغُترة⁽¹⁾ والعقال، فأطلق عليهم اسم (عقيل) بسبب لبسهم للعقال⁽²⁾.

يشير ابن بشر المتوفى سنة (1290هـ/ 1873م) إلى عمل العقيلات مع جنود العراق في حوادث عام 1202هـ بأن سليمان باشا والي بغداد سار في تلك السنة لقتال المتفق وكان معه «العساكر البغدادية من الروم وعقيل وغيرهم»⁽³⁾.

ويتحدث روسو (Louis Jacques Rousseau) (1737 - 1831م) عن العقيل خلال رحلته التي قام بها عام 1808م من بغداد إلى حلب فيقول: «يُشكّل هؤلاء العرب قبيلةً، أفرادها رجال قتال وتجارة في الوقت نفسه وعلى الرغم من أنها ليست قبيلةً كبيرة العدد أو من القبائل النobile لكنها تتمتع بموقع متقدم في ولاية بغداد وبثقة تجار هذه المدينة، وقد اكتسبت كل ذلك من خلال نشاطها وشجاعتها إضافة إلى أمانتها، وكان رجال هذه القبيلة بما عرفوا من نشاط وحيوية سنداً وحماية للباشوات المعيّنين لبغداد

= من الصوف تُعقد إلى الخلف تثبت به الكوفية على الرأس. (إبراهيم، رجب عبد الجواد، المعجم العربي لأسماء الملابس، القاهرة، ط1، 1423هـ/ 2002م، ص 331).
(1) الغُترة: يضم الغين وسكون التاء وفتح الراء، كلمة فارسية مُعزّية، ومعناها لفاع أو وشاح من النسيج الرقيق يُلف حول الرأس، وهي غلالة رقيقة من القطن الأبيض، وقد تتخذ من الصوف الفاخر باللوان شتى، وقد تصنع منقطة ببقع ملونة. (العبودي، محمد بن ناصر، معجم الملابس في المأثور الشعبي، الرياض، دار الثلوثية، 1434هـ/ 2013م، ص 386).

(2) إبراهيم، عبد العزيز عبد الغني، «نجديون وراء الحدود»، العقيلات ودورهم في علاقة نجد العسكرية والاقتصادية بالعراق والشام ومصر، بيروت، دار الساقى، 1991م، ص 26.

(3) ابن بشر، عثمان بن عبد الله، عنوان المجد في تاريخ نجد، حققه وعلق عليه: عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله آل الشيخ، مطبوعات دار الملك عبد العزيز، ط4، 1402هـ/ 1982م، ج1، ص 160.

من قبل الباب العالي العثماني ضد تدخلات الإنكشاريين المتعجرفين ورغباتهم الجامحة⁽¹⁾، أما رؤساؤهم - العقيل - فيغطون هاماتهم على الطريقة التركية، لكنهم عوض غطاء الرأس الأحمر (الطربوش)⁽²⁾ الذي يلقون العمامة حوله على عادة الترك، فهو لاء يستعملون الكوفية⁽³⁾ العربية (الغتر) ذات اللونين الأحمر والأصفر التي يلفها العقال على الرأس وتهدل نهايتها على الكتفين⁽⁴⁾.

وإيضاح ذلك أن الجند من الأتراك كانوا يلبسون غطاء للرأس يسمى (القلباق)⁽⁵⁾ وهو مصنوع من جلود بعض الحيوانات وهو أشبه بالطربوش، أما زي (العقيلي) العامل معهم بالجندية فكان يشبه زي الأتراك مع فارق واحد هو أنه لا يضع على رأسه طربوشاً مثلهم بل يعصبها بمنديل يسمى الكوفية تسدل أطرافه على كاهله، ويميل لون الكوفية إلى الأصفر

(1) روسو، لوي جاك، رحلة إلى الجزيرة العربية سنة 1808م، ترجمة الأب بطرس حداد، الدار العربية للموسوعات بيروت، ط1، 1430هـ/2010م، ص24. (لم يزر روسو نجد والمقصود بعنوان الكتاب جزيرة ما بين النهرين دجلة والفرات والمعروفة أيضاً باسم الجزيرة، وقد جاء تحليل هذا المعنى عند المؤلف ص23).

(2) الطربوش: بفتح فسكون فضم، كلمة فارسية معربة، ومعناها غطاء الرأس، وشاع استعماله مع بداية العصر الحديث في بلاد الشام ومصر والمغرب، يصنع من الجوخ الأحمر ومزود في ذروته بقنزعة من الحرير الأزرق. (إبراهيم، رجب عبد الجواد، المعجم العربي لأسماء الملابس، ص299).

(3) الكوفية: ما يُلبس على الرأس؛ سُميت بذلك لاستدارتها، مأخوذة من التكويف؛ وهو الاستدارة، والمرجح أنها منسوبة إلى مدينة الكوفة، لأنها كانت تُصنع فيها منذ العصر العباسي، والكوفية في بلاد الشام والعراق وشبه الجزيرة العربية نسيج من الحرير أو نحوه تُلبس على الرأس تحت العقال (المرجع السابق، ص443).

(4) روسو، رحلة إلى الجزيرة العربية سنة 1808، ص72.

(5) القلباق: بفتح فسكون، كلمة تركية معربة ومعناها قلنسوة الأتراك، يتخذ من الوبر أو جلد الخروف بصوفه، له شكل مذهب أو اسطواني، كان غطاء رأس للجركس ولبسه الإغريق والأرمن. (إبراهيم، رجب عبد الجواد، المعجم العربي لأسماء الملابس، ص401).

أو الأحمر⁽¹⁾. وليس خافياً بأن تسمية الجنود بزيّهم أمرٌ واردٌ في الدولة العثمانية خاصة في ما يخص الجنود المحليين لكل منطقة. وأطلق على هؤلاء الجنود اسم (العقيلات) أو عرب عقيل نسبة إلى العقال الذي يعصبون به رؤوسهم تمييزاً عن غيرهم من الجنود. ومن أوصاف العقيلات «سُمر العصاب»⁽²⁾، والعصاب هي عقلمهم السود، قال الشاعر في وصفهم:

مالقينا غير سمر العصاب يوم جاء العسكر بزمارها
لابتي من دون شقر الذوايب بالجريرة جدّوا ثارها

ويدعم أصحاب هذا الرأي بقولهم إن العقال كان أقل انتشاراً في نجد من المناطق التي كانت تتاجر مع العراق مباشرة⁽³⁾ أو تتعامل معه في الجندية والحراسة، وعندما زار الرحالة داوتي القصيم عام 1295هـ/ 1878م وصف زيّ أهلها، ولم يذكر لبسهم للعقال وقال «هؤلاء الرجال القصمان يضعون على رؤوسهم الغترة البغدادية - غطاء الرأس - المصنوعة من الحرير والتي تتدلى على رؤوسهم وأكتافهم، ويلبسون تحت هذه الغترة الطربوش التركي أحمر اللون»⁽⁴⁾.

ويؤكد بلجريف (William Gifford Palgrave) 1241 - 1305هـ/ 1826

(1) إبراهيم، عبد العزيز عبد الغني، نجديون وراء الحدود، ص 26.

(2) الطويان، عبد الله بن زايد، الحاوي لأشهر الألقاب والعزاي، توزيع مؤسسة الجريسي، الرياض، 1422هـ، ج 1، ص 92.

(3) داوتي، تشارلز، ترحال في صحراء الجزيرة العربية، ترجمة: محمد حسن، مراجعة وتقديم: جمال زكريا قاسم، القاهرة، نشر المجلس الأعلى للثقافة، الطبعة الأولى، 2005م، ج 2 مجلد 2، ص 26.

(4) السابق، ج 2 مجلد 1، ص 447.

- 1888م) الذي زار المنطقة عام 1278هـ/ 1862م بأن ارتداء العقال أمر تميز به سكان شمال الجزيرة العربية ثم يأخذ في التلاشي كلما اقتربنا من وسط الجزيرة، ويضيف هذا الرحالة بأن منطقة شرق الجزيرة العربية لا تعرف العقال⁽¹⁾.

ونظرًا لما يتمتع به هؤلاء الرجال النجديون من بسالة وإباء ورجولة، أصبح العقال فخرًا لمن يلبسه لدلالته على الجندية والفروسية ومقارعة الخطوب والجرأة، وروح المغامرة، وسمة على تلك الفئة من الرجال الأشداء، وازدادت تلك المعاني حتى أصبح العقال فخرًا للزّي العربي.

ووصف العديد من الرحّالة الزّي السائد لعرب الجزيرة خلال تلك الفترة كما وصفوا العقال، من ذلك ما تحدث به بيرتون (Richard F. Burton) أثناء رحلته إلى مصر والحجاز في غضون عام 1269هـ/ 1853م حيث يقول: «فرأس الشيخ العربي ذات الشعر الطويل أو الحليقة قد علتها طاقية بيضاء من قطن يعلوها (أي الطاقية) كوفية من حرير وقطن مختلطين، لونها - عمومًا - أحمر باهت، ويثبت الكوفية على الرأس عقالًا يُعقد من الخلف، والعقال عبارة عن ثلاثة حبال مجدولة من الصوف تعقد من الخلف، وتتدلى الكوفية لتظلّل على العينين، وتعطي بهيئتها منظرًا مربعًا للابسها»⁽²⁾. كما تحدثت بلنت عن الزّي العربي آنذاك فتقول «كان هندامه - الأمير محمد بن عبد الله بن رشيد - يتألف من عدة جُبيب من الحرير الهندي المقصّب وعباءة سوداء موشاة بالذهب، وعلى

(1) بلجريف، وليم جيفورد، وسط الجزيرة العربية وشرقها (1862 - 1863م)، ترجمة صبري محمد حسن، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، 2001م، ج1، ص 348.

(2) بيرتون، رتشارد. ف، رحلة بيرتون إلى مصر والحجاز، ترجمة وتعليق عبد الرحمن عبد الله الشيخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1994م، ص 192.

الأقل ثلاث كَفَيَّات الواحدة فوق الأخرى، من عمل بغداد، وكان عقاله أيضًا من الطراز البغدادي - كنت حتى الآن أظنه من لباس النساء - وهو مجدل بخيطان من الحرير والذهب، يوضع في أعلى الجبين ليدو كالتاج»⁽¹⁾.

ولعل الرأي القائل بنسبة العقيلات إلى لبسهم للعقال، لا يبدو صائبًا لأنه حتى الربع الأخير من القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي، لم يكن أهل القصيم يهتمون بلبس العقال، وكان أهل بريدة يلبسون عُثْرهم بدون العقال⁽²⁾.

الرأي الثاني: يرى أن التسمية لحِقت بهم من بني عُقيل⁽³⁾ الذين اشتهروا منذ القديم بتجارة الخيل والإبل، ودخل العقيلات تحت هذا الاسم بنسبة المهنة نفسها⁽⁴⁾، فأصبح الاسم علمً على تجار الإبل والغنم في القرن الرابع عشر الهجري⁽⁵⁾، حيث نشطت التجارة في هذا القرن بين المدن النجدية ومدن الشام ومصر، وكان هؤلاء التجار يشترون الإبل من مدينة بريدة ويذهبون بها إلى الشام ومصر في رحلات طويلة ومضنية⁽⁶⁾.

(1) بلنت، الليدي آن، رحلة إلى نجد مهد العشائر العربية، ترجمة وتعليق: أحمد إيش، دار الثقافة والنشر، دمشق، ط1، 2005م، ص 249.

(2) بلجريف، وسط الجزيرة العربية وشرقها، ص 348.

(3) عُقيل: قبيلة مضرية، من القبائل القيسية المشهورة في الجاهلية والإسلام. وعُقيل تصغير عَقْل أو هو تصغير أَغْل أو عقال أو عاقل. والأعقل من الرجال من أصابه العقل وهو دنو الركبتين، يُقال رجل أعقل وامرأة عقلاء. (ابن دريد، أبي بكر محمد، الاشتقاق، تحقيق عبد السلام هارون، بيروت، دار الجبل، ط1، 1411هـ/ 1991م، ص 297).

(4) السويداء، عبد الرحمن بن زيد، عقيلات الجبل، دار الأندلس للنشر والتوزيع، حائل، ط2، 1427هـ/ 2006م، ص 19.

(5) الهويميل، حسن بن فهد، بريدة، الرئاسة العامة لرعاية الشباب، ط2، 1408هـ/ 1988م ص 101.

(6) الفيصل، شعراء بني عقيل وشعرهم، ص 24.

ورث (العقيلات) عن قبيلة عُقيل مهنة التجارة وحراسة وحماية القوافل، ولهذا عرفهم الآخرون بهذا الاسم، فقد كان أفراد هذه القبيلة يرافقون القوافل لحمايتها لما اتصف به هؤلاء الأفراد من البأس والشدة، فأطلق اسم البعض على الكل لإخافة قطاع الطرق وترهيبهم من الهجوم على القافلة، وأصبح الاسم سمة على القافلة وأفرادها في حلهم وترحالهم. قامت لبني عُقيل إمارات ودويلات في بلاد العراق والشام والبحرين⁽¹⁾، اختلفت في امتداد نفوذها وفي طول عمرها، وكانت آخر الدويلات العقيلية دولة آل أجود الجبرية العقيلية، وآخر ملوكهم منيع بن سالم الذي لجأ إلى العراق في نهاية الألف، أي آخر القرن العاشر الهجري، حيث حل القسم الأكبر من بني جبر مع قبائل المتفق واندمجوا فيهم⁽²⁾.

يتضح من خلال ذلك أن بني عُقيل قد غمروا برّ البحرين وما بين العراق والحجاز، أي جميع أطراف نجد. وكانوا كذلك أهل سيادة وخفارة فترة قد تصل إلى سبعة قرون من عمر الزمن. إضافة إلى أن العقيليين أهل جمال وخيل وتجارة وامتداد من الهند إلى العواصم العربية، ومن أطلق عليهم اسم (عقيلات) فيما بعد كانوا أهل جمال وخيل وتجارة وامتداد، فمن المستبعد أن لا تُلاحظ هذه الحرفة المشتركة في التسمية اللغوية، وقد تتضح حقيقة أخرى تفيد بأن من عاش في بلاد حكمها العقيليون سبعة قرون فمن المستبعد أن لا يُنسب إليهم، فنسبة (عُقيلي) نسبة الرعية إلى

(1) من هذه الإمارات: إمارة خفاجة في الكوفة (397 - 451هـ)، إمارة آل المُسيب في نصيبين والموصل وحلب (380 - 489هـ)، إمارة آل المجلي في عانة والحديثة من بلاد الفرات (450 - 516هـ)، إمارة آل بدران في قلعة جعبر (479 - 519هـ)، إمارة بني وهب في هيت (487 - 496هـ)، إمارة بني عصفور في البحرين (630 - 700هـ تقريباً)، إمارة آل جبر (785 - 931هـ)، وإمارة المتفق (784 - 953هـ). الفصيل، عبد العزيز بن محمد، شعراء بني عُقيل وشعرهم، شركة العبيكان للطباعة والنشر، الرياض، ط1، 1408 هـ ص 17 - 22.

(2) الظاهري، مسائل من تاريخ الجزيرة، ص 213 - 214.

قبيلة الراعي. ويلاحظ أن تجارة العقيلات من أهل نجد - التي كانت فيما مضى مقاطعة عُقيلية - قد غمرت شمال الجزيرة في الشام والعراق ومصر، كما يلاحظ بأن العقيلات أخلاط من الأسر والقبائل ولا ينتمون إلى أسرة واحدة أو رجل واحد، ما يرجح أحد معنيين:

الأول: أن العقيلي نسبة رعية لدويلات عُقيلية وإن لم يكن انتسابهم لقبيلة واحدة.

والثاني: أن (العقيلات) على التشبيه ببني عُقيل ذوي التجارة من أهل تلك البلاد.

ولعل لقب العقيلات ليس من إطلاق أهل نجد على أنفسهم وإنما هو من إطلاق غيرهم عليهم، ولهذا يظن أهل الأقطار الأخرى - وقت إطلاق كلمة عقيلات - أن هؤلاء التجار هم ذرية العُقيليين، لأنهم جاؤوا من بلادهم وورثوا حرفتهم⁽¹⁾.

احتفظ بنو عُقيل بدلالة القوافل وحراستها، ودلالة القوافل في بني عُقيل ضاربة في القدم، فيذكر الرحالة العربي ابن بطوطة في رحلته التي قام بها عام 725هـ/ 1325م بأنه سافر إلى البصرة صحبة «رفقة كبيرة من عرب خفاجة وهم أهل تلك البلاد ولهم شوكة عظيمة وبأس شديد، ولا سبيل للسفر في تلك الأقطار إلا في صحبتهم»⁽²⁾. ويقول علي بن المقرب العيوني⁽³⁾ عندما كان في البصرة وشاهد ركباً من عُقيل متجهاً صوب وطنه الأحساء عام 604هـ/ 1207م:

(1) السابق، ص 216 - 218.

(2) ابن بطوطة، محمد بن عبد الله بن محمد، رحلة ابن بطوطة في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق: محمد عبد الرحيم، دار الأرقم، بيروت، ط1، د.ت، ص 101.

(3) علي بن المقرب العيوني (572 - 630هـ) شاعر مجيد من بيت أماره، ولد في بلدة العيون بالأحساء، رحل إلى بغداد عدة رحلات، ومدح الخليفة العباسي المستنصر بالله الذي تولى =

أَقُولُ لِرَكْبٍ مِنْ عَقِيلٍ لَقِيْتُهُمْ وَأَعْنَقُهَا لِلْقَرَبَيْنِ تُمَالُ
أَيَا رَكْبٍ حُيِّتُمْ وَجَادَتْ بِلَادَكُمْ غَمَائِمُ أَدْنَى سَحْهَنٍ سِجَالُ
إِذَا جِئْتُمْ أَرْضَ الْحِصَاءِ وَقَابَلْتُ قِصَابَ بَضَاحِي بَرَّهَا وَتِلَالُ⁽¹⁾

ويقول:

وَفَتَيَانُ صَدِيقٍ مِنْ عَقِيلٍ أَعِزَّةٌ ثَقَالُ عَلَى الْأَعْدَاءِ كِرَامُ الْمُنَاسِبِ⁽²⁾

من خلال السياق السابق يتضح بأن عُقِيل كانت قبيلة مشهورة تأخذ تجارتها إلى أماكن كثيرة ومختلفة، ومن خبرتهم بالتجارة وبأسهم الشديد صاروا أدلاء للقوافل على طرق السفر، ولكن هذه القبيلة تفرقت بعدئذٍ وذاب أفرادها في المتنفق وفي بعض قبائل العراق الأخرى وفي بني خالد، وتحصّر الكثير منهم فلم يعد لهم بعدئذٍ وزن سياسي أو اقتصادي كبير وإن ظلت بعض فروعهم تحمل اسم (العقيل) في فترة الحكم الخالدي للأحساء، وامتدت التسمية حتى عايشت الدولتين السعوديتين الأولى والثانية⁽³⁾. ولم تشتهر تلك الفروع الأخيرة لا بتجارة ولا بحراسة.

أصبحت قيادة القوافل وخفارتها وحراستها وبيع الإبل وجلب

= تولى الخلافة سنة 623هـ، كما زار البصرة ومدح أميرها، وزار الموصل، كان ظاهرة أدبية فريدة في عصره، ويعتبر شعره سجلاً تاريخياً للدولة العيونية التي سيطرت على البحرين خلال الفترة (466 - 636هـ). (الخضيري، علي بن عبد العزيز، علي بن المقرب العيوني حياته وشعره، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1401هـ/ 1981م).

(1) الحلو، عبد الفتاح محمد، ديوان ابن المقرب، تحقيق وشرح، الأحساء، ط2، 1408هـ/ 1988م، ص 435.

(2) السابق، ص 51.

(3) آل عبد المحسن، إبراهيم بن عبيد، تذكرة أولي النهي والعرفان بأيام الله الواحد الديان وذكر حوادث الزمان، الرياض، مكتبة الرشد، ط1، 1428هـ/ 2007م، ج1 ص 154، ج3 ص 35.

البضائع من نصيب بني خالد⁽¹⁾ الذين ورثوا شهرة قبيلة بني عُقيل التجارية طوال فترة حكمهم، وأصبح من مسؤوليتهم حماية القوافل، ومسؤولية أميرهم في تعيين رئيس للقافلة التي تخرج من الأحساء وتمرّ بالزبير وتنتهي إلى الشام، ولعل هذا العامل يبعث على الشك في استمرار سمعة قبيلة بني عُقيل التجارية حتى يرثها عنهم العقيلات حيث انقطعت تلك السمعة طوال فترة حكم بني خالد، وهذا من أهم نواقض هذا الرأي⁽²⁾. إضافة إلى أن اسم العقيلات أطلق بعد الألف من الهجرة أي بعد انقراض الإمارة العُقيلية⁽³⁾

ويعود تفسير اسم «عقيل» إلى أحد أمرين:

1- إما أنهم كانوا يأخذون أدلاء من قبيلة العُقيلات⁽⁴⁾ التي تقع مساكنها في طريق قوافلهم.

(1) قبيلة بني خالد: تنتسب أكثر بطونها إلى عُقيل بن عامر بن صعصعة، وكان بنو خالد فرعاً رئيساً من القبائل التي تشكل منها التحالف الجبري في بداية القرن العاشر الهجري، ويقول شاعر الأحساء أحمد بن مشرف المتوفى آخر القرن الثالث عشر الهجري:

ولا تنس جَمْعَ الخالدي فإنه قبائل شَتَّى من عُقَيْل بن عامر
فأخذت الإمارة الخالدية اسمها من اسم مؤسسها. وبقي الاسم القديم الشامل - عقيل - لأهل الحرفة.

(الجاسر، حمد، جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد، الرياض، دار اليمامة، ط3، 1421هـ/ 2001م، القسم الأول ص 192 - الوليعي، عبد الله بن ناصر (مترجم)، مجموعة من الباحثين، معجم البلدان والقبائل في شبه الجزيرة العربية، الرياض، دار الملك عبد العزيز، 1435هـ، المجلد الثالث، ص 146).

(2) إبراهيم، عبد العزيز عبد الغني نجديون وراء الحدود، ص 29.

(3) الظاهري، مسائل من تاريخ الجزيرة العربية، ص 216.

(4) العُقيلات: من العمارات من عنزة. والعقيلات أيضاً من السُبعة من عنزة. (الجاسر، حمد، معجم قبائل المملكة العربية السعودية، النادي الأدبي في الرياض، ط1، 1401هـ - 1981م ج2 ص 543).

2- أو أن اسم عُقِيل القديم انحصر في بعض أشدّاء القبيلة الذين عُرفوا بصلابتهم ومواصلة سيرهم. فإذا كان الاسم مأخوذاً من عُقِيل القبيلة المعروفة، فهذا يرجع إلى مرور القوافل عبر أراضيها واتخاذ الأدلاء منها، فيمكن أن يُطلق على تلك الحملات اسم القبيلة باعتبارها محمية من قبلها، أو أنها أقرب قبيلة إلى الشام، فيظن أصحاب الأسواق أن أولئك القادمين من العقيلات، وإذا كان يحمل الاسم القديم للقبيلة فالجامع بين قوافل التّجّار وأشدّاء عُقِيل رحلات الصحارى القاسية⁽¹⁾.

الرأي الثالث: يذهب إلى أن مدلول التسمية التي ألحقت بهذه الجماعة ترجع إلى أنهم كانوا يعقلون الإبل بالعقال⁽²⁾، أي أن أصل التسمية جاء من العقال الذي تُعقل به المظية⁽³⁾.

وفي الحقيقة لقد ابتعد هذا الرأي عن الصواب لأن الإبل كان يعقلها العقيلات وغيرهم من أصحابها خاصة في الحواضر وعند الأسفار ويبعد أن تكون تسميتهم من عقال الإبل؛ لأن العقال ليس ميزة لتجار نجد فقط، بل كل عباد الله يعقلون الإبل عند توقعهم ويفكونها يوم كانت الإبل سبيل مواصلاتهم. ولأن عُقِيلاً وعقيلات لا صلة لها لغةً بمعنى العقال⁽⁴⁾.

(1) الفیصل، شعراء بني عقيل وشعرهم، ص 24.

(2) المعاضيدي، خاشع، دولة بني عقيل في الموصل، بغداد، مطبعة شفيق، 1968م، ص 28.

(3) العُقَل: واحدها عَقَال، وهو حبلٌ من صوف أو شعر أو وبر أو ليف أو مادة أخرى، يتراوح طوله بين 50 - 70 سم مجدول من ثلاثة فروع أو أقل أو أكثر، يكون بأحد طرفيه عقدة يُلوى عليها طرفه أثناء عَقْل الجمَل، وهو ربط يده وهي مثنية أثناء بركه على الأرض بحيث يبقى باركاً في مكانه لا يريمه. (السويداء، عبد الرحمن بن زيد، عقيلات الجبل، دار الأندلس للنشر والتوزيع، حائل، ط2، 1427هـ/ 2006م، ص 112 - 113).

(4) الظاهري، مسائل من تاريخ الجزيرة العربية، ص 219.

ويعلل الظاهري سبب التسمية من العقال بقوله: «إن هذا المعنى مشهور عند العوام، وإنما شُهر عند متأخري العقيلات لأنهم عوام يجهلون ماضي بني عُقيل في الجزيرة خلال سبعة قرون ونيف، ولأن عقال الإبل أقرب شئ إلى أذهانهم بل لا يوجد في أذهانهم احتمال غيره»⁽¹⁾.

يقول عبد العزيز النجدي؛ أحد عقيلات سورية: إن العقال أصله عقال البعير، والأعرابي كان يلبس العمامة ويربطها بعقال البعير، فُسِمِي العقال عقالاً من عقال البعير. فالعقيلات بما أن تجارتهم كانت في الإبل والمواشي، كانوا إذا تم بيع بعير قالوا: اعقلوه.. أين عقاله؟ وإذا طوّلت البيعة قالوا: فك عقاله، فسموا العقيلات لهذا السبب. ويستبعد أن يكون سبب التسمية من لبس العقال، فليس كل من لبس العقال عقلياً، لأن أهل سورية والعراق وفلسطين والأردن يلبسون العقال، ولكن لم يطلق عليهم اسم عقيلات⁽²⁾.

لا شك أن التسمية لم تكن نابعة من فراغ، ولهذا، فالتسمية لها جذور تاريخية اعتمدت عليها وربما جاءت التسميات اللاحقة مستندة عليها لأن «العقال» الذي يلبس فوق الرأس سُمِي «معصب» أو «عصابة» حتى عهد قريب، وإنما العقال الصحيح هو الذي تُعقل به الإبل والذي يضعه صاحبها - عندما يفك عقالها ويخرج مسافراً - على رأسه يثبت به غترته أو شماغه⁽³⁾.

(1) الظاهري، مسائل من تاريخ الجزيرة العربية، ص 219.

(2) من مقابلة أجرتها الباحثة مع اثنين من العقيلات ينتميان لأسرة النجدي، ملحقة في البحث، ملحق رقم (1).

(3) إبراهيم، نجديون وراء الحدود، ص 25 - 26.

وقد كان يُطلق على العقيلات لقب «سمر العصاب»، والعصابة⁽¹⁾ هي العقال الأسود الذي يُعصب به الرأس⁽²⁾.

وإذا كان العثمانيون قد ميزوا جنودهم العرب بلبس الغترة والعقال باعتبارها أشياء ألفوها في بيئتهم وذلك لتمييزهم عنم يلبسون (الطربوش) من جنودهم الأتراك فهذا أمر طارئ انطلقت منه التسمية لهذه الفئة من العسكريين، غير أن هذا لا ينطبق بالضرورة على أصحاب المهن الأخرى من تجار وناقلين وموردين ومصدّرين ولو كان الأمر كذلك لصارت التسمية لأولئك الذين يعملون في السلك العسكري فقط. ولكن التسمية كانت أعمق من هذا وشاملة لكل رجال نجد المغامرين التجار.

وخلاصة القول: إن اسم العقيلات له جذور تاريخية قديمة نابعة من المهنة التي كانت تعمل بها قبيلة عُقيل ثم من جاء بعدها وعمل بالعمل نفسه حتى عُرفوا بهذه التسمية، وما التسمية العثمانية إلا جزء لاحق من التسمية الشائعة والمتعارف عليها في العراق ثم امتد إلى باقي البلاد العربية التي مارس العقيلات نشاطهم فيها وأصبح الاسم علمًا على كل التجار أو المهاجرين من الجزيرة العربية ومن نجد بالذات إلى بلاد الشام والعراق ومصر. كما أشارت بعض الآراء بأن كل من يأتي من ناحية الجزيرة العربية يُسمى عقيليًا.

2- أصولهم:

عاش العقيلات كجماعات متكلفة في ما بينها حتى اعتقد البعض بأنهم

(1) العصابة: هي كل ما يلف به الرأس ويدار عليه قليلاً، فإن زاد فعمامة، وكل ما عصب به رأسك من عمامة أو مندبل أو خرقه فهو عصابة. (العبودي، معجم الملابس في المأثور الشعبي، الرياض، ص 373).

(2) الطويان، الحاوي لأشهر الألقاب والعزاي، ج 1، ص 92.

يرجعون إلى نسب واحد أو أصول واحدة، وما ذلك الاعتقاد بصحيح، وإذا صحَّ التعبير فهم مجموعة عسكرية - اقتصادية متجانسة تأثرت بكل ما اعترى المنطقة من خير أو شرّ، وشكلوا قوة عسكرية عند استقرارهم في بعض تلك الدول فكان لها مكانتها في مساعدة حكام تلك البلاد بحروبهم ضد أعدائهم أو بإحلال الأمن في موطنهم⁽¹⁾ وعملوا في التجارة التي هي قلب الأمن ورثته، وكان لهم أثر عظيم قبل ثلاثة قرون من الزمن؛ فقد أورد عثمان بن سند البصري المتوفى سنة (1242هـ/1827م) في وقائع عام 1188هـ أن حرباً وقعت في بغداد وطال فيها الخطب، وجعل الشر يزداد يوماً فيوماً، والقتل والنهب واللصوص والهجوم على الدور ليلاً ونهاراً مستمر فعندئذ قامت فئة من عرب نجد المعبر عنها (بعقيل) ودخلوا بين الفتيين المتحاربتين وحجزوا بينهما وألقت الحرب أوزارها، فسكنت الفتنة بين الفتيين⁽²⁾. وذكر في حوادث عام 1201هـ أن جيشاً معادياً حاصر بغداد وخيف عليها منه ولكن قامت عرب نجد المعروفون بعقيل، وصدوه عن بغداد⁽³⁾. وذكر في حوادث سنة 1230هـ من قوله: خرج عسكر الوزير سعيد باشا وكبيرهم قاسم بن شاوي، ومعه (عقيل) النجديون وهم عسكر للوزير إذ ذاك⁽⁴⁾.

(1) الجهني، عويضة بن متبريك، نجد قبل حركة الإصلاح السلفية، بالتعاون مع مؤسسة الملك عبد العزيز للبحوث والأرشيف، كتاب الكتروني، ص 166. (الكتاب مطبوع باللغة الإنكليزية بعنوان: نجد قبل الدعوة الإصلاحية السلفية، الرياض، دار الملك عبد العزيز، 2001م، ص 126).

(2) البصري، عثمان بن سند الوائلي، مطالع السعود، تحقيق عبد السلام رؤوف، بيروت، الدار العربية للموسوعات ط 1، 1431هـ/2010م، ص 150 (عبارة العقيل وردت في الهامش أضافها الحلواني في مختصره ص 34) - (المدني: أمين بن حسن الحلواني، مختصر مطالع السعود بطيب أخبار الوالي داود، تحقيق محب الدين الخطيب، القاهرة، المطبعة السلفية، 1371هـ ص 24، 26، 40، 127، 157، 163).

(3) البصري، مطالع السعود، ص 230.

(4) السابق، ص 407.

وذكر في وقائع عام 1242هـ أن عرب المنتفق⁽¹⁾ ومعهم عشائر بني كعب وبعض الروافض من العجم وسلطان مسقط ومعه عسكره من الإباضية هاجموا البصرة بغية احتلالها ونهبها. وأضاف: ولما اشتد الأمر وكادوا أن يفتحوا البصرة برز إليهم عسكر (عقيل) من عرب نجد، ونشب القتال بينهم وكانوا أقلّ عددًا من عسكر المهاجمين فالتجأ عرب (عقيل) في النخيل فهجم عليهم العسكر المهاجم، فرمتهم (عقيل) بالرصاص وهم متترسون في النخيل، فما مضت سويعات إلا وانكسر عسكر المهاجمين وانهزموا وقُتل منهم خلق كثير. أما عسكر (عقيل) فإنهم رجعوا إلى البصرة منصورين غانمين فقوي بهم عضد أهل البصرة⁽²⁾؛ ويدل ذلك على أن هناك قوة متكاملة للعقيل، ولا يعقل أن تتنامى هذه القوة خلال فترة قصيرة، بل تنامت خلال فترات زمنية طويلة. ولا يمكن تصور أن المهاجرين النجديين كان بإمكانهم بناء هذه القاعدة الاقتصادية والقوة السياسية أو العسكرية في مدة قصيرة، ومن المؤكد أن هذه الهجرات قد بدأت منذ مدة طويلة⁽³⁾.

أما سليمان فائق بك فيقول: «إن عشيرة العقيل تتكون من فرقتين، الأولى اتخذت نجدًا مقرًّا لها وتسمى القصيمات، والثانية وإن كان أصلها من نجد غير أنها ترجع إلى شمر الجربا، وهي مولعة بالحروب وتسمى

(1) المنتفق: بطن من عقيل هم اليوم من أهم قبائل العراق، منازلهم بين البصرة وبغداد وفي الناصرية ويتجولون في الجزيرة بين دجلة والفرات، قامت إمارة المنتفق في جنوبي العراق، وحكمت البصرة واستمرت قوتها ثلاثة قرون ثم استولى العثمانيون على البصرة وأنهوا حكم المنتفق. (فائق بك، سليمان، عشائر المنتفق، بيروت، الدار العربية للموسوعات، ط1، 1424هـ/2003م).

(2) البصري، مطالع السعود، ص 524.

(3) الجهني، نجد قبل حركة الإصلاح السلفية، ص 165 - 166.

الشمامرة، وكان الأقدمون يعتبرون كلتا القبيلتين قبيلة واحدة⁽¹⁾. ولعله يقصد بأن هناك فئتين للعقيلات هما عقيلات القصيم الذين عبّر عنهم بلفظ (القصيمات) وعقيلات جبل شمر الذين عبّر عنهم بلفظ (الشمامرة)، ومن المؤكد بأن العقيل ليسوا عشيرة كما ورد عند المؤرخ.

ويقول الكابتن الإنكليزي موريزي (1224هـ/ 1809م) إن لفظ العقيلي يطلق على الجندي العامل في حراسة قوافل المسافرين، عبر الصحراء، أو عبر أراضي دجلة والفرات⁽²⁾.

وتُعرّف المخابرات البريطانية العقيلات فتقول إنهم «من أهل نجد، ومن القصيم بصفة خاصة»، كما تعرّفهم في تقرير آخر فتقول بأن العقيلات «ليسوا قبيلة ولكنها منظمة لها طبيعة الرابطة أو الهيئة أو التجمع حول تنظيم معين. وليس لهم ارتباط بقبيلة عقيل القديمة من أهل الشمال التي يدّعي المتنفق انحدرهم منها، إذ يبدو أن تلك القبيلة قد انتهت كوحدة ولم يبق لها من أثر يُذكر. أما عقيل الحاليون فهم من حواضر نجد أو من بدو الأحساء والعارض والقصيم وجبل شمر»⁽³⁾.

ويؤكد بوركهارت (John Lewis Burkhardt) هذا التعريف ويضيف عليه بأن عقيل أو العقيلات ينتمون إلى قبائل متعددة من عرب نجد، سواء البدو أو الحضر الذين يقصدون بغداد ويستقرون بها، وقد تمتع هؤلاء

(1) فائق بك، سليمان، تاريخ بغداد، ترجمة، موسى كاظم نورس، بيروت، الرافدين للطباعة والنشر، ط1، 2010م، ص 109 - 110.

(2) إبراهيم، عبد العزيز عبد الغني نجديون وراء الحدود، ص 21.

(3) الوليعي، عبد الله بن ناصر (مترجم)، مجموعة من الباحثين، معجم البلدان والقبائل في شبه الجزيرة العربية، الرياض، دار الملك عبد العزيز، 1435هـ المجلد السابع، ص 176 - إبراهيم، نجديون وراء الحدود، ص 23.

العقيل بنفوذ كبير وأصبحوا أقوى مساندي الباشا في حروبه ضد البدو المحيطين ببغداد والناشرين فيها. ويتابع ليقول بأنهم مشهورون بشجاعتهم ويقومون بقيادة القوافل من بغداد إلى سورية، كما أنهم ينقسمون إلى طبقتين هما (الزقرتي) وهم الأفراد الأكثر فقرًا والبائعون المتنقلون، و(الجماميل) وهم الذين يقودون القوافل⁽¹⁾.

ومثل ذلك ينقل إلينا الرحالة ليكلاما آينهولت (Nijeholt Lyciylama) الهولندي الذي زار العراق عام (1866-1867م) فيقول: «العقيل (العكيل) هم عشيرة مستوطنة تختلف عن العشائر الرحالة الساكنين في الخيام، والعقيل في الغالب جمّالون يمتلك أغنياءهم الأباعر الكثيرة ويعمل الفقراء في خدمة أرباب القوافل، وتتألف القوافل العاملة بين بغداد والشام وحلب من هؤلاء العقيل»⁽²⁾.

ويُعرّف داوتي (Charles Daugthy) العقيلات بقوله: «إن عقيل كانت مهنة لهؤلاء الجماعة ولم تكن رابطة نسب ولا دم، وإنها كانت الجندية والحراسة»، ثم يقول: «هؤلاء العقيل أو إن شئت فقل الجمّالة الذين يركبون النياق كانوا من عرب نجد من قبل ولكنهم الآن بحكم تأخر وصول المرتبات التي تأتي من الدولة (الإمبراطورية العثمانية) فقد توقف أولئك النجديون عن القيام بخدمة النقل تلك. هؤلاء العقيل عبارة عن مجموعة مخلّطة من مجموعة قليلة من النجديين»⁽³⁾.

(1) بوركهارت، جون لويس، ملاحظات عن البدو والوهابيين، ترجمة وتعليق عبد الله الصالح العثيمين، الرياض، دار الملك عبد العزيز، 1434هـ ص 316-317.

(2) آينهولت، ليكلاما، رحلة آينهولت الهولندي إلى العراق عام 1866 - 1867م، ترجمة مير صبري، بيروت، دار الوراق، ط 1، 2012م، ص 120.

(3) داوتي، ترحال في صحراء الجزيرة العربية، ج 2 مجلد 1، ص 117.

ويقول هذا الرحالة عندما أقبل على القصيم عام 1295هـ/ 1878م: «والقصيم تشبه مناطق الحدود، وسكانها تحولوا إلى حضر، وبلاد القصيم الرملية التي تقع وسط الجزيرة العربية أقل استقراراً أو استيطاناً من سورية نفسها. والقصمان من النوع الحريص ومن المغامرين أيضاً وفيهم الكثير من دم بني تميم، وثلاث سكان القصيم ممن يعملون في قوافل التجارة التي تذهب إلى المناطق الأجنبية. والكثير منهم يغادرون بلادهم وهم في ريعان الشباب بحثاً عن الثراء خارج بلادهم حيث يعمل البعض منهم بالجنديّة مع الحكومة العثمانية، وقد كانوا إلى وقت قريب جداً يعملون ضمن قوات (العقيل) في بغداد ودمشق والمدينة المنورة - ومعروف أن كل منطقة نجد الواقعة شرقي واحة تيماء⁽¹⁾. تدخل في إطار الحركة التجارية في منطقة الخليج الفارسي، وليس في نطاق الحركة التجارية السورية. من هنا، فإن الطابع (الأجنبي) لنجد هو طابع بلاد الرافدين، وهجرة السواد الأعظم من أهل القصيم تكون إلى بلاد الرافدين، وغالبية هؤلاء المهاجرين من المزارعين ومن صغار الباعة وقلة قليلة منهم أصبحوا تجاراً أثرياء»⁽²⁾.

تقول الرحالة البريطانية الليدي آن بلنت (Lady Anne Blunt) (1837

(1) تيماء: بفتح التاء وسكون الياء، تقع شمال غرب المملكة العربية السعودية، على بعد جنوب شرق تبوك وعلى مسافة 420 كيلاً إلى الشمال الشرقي من المدينة المنورة، وعلى بعد 350 كيلاً إلى الجنوب الغربي من الجوف، وعلى بعد 150 كيلاً إلى الشمال الشرقي من العلا، وقد أهلها هذا الموقع لتكون موقفاً مهماً على مفترق طرق القوافل التي تتجه إلى بلاد الرافدين وبلاد الشام والقادمة منها إلى الجزيرة العربية، والطرق التي تتجه إلى مصر والقادمة من العالم الشرقي. (معيوف، محمد معاضة، المعاصر القديمة في تيماء، الرياض، دار الملك عبد العزيز، 1430هـ/ 2009م، ص 13 - البلادي، عاتق غيث، معجم معالم الحجاز، دار مكة للنشر والتوزيع، ط2، 1431هـ/ 2010م، ج 2، ص 288). 264.

(2) داوتي، ترحال في صحراء الجزيرة العربية، ج2 مجلد1، ص 446.

- 1917م) في كتابها قبائل بدو الفرات عام 1878م: «وسارعنا الخطى في المسير لنصل - إلى حلب - قبل المطر وبينما نحن نسير صادفتنا قوافل الجمال، وفيها ألف بعير يقودها بدو من (العقيل) وقوم من الحضر، وأقْدَر بأنها كانت تحمل الذرة للحكومة، وقد شكلت الجمال قافلة كبيرة يقودها بعير ضخّم يحمل العلم التركي ويرافقه بعض الجنود. كانت تلك أروع قافلة وأروع جمال كنت قد رأيتها في حياتي». ويعلق المترجمان في الهامش: العكيل أو العقيل: جماعة من بدو نجد كانوا يرافقون البريد والقوافل التجارية في زمن الحكومة العثمانية⁽¹⁾.

وتقول في مكان آخر: «وجدنا جماعة من (العقيل) كانت في طريقها من حلب إلى بغداد وتعسكر في مكان قرب الطريق. كانت إبلهم ترعى فيه بحرية، فتوقنا عندهم لشرب القهوة التي اعتادوا على تقديمها لضيوفهم بكرم وسخاء. وتتابع: «العقيل قوم من العرب الأصلاء في مدينة بغداد على الرغم من أنهم ليسوا من القبائل المشهورة، وهؤلاء القوم يهجرون منازلهم وأهلهم ويكثرون من الترحال في القوافل التي تسير على الطرق الهامة محملة بمختلف البضائع المنقولة بين المدن، ومن عادتهم الترحال ببطء حتى لا تتعب رواحلهم، ولم يُعرف عنهم أنهم قطعوا أكثر من عشرة أميال في اليوم الواحد، وطبيعتهم مضيفة، كانوا يتركون أهلهم في بغداد ويسافرون ثم يعودون إليهم من جديد. وجدناهم اليوم يكوّمون أحمالهم على شكل دائرة ويجلسون داخلها»⁽²⁾.

(1) بلنت، الليدي آن، قبائل بدو الفرات عام 1878م، ترجمة: أسعد الفارس ونضال خضر معيوف، ط1، دمشق، دار الملاح للطباعة والنشر، 1412هـ - 1991م، ص 35.

(2) السابق، ص 129 - 130. (كذلك يعلق المترجمان في هامش ص 129 على لفظ (العقيل): كانت العرب تسمي كل جندي أصله من منطقة القصيم في نجد عقيلًا وكل حارس من حراس القوافل عقيلًا).

ويتحدث ماكس أوبنهايم (Max Freiherr Von Oppenheim) مستخلصاً من رحلته الاستشراقية التي قام بها عام 1309 - 1310هـ / 1892 - 1893م والتي بدأت من دمشق، وعبر الصحراء السورية منحدرًا إلى نهر الفرات، وإلى البصرة؛ فيقول إن اسم (عقيل) قد ظهر حديثاً بعد اضمحلال قبيلة بني عقيل، كاسم لجماعة حرفية من قُود القوافل والتجار وظل حياً حتى اليوم كاسم حرفية مهنية. أما مقرات تجمعهم فهي موجودة في بغداد ودمشق، ويتألفون بصورة رئيسة من سكان منطقة القصيم الأذكياء والنشطاء، ولا يمنع ذلك من انضمام عرب آخرين أو فئات من البدو إليهم⁽¹⁾.

والعقيل أو العكيل - عند ديكسون (Dikson H.R.P) - هم «المقيمون في القصيم وبغداد والذين كانوا في الماضي السحيق من المتعاملين بالجمال في الصحراء»⁽²⁾. ويقول عنهم كذلك «ليس صحيحاً أن نُعدَّ (العقيل) أو (العقيلات) من بين القبائل غير ذات الحسب والنسب، أو اعتبارهم من القبائل الدنيا، أو من القبائل غير «الشريفة»، وعلى كل حال لا ينطبق عليهم ما ينطبق على القبائل من صفات، فهم تجار جمال وقيمون في بغداد وفي دمشق، وفي القصيم، هذا وإن أيّ بدويّ يمكن أن يصبح عقيلًا، سواء أكان من قبيلة ذات حسب ونسب أم لا، وليس للموضوع من صلة أبدًا. ولهذا نجد الكثيرين من العقيل كان ينتسب إلى أصول عريقة، وهناك بعض آخر من الجماعات الوضيعة. فمثلاً بيت

(1) أوبنهايم، ماكس فريهير فون، بالتعاون مع آرثر برونيش وفرنر كاسكل، البدو، ترجمة محمود كيبو، تحقيق ماجد شبر، المملكة المتحدة، دار الوراق، ط1، 2004م، ج3، ص 319.

(2) ديكسون، عرب الصحراء، ط2، دمشق، دار الفكر المعاصر، 1419هـ / 1998م، ص 99.

البسام العظيم فهم ليسوا عقيلية فقط، بل يعتبرون أيضًا عقيلية من ذوي الحسب والنسب العريق جدًا»⁽¹⁾.

كما يعبر عن هذه الجماعة في مؤلف آخر بقوله: «فهم جماعة من تجار الإبل اتخذوا من دمشق وبغداد مراكز لنشاطهم، وهم ليسوا قبيلة بدوية بأي حال»⁽²⁾.

ولعلنا نلاحظ من حديث داوتي، أو بلنت ثم اوبنهايم وكذلك ديكسون، بأن اسم (عقيل) كان يعني لقبًا لمهنة امتنها أهل القصيم ولا يدل على نسب⁽³⁾. وأن هذه الحرفة كانت تعني الجندية والحراسة مبدأ أمرها. ثم أصبحت علامة على تجار نجد المتنقلين عبر البلاد، والذين كانوا أهل شجاعة ومغامرة.

أما إبراهيم المسلم، فيقول إن العقيلات «اسم أطلق على جماعة من أهل القصيم تردد كثيرًا على أسماع الناس خلال القرن الثالث عشر الهجري، تجارًا للمواشي من الإبل والخيول، اتخذوا من الشام ومصر والعراق سكنًا لهم، يروحون ويغدون بقوافلهم. ولم يكونوا بتكويناتهم التي عرفوا بها ينتمون إلى قبيلة عربية واحدة، إنما هم خليط من القبائل العربية التي تحضرت وسكنت منطقة القصيم والبلدات المجاورة لها يجتمعون حول كلمة عقيل»⁽⁴⁾.

ولعل (العقيلي) لقب أطلقه أهل العراق بلفظ (العكيلي) على كل

(1) السابق، ص 549.

(2) ديكسون، هـ. ر. ب. الكويت وجاراتها، تحقيق فتوح عبد المحسن الخترش، الكويت ذات السلاسل، ط 3، 1433هـ/2012م، ص 78 - بوركهات، ملاحظات عن البدو والواهبيين، ص 316-317.

(3) إبراهيم، عبد العزيز عبد الغني نجديون وراء الحدود، ص 22-23.

(4) المسلم، إبراهيم، العقيلات، مصر، الدار الثقافية للنشر، ط 3، 1427هـ/2006م، ص 57.

عربي أصله من البادية، نزع من نجد واستوطن العراق وأوكل إليه أمر تسير القوافل التجارية وهدايتها وحمايتها بين حواضر العراق أو بادية الشام ومدنها وبوادي الجزيرة العربية، وذلك لما لدى هذا النجدي من عصبية عشائرية تحميه وتحمي معه القافلة التي يكون فيها فتسير في الصحراء آمنة مطمئنة⁽¹⁾.

3- البداية والنشأة:

شكّلت القوافل التي انطلقت من نجد خلال القرنين الماضيين إلى منطقة الهلال الخصيب في العراق والشام وفلسطين وكذلك مصر رافداً هاماً للحياة الاقتصادية في منطقة نجد، فقد قام هؤلاء الرجال والذين أُطلق عليهم اسم «العقيلات» بربط التجارة بين الجزيرة العربية وتلك الأقاليم التي حلّوا بها أو زاروها.

ولم تكن هذه الفئة تنحدر من أصل واحد أو من قبيلة واحدة أو من أسرة واحدة، وإنما كانت تجمّعاً لرجال ينحدرون من أُسر مختلفة جمعتهم الهجرة في طلب الرزق وانضوا تحت مسمى «العقيلات» الذي جمعهم كأبناء أسرة واحدة، سعادتهم واحدة وطريقهم واحد ومصائبهم واحد، تجمعهم رفقة الطريق والمتاجرة، حتى حققوا العزة والثروة في مهاجرهم أو في بلدانهم.

أما بداياتهم، ومتى بدأ تاريخهم بالظهور، فليس هناك قولٌ فصلٌ يهدينا إلى ذلك؛ فهناك من يربط تاريخ بداية العقيلات بقبيلة بني عُقيل الضاربة في القِدَم، أي يرفع تاريخ هذه الجماعة إلى سبعة قرون خلت، وهو رأي لا يخلو من صواب.

(1) إبراهيم، نجديون وراء الحدود، ص 24، - المعاضيدي، دولة بني عقيل في الموصل، ص 28.

وهناك من يعيد تاريخهم إلى فترة التداعيات والتصدعات التي أصابت الدولة السعودية الأولى (1157-1233هـ/ 1744-1818م)، حيث رحلت هذه الجماعة أو جزء منها من مناطق متفرقة من نجد تدفعهم عوامل متعددة، مثل الجذب، أو انقراط الأمن، أو أمور سياسية أجبرتهم على الرحيل، إضافة إلى خروج الكثير منهم للسعي في طلب الرزق والبحث عن حياة أفضل⁽¹⁾.

كما أن هناك من يعيد تاريخهم إلى ما يقارب من أربعمئة سنة - أي إلى بداية القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي - فهم تجارٌ يتجرون بالإبل والخيول والتجارة العامة، عملوا بهذه التجارة حتى عام 1366هـ/ 1947م، حين توقفت تجارتهم⁽²⁾.

ويذكر بعضهم أن قوافل تجارة العقيلات قد عُرفت في القرن الثالث عشر والرابع عشر من الهجرة عن طريق سيرها إلى البلاد العربية في كل من الشام ومصر والعراق⁽³⁾.

كما يؤكد آخرون أن بداية حركة تجارة العقيلات انطلقت منذ منتصف القرن الثالث عشر للهجرة/ التاسع عشر الميلادي على وجه التقريب، وتوقفت حركتهم في العقد السادس من القرن الرابع عشر للهجرة/ العقد الخامس من القرن العشرين الميلادي⁽⁴⁾.

(1) السوياء، عقيلات الجبل، ص 27.

(2) المعارك، إبراهيم بن عبد العزيز، بريدة ماضٍ مجيد وحاضر مزهر ومستقبل مشرف، الرياض، شركة العبيكان، ط2، 1407هـ ص 49.

(3) الحلبي، نواف بن صالح، عصر العقيلات، 1417هـ دون نشر، ص 19.

(4) الدغثير، دغثير بن عبد الله، المختار من القصص والتاريخ والآثار، دون نشر، ط1، 1416هـ ج1، ص 160.

وعندما يُعرّف بوركهات العقيل يساهم برأيه في بدايتهم فيقول بأنهم ظهروا منذ عهد السلطان مراد⁽¹⁾، ولكنه لم يذكر أي مراد يقصد، فهناك خمسة سلاطين للعثمانيين يحملون الاسم نفسه، كما لم يذكر مصدره، ومن المرجح أن يكون السلطان مراد الذي يقصده المؤلف هو السلطان مراد الرابع⁽²⁾ (1032 - 1049هـ / 1623 - 1640م)، فقريب من هذا التاريخ ازدادت هجرات أهل نجد بسبب العوامل الاقتصادية للبحث عن حياة أفضل، أو السياسية هرباً من الحروب الأهلية، أو الفتن المتلاحقة. تدفق المهاجرون النجديون إلى الزبير⁽³⁾ واستوطنوها وازدادت أعدادهم وأنشأوا مسجدها المعروف بجامع النجادة عام 1003هـ أو 1007هـ / 1598 - 1599م⁽⁴⁾. فكان لنشأة هذه البلدة علاقة بحركة التجارة عبر الجزيرة العربية، وعلاقة وطيدة بتنامي الجماعات النجدية خارج مواطنهم.

وما كاد القرن الحادي عشر الهجري يوشك على الانتهاء إلا وكانت

(1) بوركهات، ملاحظات عن البدو والواهيين، ص 316.

(2) السلطان مراد الرابع بن أحمد الأول (1018 - 1049هـ / 1609 - 1640 م) ولي الحكم من قبل الانكشارية، كانت له عدة معارك مع الشاه عباس حول بغداد (الطار، عدنان، الدولة العثمانية من الميلاد إلى السقوط، دمشق، دار وحي القلم ط 1، 1427هـ / 2006م، ص 87).

(3) مدينة الزبير: تقع في أقصى الجنوب الغربي من العراق، على بعد تسعة أميال جنوب مدينة البصرة، يحدها من الشمال الناصرية، ومن الجنوب الكويت، ومن الشرق البصرة، ومن الغرب الصحراء السعودية، سميت بهذا الاسم نسبة إلى ضريح الصحابي الزبير بن العوام - رضي الله عنه - تشتهر مدينة الزبير بالتجارة، ويكثر عدد التجار الذين قدموا إليها من نجد حتى أطلق عليها (نجد الصغيرة)، ويرجع سبب ازدهارها بالتجارة إلى أنها كانت المحطة الأولى في الطريق من البصرة إلى الكويت ونجد، وأصبح بعض سكانها رؤساء للقوافل التجارية ومتعهدين لنقل السلع بين البصرة والولايات العثمانية الأخرى وقد اتجهت أنظار سكانها إلى التجارة لعدم صلاحية أرضها للزراعة. (لوريمر، دليل الخليج، ترجمة مكتب أمير دولة قطر، مؤسسة العلوم للطباعة والنشر، الدوحة، د.ت.، القسم الجغرافي، ج 14، ص 2593 - 2594).

(4) الصانع، عبد الرزاق عبد المحسن والعلي، عبد العزيز عمر، امارة الزبير بين هجرتين بين سنتي 979 - 1400هـ الكويت، ط 1، 1406هـ / 1985م، ج 1، ص 45، 61.

بلدة الزبير قد اكتملت كموقع لتجمع القوافل التجارية للرحيل أو التوقف، فكانت «في كل سنة تغادرها قوافل الإبل الكبيرة لبيع بضاعتها في كل من حلب ودمشق حيث كانت القافلة تبلغ أكثر من ستة آلاف رأس»⁽¹⁾.

ومن الجدير بالذكر أن نشير إلى تاريخ نشأة مدينة بريدة - موطن العقيلات الأول - للعلاقة المترابطة بين استيطان هذه المدينة وزيادة نشاط العقيلات. إذ تذكر بعض المصادر أنها قد استوطنت، وأخذ سكانها بالتكاثر منذ الربع الأخير من القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي⁽²⁾، وكانت قبل ذلك عبارة عن مزارع صغيرة متجاورة⁽³⁾. اشترى راشد الدريبي - الجد الأعلى لآل أبي عليان - الموقع من آل هذال شيوخ عنزة ثم عمرها وسكنها مع عشيرته، وكانت مبدأ أمرها تابعة لبلدة الشماس⁽⁴⁾، ويدفع أهلها الزكاة لأمرها، ولما قويت بريدة وكثر سكانها واستطاع أهلها في زمن أميرهم حمود بن عبد الله الدريبي (ت 1154هـ) - الذي بنى سوراً حول البلدة الناشئة وهو المعروف بسور الدريبي - أن يمنعوا عنها الأذى وأن يحموها من غارات الأعراب ومن غزوات القرى

(1) سبستيني، الأب دومينيكو، العراق في رحلة الأب دومينيكو سبستيني في سنة 1781م، ترجمة خالد عبد اللطيف حسين، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 2014م، ص 139، 144، 157.

(2) ابن عيسى، إبراهيم بن صالح، عقد الدرر فيما وقع في نجد من الحوادث في آخر القرن الثالث عشر وأول الرابع عشر، تحقيق عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ، الرياض، دار الملك عبد العزيز، 1419هـ/ 1999م، ص 95.

(3) العبودي، محمد بن ناصر، معجم بلاد القصيم، الرياض، ط2، 1410هـ/ 1990م، ج2، ص 479 - 481.

(4) الشماس: بتشديد الشين وإسكانها، قرية قديمة تقع إلى الشمال الغربي من بريدة، عمرها آل شماس من الوداعين من الدواسر فسميت باسمهم، كانت أكبر وأغنى من بريدة، وكانت تقوم بين البلدتين مشاحنات واحتكاكات، وعندما أخذ نفوذ بريدة يزيد انتهى أمر الشماس في عام 1196هـ على يد أمير بريدة حجيلان بن حمد (العبودي، معجم بلاد القصيم، ج3، ص 1167 - 1168).

المجاورة، ثم استطاعوا أن يمتنعوا عن دفع أي شيء لأهل الشماس وأن يستقلوا بشؤون بلدتهم⁽¹⁾، وتطورت بريدة تطوراً كبيراً في عهد حمود بن عبد الله الدريبي وابنه راشد من بعده الذي أثر تأثيراً كبيراً في البلدة. وقد قُتل راشد في الفترة الواقعة ما بين عام 1190هـ وعام 1196هـ على يد حجيلان بن حمد حيث انتزع منه الإمارة انتزاعاً⁽²⁾.

إلا أن تاريخ نشأة بريدة كما دونه ابن عيسى لم يقنع العبودي وأبدى عليه عدة ملاحظات؛

أولها: انفراد ابن عيسى بالرواية ولا يُعرف مصدره، ونقل عنه من جاء بعده.

ثانيها: أن كلام ابن عيسى لا يُماشى الواقع المعروف إذ لا يصح أن يكون بين الرجل وحفيده مدة مائة وسبعين سنة. وينبغي أن يكون بين الدريبي الأول وحفيده أربعة أو خمسة أشخاص.

ثالثها: أن قبيلة عَنَزَة لم يكن لها أكبر النفوذ في تلك الفترة في القصيم، أي في القرن العاشر الهجري. وإنما النفوذ العظيم كان لقبيلة بني لام الذين ورثوا نفوذهم عن بني خالد الذين كان لهم السلطان على تلك المنطقة⁽³⁾.

ولعل الدريبي الأول هاجر إلى القصيم وكان في مجموعة من العناقر ثم تقابل مع ابن هذال في ضرية؛ وأن ابن هذال عرض عليه أن يدلّه على مكان في الشمال من بريدة مجاوراً لبلدة الشماس ويعطيه إياه، وكان

(1) الشعبي، منصور عبد الله، تاريخ نشأة مدن وقرى نجد ومعاني أسمائها، الرياض، ط1، 1434هـ ص 58-59.

(2) العبودي، معجم بلاد القصيم، ج 2، ص 487.

(3) السابق، ج 2، ص 472-477.

الدريبي يعلم أن ابن هذال ليس له ملك هناك ولكنه أراد أن يتقوى بصحبته ضد أهل الشماس، وتحالف الاثنان على ذلك.

وخلاصة القول: إن بريدة لم تكن مجرد ماء لابن هذال باعه على راشد الدريبي في آخر القرن العاشر الهجري. وإنما كان مكانها وما حوله معمورًا مأهولًا قبل ذلك التاريخ، وأن الدريبي وجماعته جاؤوا إليها وسكنوها مع ساكنيها قبلهم⁽¹⁾.

لا شك أن تاريخ الاستيطان وتكاثر السكان يعتبر مؤشرًا إلى أن هجرات أهل بريدة ونجد على العموم قد أخذت بالتزايد، والمرجح أن تكون في القرن الحادي عشر الهجري تدفعهم الأحوال الاقتصادية والمعيشة القاسية التي يمرون بها، خصوصًا أنهم عرفوا بأن لهم موطنًا قدم متمثلًا بمدينة الزبير سيستقبلهم، لينطلقوا بعد ذلك إلى بغداد ومنها إلى حلب ودمشق، كتجار أو عاملين في الجندية، أو ناقلي حجاج. وعند منتصف القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي، شكّل هؤلاء المهاجرون الذين أطلق عليهم لقب (العقيلات) تجمعات قوية لا يُستهان بها في مهاجرهم، فنجدهم على فئتين، فئة تعمل بالتجارة، وفئة تعمل بالجندية والحراسة⁽²⁾، أما العاملون بالجندية والحراسة فقد استعان بهم الباشوات في فرض الأمن بمناطق حكمهم أو في حروبهم، أو لحمايتهم⁽³⁾.

ونستطيع أن نخلص إلى القول بأن الوقت الذي قامت فيه هذه الفئة

(1) السابق، ص 478-481.

(2) اوبنهايم، البدو، ج3، ص 320-321.

(3) لونكريك، ستيفن هيمسلي، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ترجمة جعفر خياط، بغداد، ط4، 1388هـ/ 1968م، ص 222، 244، 257، 345.

يمتد إلى بضعة قرون خلت، حيث بدأت في الظهور خلال القرن الحادي عشر الهجري وبلغت أوج قوتها في القرن الثاني عشر والثالث عشر والنصف الأول من القرن الرابع عشر من الهجرة حيث توقف نشاطها تمامًا عام 1370هـ/ 1950م حينما حلت السيارة محل الإبل والخيول في الحياة العامة والمواصلات والنقل في البلاد العربية، وبالذات بين تجار نجد من العقيلات والبلاد العربية⁽¹⁾.

إضافة إلى ذلك، قد يكون السبب الأساس لتوقف رحلات العقيلات هو منع تصدير الإبل والخيول بعد قيام المملكة العربية السعودية، برسم حدودها، وكذلك المتغيرات الاقتصادية وظهور النفط في الجزيرة العربية، ووجود مجالات تجارية واسعة لهم في بلادهم. فبعد معركة تربة 1337هـ/ 1919م، أصدر الملك عبد العزيز آل سعود إلى أميره في بريدة فهد بن عبد العزيز بن معمر (1283 - 1339هـ)⁽²⁾ يطلب منه منع العقيلات من التعامل مع الحجاز وبالتالي تصدير الإبل إلى الأماكن المقدسة، بعد أن منع الشريف الحسين بن علي⁽³⁾ أهل نجد من الحج وتوترت العلاقة

(1) السويداء، عقيلات الجبل، ص 30.

(2) فهد بن عبد العزيز بن ناصر بن معمر: ولد في الرياض عام 1283هـ/ 1866م، ورحل في طفولته إلى سدوس ثم الكويت، كان ضمن الرجال الذين شاركوا الملك عبد العزيز بفتح الرياض، عين أميرًا على الدلم ثم على بريدة، قتل أثناء حصار حائل 1340هـ/ 1921م. (الروشد، عبد الرحمن بن سليمان، الستون رجلا خالدا الذكر طليعة استعادة الرياض وتوحيد المملكة، الرياض، دار الشبل، ط2، 1427هـ/ 2006م ص 133 - 134 - الرواد، دارة الملك عبد العزيز، 1419هـ ص 64).

(3) الحسين بن علي بن محمد بن عبد المعين بن عون (1270 - 1350هـ/ 1854 - 1931م) آخر - من حكم مكة من الأشراف الهاشميين، ولد في الأستانة حيث كان أبوه منفيًا بها، انتقل إلى مكة وعمره ثلاث سنوات، عين أميرًا لمكة سنة 1326هـ/ 1908م، قام بما هو معروف الثورة العربية سنة 1334هـ/ 1916م ضد العثمانيين، رحل منفيًا إلى جزيرة قبرص 1343هـ/ 1925م حيث أمضى بها ست سنوات ووافته المنية إثر مرضه، فحمل إلى القدس ودفن في المسجد الأقصى. (الزركلي، خير الدين، الأعلام، بيروت، دار العلم للملايين، ط 5، 1980م، ج2، ص 249 - 250).

بين نجد والحجاز. وقد جاء في خطاب الملك عبد العزيز الموجه إلى ابن معمر «ولما كانت الأمور فيما مضى أن القصد فيها مصالح وبيع وشراء ومنافع للناس والعرب وكنا تاركها بقايا الحاضر اليوم هذا تعين كل إنسان بوجه أن يخدمه أو يبيع عليه ويشتري فهو خارج من الدين والدنيا كافر في دينه مارج في دنياه، وهؤلاء الناس الذين يذهبون إليه واحد يكتب نفسه عقيلي وآخر يبيع ويشتري، ما رائح إلا مثل ما ذكرنا». ثم يقول «وأنت يا ابن معمر كل عقيلي عند الأشراف ويقدم فإني مؤمنه لا تعارضه، وأما الإنسان الذي يتم شهر شوال وما جاء أو يسافر بعد كتابنا هذا إليهم من جميع القصيم فما وجدت من ماله خذه وألحق به محرمه ولا يستقروا عندنا في نجد»⁽¹⁾. وكان من أثر هذا المنع وتوتر الأمور بين نجد والحجاز توقُّف العقيلات عن مهمة من مهماتهم التي برعوا فيها وهي نقل الحجاج. كذلك أصدر - رحمه الله - في عام 1368هـ/ 1948م إلى أميره في القصيم، الأمير عبد الله الفيصل بن فرحان آل سعود (1326 - 1427هـ)⁽²⁾ يحظر تصدير الإبل من نجد إلى الدول المجاورة كالعراق وسورية، وأبلغ هذا الأمر إلى أمراء المراكز الشمالية ومنهم الأمير عبد العزيز بن أحمد السديري (1327 - 1375هـ)⁽³⁾ أمير القریات.

(1) آل عبد المحسن، تذكرة أولي النهي والعرفان، ج2، ص 270.

(2) الأمير عبد الله بن فيصل بن تركي الفرحان آل سعود: ولد في الرياض سنة 1326هـ/ 1908م، تولى منصب أمير منطقة القصيم 1354 - 1366هـ ثم تولى منصب رئيس الحرس الوطني بين عامي 1374 - 1376هـ عاش عمراً مديداً وتوفي سنة 1427هـ/ 2006م، وكان زاهداً وقائداً وعالمًا في الدين (آل عبد المحسن، تذكرة أولي النهي والعرفان، ج4، ص 60 - صحيفة الجزيرة، عدد 13158، 6/ 10/ 1429هـ - موقع ويكيبيديا، الموسوعة الحرة).

(3) الأمير عبد العزيز بن أحمد بن محمد السديري: ولد سنة 1327هـ/ 1909م، تولى منصب أمير منطقة الجوف عام 1351هـ/ 1933م، وأميراً لمنطقة القریات ومفتشاً للحدود الشمالية هـ/ 1938م، ووزير الزراعة، توفي سنة 1375هـ/ 1956م. (صحيفة الجزيرة، عدد 13821،

وقام الشيخ عبد الله السليمان الحمدان (1305 - 1385هـ)⁽¹⁾، وزير المالية آنذاك، بشراء الفائض من الإبل عند بعض التجار والجماعات لإبقاء هذه الثروة الحيوانية الهامة داخل المملكة⁽²⁾.

وفي عام 1371هـ/ 1951م أصدرت جامعة الدول العربية توجيهاً يقضي بإيقاف قوافل العقيلات لتجارة الإبل من الرحلة إلى مصر، وأُغلق الطريق المؤدي لها لأن هذه الطريق التجارية تمر بفلسطين وفي ذلك خطورة على العرب من اليهود⁽³⁾، ليكتمل بذلك توقّف تجارة العقيلات مع كافة الأقطار العربية المجاورة.

الجَمَامِيل، الرّجِيلِيَّة، الحَدَرَات:

لعل من المفيد - دعماً للالتباس مع العقيلات - أن يتم التعريف ببعض المهن التي عرفها أهل نجد وعملوا بها إلى زمن قريب، وهي: الجَمَامِيل، والرّجِيلِيَّة، والحَدَرَات:

1 - الجَمَال: وجمعه جَمَامِيل، وهو الذي يمارس مهنته باستخدام الجَمَال؛ ويعمل في نقل الحطب والعشب والخشب والحصى للبناء، وما شابه ذلك، على ظهر جملة داخل البلدة.

2 - الرّجِيلِيَّة: أغلبهم جماعة من أهل عنيزة، كانت تقتصر مهمة

(1) عبد الله بن سليمان الحمدان: أول سعودي يحصل على لقب وزير، تولى وزارة المالية، ولد عام 1305هـ/ 1887م في عنيزة ودرس في كتابتها، ينتمي لأسرة الحمدان في القصيم من عنزة، توفي عام 1385هـ/ 1965م. (الزركلي، الأعلام، ج 4 ص 91 - جريدة اليوم، 2012/10/11م - مغربي، محمد علي، أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر للهجرة، جدة وتهامة للنشر، ط 1، 1404هـ/ 1984م، ج 1، ص 111 - 124).

(2) السويداء، عقيلات الجبل، ص 60.

(3) الحلبي، عصر العقيلات، ج 1، ص 110.

استخدام الإبل لديهم على نقل البضائع التي يجلبونها من خارج المنطقة، ما يعني أن لفظ جَمَال أشمل وأعم، فكل من يستخدم الجمل جَمَال على العموم، بينما كل الناس يميزون بين الرّحيلي المتخصص في استيراد البضائع من الموانئ والجمايل الذين ينقلون الأغراض للناس بالأجر⁽¹⁾ أما سرّ تسمية الرّحليّة بهذا اللقب فهو نسبة إلى ترحالهم بين الجبيل وعُزيزة، وبين الجبيل وبُريدة أو مكة المكرمة أو الكويت أحياناً إذا دعت الحاجة، أما مهماتهم فهي استيراد البضائع من المناطق المذكورة لبيعها في الأسواق المحلية، وقد يطلب أحد تجار عزيزة منهم استيراد بضائع له معهم. أما البضائع الرئيسة التي كانت تحملها القافلة فهي السكر والشاي والقهوة والهيل والقرنفل والأقمشة⁽²⁾.

وأكثر ما كان يُصدّر التمر السكري والسّمْن؛ فكان يوضع التمر (البييس)⁽³⁾ في صناديق الشاي الكبيرة فلا يستطيع الجمل أن يحمل أكثر من صندوقين، أما السمن فكان يوضع في جروم⁽⁴⁾ مصنوعة من الجلد. وتتكون كل قافلة من قوافل الرحيلية من رعية واحدة، والرعية مجموعة من الإبل تضمّ عند الرحليّة ما بين خمسة وأربعين إلى ستين رأساً من الإبل يقوم عليها أربعة أو خمسة رجال مهمتهم تحميل وتنزيل البضائع أثناء السفر ومحطات التوقف⁽⁵⁾.

(1) العبيد الله، ناصر بن علي، رحيلية عزيزة في ذاكرة الشيخ علي العبيد الله، ط1، الرياض، 1433هـ/2012م، ص 45.

(2) السابق، ص 62-63.

(3) التمر البييس: التمر الجاف أو اليابس. (السابق، ص 61).

(4) الجروم: مفرد جرم وهي الأكياس. وكانت تسمى (عِكة) إذا كانت مصنوعة من جلد الصخل الصغير من الغنم بعد دبغه وره بالتمر. أو (الظرف) إذا كان مصنوعاً من جلد الغنم الكبير بعد دبغه وره بالتمر. (المانع، عبد الرحمن عبد العزيز، معجم الكلمات الشعبية في نجد، ط1، 1418هـ د.ن. ص 137).

(5) العبيد الله، رحيلية عزيزة، ص 49.

تبدأ رحلاتهم الموسمية مع مطلع نجم سهيل⁽¹⁾ قرب نهاية شهر أغسطس وتكتمل ثلاث رحلات في العام قبل دخول القيظ بشهر مايو الذي تتوقف معه الرحلات لتُستأنف مجدداً مع ظهور سهيل مرةً أخرى.

تستغرق الرحلة من عنيزة إلى الجُبيل خمساً وعشرين ليلةً تقريباً وفي العودة تستغرق ثلاثين ليلةً تقريباً، وسبب هذا الفارق أن رحلة الذهاب كانت تتم من دون عناءٍ نسبياً لأن الجمال تسير من دون أحمال ما عدا (الحدايج)⁽²⁾، أما في العودة فيكون سير القافلة بطيئاً بسبب الأحمال التي تحملها الجمال، وتنقسم القافلة إلى ثلاث مجموعات:

- الأولى: تتكوّن من خمسة جمال تُسمّى (الركايب) ومهمتها حمل (الثاية)⁽³⁾.

- المجموعتان الثانية والثالثة: تتألف كلّ واحدة منهما من مجموعة من الإبل يبلغ تعدادها من عشرين إلى ثلاثين جملاً، يتبعها رجلان؛ (راع) يقود الإبل - جمال القافلة - و(ملحق) في آخر القافلة يعمل على تسير الجمال والاهتمام بما يتساقط مما تحمله القافلة أو ما يتخلف عنها من الإبل.

(1) سهيل: بإسكان السين وتخفيف الهاء، نجم جنوبي معروف، لا يتوسط قبة الفلك فوق الأرض، وإنما يدور جهة الجنوب. ويطلع بالنسبة لمن يكونون في وسط نجد يوم 24 من شهر أغسطس، ورؤيته دليل قاطع على انصرام فصل الصيف وقرب فصل الخريف. (العبودي، محمد بن ناصر، معجم الأنواء والفصول، الرياض، دار الثلوثة، ط1، 1432هـ/2011م، ص 123).

(2) الحدايج: جمع حداجة، رحل أي شداد، رث خشن يوضع على الإبل التي تحمل الأحمال بمثابة الوقاية لظهورها من أثر الحمل (العبودي، محمد بن ناصر، معجم السفر والارتحال عند العامة، الرياض، دار الثلوثة، ط1، 1433هـ/2012م، ص 85).

(3) الثاية: وتعني احتياجات المسافرين من الخيام والفرش وأواني الطعام والشراب. (العثيمين، عبد الله الصالح، تأملات في التاريخ والفكر، النادي الأدبي بالرياض، ط1، 1430هـ/2010م، ص 68).

ولدى الرحيلية كان لكل جمل اسم يُعرف به، ليم تفقده حين يغيب، وأيضًا تُعرف حملته⁽¹⁾. ولم تكن رحلاتهم بالسهلة أو اليسيرة، فإضافة إلى ما يعانون من مشقة الطريق، قد لا يجدون أحيانًا بضائع في الجبيل إذ قد يتسبب الطقس السيئ في تأخر سفن البضائع، عند ذلك يجب عليهم الانتظار الذي قد يطول من أسبوع إلى عشرة أيام، وهذا ما يزيد من معاناتهم.

الحَدَرَات:

هي قوافل تموين⁽²⁾ وتجارة. لم يكن عملها من صميم عمل العقيلات، فقوافل العقيلات للمواشي بالدرجة الأولى أما هذه فللتموين. إلا أن لبعض العقيلات إسهامًا فيها من حيث الحماية والدلالة والتعريف بالطرق التي يرتادونها، ويشبه اختصاصها اختصاص العقيلات وعملهم في الرحلة خارج نجد أو خارج الجزيرة العربية للتجارة.

وتُسمى هذه القوافل (الحَدَرَات) واحداً حَدْرَة⁽³⁾، أو (الهيبط)، أو (الكيل) واسمها مشتق من الانحدار أو الهبوط للأسواق في موانئ الخليج العربي كالأحساء والقطيف والجبيل، أو إلى الكويت والعراق مرورًا بالبصرة والزيبر والسماعة وبغداد والنجف، وقد تذهب غربًا إلى موانئ البحر الأحمر؛ مثل ينبع ورابغ، أو إلى مكة المكرمة والمدينة

(1) العبيد الله، رحيلية عنيزة، ص 56.

(2) العريفي، أحمد الفهد، مقامات حاثلية، الرياض، 1431 هـ د.ن.، ج 2، ص 216.

(3) الحدره: هي القافلة الكبيرة التي كانت تسافر بين نجد والعراق. كأنهم سموها بذلك لأنها في ذهابها تنحدر إلى العراق من نجد، لأن نجدًا مرتفعة عن العراق، جمعها حدرات، والفعل منها انحدر وليس حَدَرَ والذي يذهب مع الحدره، حَذَار. (العبودي، معجم السفر والارتحال عند العامة، ص 86).

المنورة، كما تتجه إلى الشام في بعض الأحيان لجلب الحبوب، وتخص البادية والقرى أكثر من غيرها، وتهتم بالمواد التموينية والأطعمة بصفة رئيسية كالتمر والحبوب.

ولعل سبب تسمية الحدرات أو الحدرية أنها تسير في انحدار لأن بلاد نجد أعلى من مناطق العراق والخليج من حيث الجغرافية، والحجاز أعلى من نجد فـ «السفر نحو الشمال يُسمى (حدر) و(طرش حدر) يعني الذهاب نحو الأسفل، بينما يُسمى السفر باتجاه الجنوب الغربي (سند)⁽¹⁾ يسند ويعني في الواقع الصعود نحو الأعلى لأن شبه الجزيرة العربية تنحدر من الغرب نحو الشرق»⁽²⁾. وللحدرات انطلاقتان رئيستان إحداهما في موسم جَدَاد⁽³⁾ التمر للاكتيال من هذه المادة الغذائية الأساسية، والثانية في موسم الحصاد عند الاكتيال من الحبوب بعد تصفية حبوب زرع الشتاء، أي في آخر فصل الربيع وبداية فصل الصيف، بالإضافة إلى رحلات متفرقة أخرى كلما دعت الحاجة إلى ذلك في مدة لا تقل عن شهرين؛ وبمعنى آخر قد تقوم بسِتَّ إلى ثماني رحلات في السنة بما في ذلك الرحلتان الرئيستان، ويقوم بهذه الرحلات أبناء البادية أو أبناء القرى أنفسهم حيث يتولون ترتيب هذه القوافل وقيادتها وحمايتها من نقطة انطلاقها حتى وصولها إلى وجهتها ثم عودتها ثانية. ولها من التنظيم

(1) سَنَد: سَنَد الرجل إذا سافر إلى جهة مرتفعة، وكانوا يقولون لمن يسافر إلى الحجاز سَنَد وهو مُسَنَدٌ بتشديد النون، ولما كان التسنيد الذهاب في المكان المرتفع ضد الانحدار وهو السفر إلى أماكن منخفضة، ورد لفظ سَنَد مقابلاً بلفظ حَدَر. (العبودي، معجم السفر والارتحال عند العامة، ص 214 - 215).

(2) هيس، جوهان جاكوب، بدو وسط الجزيرة العربية، ترجمة محمد كبيبو، بيروت، دار الوراق، ط 1، ص 119.

(3) جَدَاد النخل: صرمه، وهو قطع أعذاقه التي فيها التمر عندما تدرك في نحو شهر أيلول/ =

والترتيب ما لقوافل العقيلات، إلا أن الذين يشرفون عليها في الغالب هم أهلها وأصحابها، وأحياناً يحتاجون للاستعانة برجال من عقيل إذا كانت هذه القوافل ستخترق المنطقة التي يكون للعقيلات جاءٌ وحمايةً فيها فيقطعونها بمعرفتهم وحمايتهم حتى تصل إلى هدفها وتعود إلى نقطة انطلاقها، أما إذا كانت تحركاتها في مناطق داخلية فإن أهلها هم الذين يتولون حراستها وإرشادها وقيادتها والدفاع عنها مما قد يعترض سبيلها من أعداء متربصين أو لصوص وقطّاع طرق⁽¹⁾.

وتنقسم قوافل الحدرات إلى ثلاثة مستويات:

1- مستوى كبير: ويمثل القافلة الكبيرة الرئيسية التي تنطلق مرتين في السنة لجلب التمور والحبوب، وهذه تكون لفرع القبيلة الذين يضمهم حي واحد ويكون لكل فرد من هذه القبيلة اشتراك في هذه القافلة حسب مقدّراته، ويتراوح عدد الإبل في مثل هذه القافلة ما بين ثلاثمائة إلى ألف جمل، يحمل كل جمل كيسين من الطعام المكون من التمر أو الحبوب على مختلف الأصناف.

2- مستوى متوسط: يتراوح عدد الإبل فيه من مائة إلى ثلاثمائة جمل، وتحمل ما بين مائتين إلى ستمائة كيس من الطعام، ومثل هذا المستوى تتكون عناصره من أفراد القبيلة الذين يرتادون مناطق التموين والحواضر لغرض التجارة بالسلع التي يتطلبها سكان الحي أو من الذين ينفذ ما عندهم من الطعام.

= سبتمبر وتشرين الأول/ أكتوبر، وشمرة التمر أخذه من شماريخه. (العبدوي، محمد بن ناصر، معجم الطعام والشراب، الرياض، دار الثلوثة، ط1، 1436هـ/ 2015م، ج1، ص 145).

(1) السويّداء، عقيلات الجبل، ص 51-52.

3- المستوى الثالث: ويمثل القوافل الصغيرة التي يقل عدد الإبل فيها عن مائة جمل، وهذه تُتخذ للإمداد السريع، سواء بالطعام أو غيره كالقهوة والهيل والقرنفل ونحو ذلك.

وفي الغالب، فإن أبناء البادية لا يكترون من إحضار الأطعمة لئلا يعرقل تخزين كثير الطعام تنقلهم في الحل والترحال ولاسيما أنهم بدو رحل يسرون وراء الكلاء والماء، فإن أكثروا من الطعام أثقل عليهم مع ما معهم من أمتعة وأجهدهم في النقل، ولذلك فهم يميلون إلى التزود بالطعام عدة مرات في السنة إلا التمر فإنه في موسمه الوحيد، فيلجؤون إلى رفاقهم من الحضر يستودعونهم ما يزيد عن حاجتهم من الطعام ليترددوا عليهم آجلاً لعدة مرات للأخذ من هذا الطعام المودع لديهم بقدر حاجتهم سواء كان ذلك تمرًا أو حبوبًا أو أقطاً⁽¹⁾.

(1) السابق، ص 54-55.

الفصل الأول

أصل العقيلات في سورية التاريخ والانتشار

شمال شبه الجزيرة العربية :

قد يسأل سائل: ما المقصود بشمال شبه الجزيرة العربية...؟ وأين ينتهي حدّ شبه الجزيرة...؟ وما المقصود بشمالها...؟ وهل حدّ الجزيرة العربية هو الحدود الشمالية للمملكة العربية السعودية أو أنه يمتدّ إلى الشمال من ذلك...؟ وما علاقة الشمال بالشام أو الشّام...؟ وقول أهل تهامة في مَنْ اتّجّه شمالاً: شاءم (شاييم) ومن اتجه جنوباً: يَمَن⁽¹⁾.

لعل المنطقة التي تمتد ما بين تيماء ومعان غرباً إلى ما بين حائل وجبل العرب (السويداء) شمالاً، فشُطآن الفرات شرقاً تمثل بيئةً جغرافية صحراوية متجانسة في كل مواصفاتها. إذ تتصل صحراء النفود بباديتي الشام والسّماوة اتصالاً طبيعياً، فقد كانت هذه المنطقة قديماً فاصلاً طبيعياً وكان إحداها تمثّل امتداداً للأخرى، كما كانت تمثل فاصلاً طبيعياً بين بلاد العرب في شبه الجزيرة العربية وبين بلاد الشام والعراق

(1) جبر، يحيى عبد الرؤوف، شمال شبه الجزيرة في مصنفات الرحالة، الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية، الرياض، دار الملك عبد العزيز، 1424هـ ج1، ص 287.

(الهلal الخصب) المأهولة بأقوامٍ يمثل العرب سوادهم الأعظم منذ القدم.

أغرى ذلك بعض المؤرخين والجغرافيين بمدّ حدود شبه جزيرة العرب شمالاً إلى هضبة الأناضول، وغرباً إلى ضفاف النيل الشرقية بإدخال شبه جزيرة سيناء وشرقي مصر في حدها. وقد تصل هذه الحدود إلى خط الفرات حيث كان محروساً كطريق عسكري عام يصل النهر بالتلال الواقعة فوق دمشق، وعندما فقد الفرات أهميته في أن يكون الحدود الحقيقية للجزيرة العربية، أو أن يكون الطريق العام المؤدي عبر حاجز تدمر إلى القبائل هناك، زال الخط الوهمي الذي حدده الجغرافيون القدماء، وأصبحت الجزيرة العربية الشمالية تضم كل المقاطعة الواقعة ما بين سورية وبلاد فارس، وتمتد شمالاً حتى أورفا وماردين؛ وعلى كل حال فالجزيرة والعراق والسهول الواقعة شمال تدمر هي بطبيعة الحال جزء من الجزيرة العربية حيث تُشكل مع الحِمَاد وحدة متجانسة فريدة تتفق سماتها الطبيعية مع العرق الذي يستوطنها، فقبائل شمر وعِزّة والمنتفق هم عربٌ أقحاح كأقاربهم في نجد، وقرويو الفرات والجوف هم كأولئك الذين في اليمن والحجاز، ومن المحتمل فعلاً أن تكون القبائل الكبيرة المالكة للجَمال في البوادي الشمالية تمثل الحضارة القديمة للجزيرة العربية أكثر مما يمثلها سكان جنوبيها.

وعلى هذا يمكن القول إن الجزيرة العربية ليس لها حدود أخرى غير حدود البادية⁽¹⁾.

في حقيقة الأمر، تمثل هذه المنطقة وحدة حضارية واجتماعية منذ

(1) بلنت، قبائل بدو الفرات عام 1878، ص 401 - 402.

عصور بعيدة، ناهيك عن تجانسها البيئي الذي أسهم في توحيد نمط حياتها وتحضرها ونسيجها الاجتماعي بشكل واضح. ولعل أظهر ما تكون ملامح هذه الوحدة هي منطقة خليج العقبة والنقب التي تجمع بين السعودية والأردن وفلسطين ومصر، وفي منطقة وادي السرحان التي تجمع بين السعودية والأردن والعراق وسورية وإن لم تكن متاخمة لها. لذلك فإن هذه المنطقة كانت تمثل عازلاً جغرافياً بين الشمال والجنوب ولاسيما أولئك الذين لا يتسبون للمنطقة، فلم يتمكن الروم من اجتيازها إلى الجنوب وكذلك الفُرس ما يعني أن أحداً ما كان يقدر على رسم حدٍّ لشمال شبه الجزيرة العربية، فهذه المنطقة جزءٌ منها. بل إنَّ العرب يتجاوزونها شمالاً وغرباً.

كان للرحلات إلى شبه الجزيرة العربية في العصر الحديث التي قام بها العديد من الرحالة الأجانب الفضل الكبير في تدوين تاريخ هذه المنطقة لما تلا هذه الرحلات من مؤلفاتٍ تعددت دوافعها وأنشطتها، فكان بعضها يهدف إلى البحث العلمي أو خدمةً لأغراضٍ استعمارية، حيث لم تسلم هذه الرحلات من التوظيف لأغراضٍ عدوانية حتى ما كان منها متشعّباً بثوب العلم والبحث، ولا شك أن هناك رحالة منصفون تمكن الباحثون من الاستفادة الوافرة من مؤلفاتهم ومشاهداتهم عن الجزيرة العربية، ومهما كانت أهداف هؤلاء الرحالة الذين عانوا أقسى المشقات ليصلوا إلى ما وصلوا إليه، وليقدموا ما قدموه خدمة للمعرفة في بلادهم في ذلك الوقت، وخدمة للمعرفة في بلادنا في الوقت الحالي. لقد كانت مؤلفاتهم عن شبه الجزيرة العربية هي المصدر الغني بالمعلومات التي تمكّن الكثير من الباحثين حديثاً من الاستفادة منها في الكتابة عن تاريخ هذه المنطقة.

الحدود الحديثة في دول شبه الجزيرة العربية :

لم تشكل الحدود أية أهمية قبل اندلاع الحرب العالمية الأولى عام 1332 هـ/ 1914م، لأن الدولة العثمانية كانت تحكم البلاد العربية، ولم تكن قضية تحديد الحدود تشغل بالحكام أقاليم الجزيرة العربية. وكانت الجزيرة العربية تلتحم ببلاد الشام التي ينتهي حدها بسفوح جبال طوروس شمالاً، «ما كان من جهة الشام على ضفة الفرات فهو شام، وما كان على الضفة الأخرى من الشرق فهو عراق. وتدخل دومة الجندل (الجوف) في الجنوب في جملة الشام، كما أن أيلة (العقبة) هي آخر الحجاز وأول الشام، ومعان نصفها للشام ونصفها للحجاز، فيقال معان الشامية ومعان الحجازية»⁽¹⁾.

ولكن بعد الحرب، أحدثت كل من فرنسا وبريطانيا تطورات هائلة في منطقة بلاد الشام والرافدين، وكان أبرز التغيرات التي حصلت هو إنشاء المملكة العراقية في عام 1340 هـ/ 1921م وتعيين فيصل بن الحسين⁽²⁾ ملكاً على عرش العراق، وإنشاء إمارة شرق الأردن في العام نفسه، وتعيين عبد الله بن الحسين⁽³⁾ أميراً على الأردن. ومن الطبيعي ألا يكون الملك

(1) علي، محمد كرد، خطط الشام، دمشق، مكتبة النوري، ط2، 1403 هـ/ 1983م، ج1، ص 9-10.

(2) فيصل بن الحسين بن علي الحسيني الهاشمي: ولد في الطائف عام 1300 هـ/ 1883م، رحل مع أبيه عندما أبعد إلى الأستانة سنة 1308 هـ/ 1891م، وعاد معه سنة 1327 هـ/ 1909م، واختير نائباً عن مدينة جدة في مجلس النواب العثماني، ثار والده على العثمانيين سنة 1916م، تولى قيادة الجيش الشمالي إلى جانب القوات البريطانية، نودي به ملكاً على سورية 1338 هـ/ 8/ 3/ 1920م، وعندما احتل الجيش الفرنسي سورية في 24/ 7/ 1920م، رحل إلى أوروبا، وكانت الثورة على الإنكليز مشتتة في العراق، فدعته الحكومة البريطانية لحضور مؤتمر عقدته في القاهرة سنة 1339 هـ/ 1921م، ونودي به ملكاً على العراق، توفي بالسكتة القلبية عام 1352 هـ/ 1933م (الزركلي، الأعلام، ج5، ص 165-166).

(3) عبد الله بن الحسين بن علي بن محمد الحسيني الهاشمي: ولد بمكة عام 1299 هـ/ 1882م، =

عبد العزيز مرتاحاً لقيام بريطانيا بإنشاء عرشين هاشميين على حدود بلاده، إضافة لوجود أبيهم ملكاً على الحجاز. وبدأت الأوضاع تتردى والتوتر يزداد على الحدود العراقية السعودية، وظلت مشكلة الحدود وتبعية القبائل على حدود الدولتين من أبرز المسائل التي خيمت على العلاقات السعودية - العراقية منذ نهاية الحرب العالمية الأولى.

ومن القبائل التي حاول الملك عبد العزيز ترويضها وكبح جماحها ومنعها من إثارة المشاكل مع الحكومة العراقية قبائل مطير والعجمان والمتفق وشمر والرولة والظفير، وغيرها من القبائل التي اعتادت على الغزو والتنقل المستمر ما بين العراق والسعودية والأردن والشام، وعندما أراد الملك عبد العزيز تقييد حركة تنقل القبائل، ردّ هؤلاء على ذلك بأنهم لا يعترفون بحدودٍ تفصل بينهم وبين عشائرتهم ومراعيهم ولذلك فإن المفاوضات التي دارت حول مشكلات الحدود كانت تصطدم بعدة عقبات منها أن البدوي لا يعرف شيئاً اسمه الحدود، ولا توجد هناك معالم واضحة لتكون حداً فاصلاً بين الدولتين⁽¹⁾.

في ضوء التطورات المتلاحقة على الحدود الشمالية رشحت الحكومة البريطانية السيد جلبرت كلايتون (Sir Gilbert Clayton) مفوضاً لحل

= وتلقى مبادئ العلوم في الأستانة أيام إقامة أبيه فيها، عاد مع أبيه إلى الحجاز سنة 1326هـ - وسمي نائباً عن مكة، قام مع أبيه بالثورة على العثمانيين سنة 1334هـ/ 1916م، وعندما استولت فرنسا على سورية، أرسله أبوه على رأس قوة صغيرة إلى معان، ونهيات له أسباب الدخول إلى عمان، فدخلها سنة 1339هـ/ 1921م، وانعقدت عليه الآمال، فأسس إمارة شرقي الأردن، وسمي ملكاً سنة 1365هـ/ 1946م فتحول اسم إمارة شرقي الأردن إلى المملكة الأردنية الهاشمية، قتل بطلق ناري في المسجد الأقصى بالقدس عام 1370هـ/ 1951م (الزركلي، الأعلام، ج4، ص82).

(1) ساعاتي، أمين، الحدود الدولية للمملكة العربية السعودية - التسويات العادلة، القاهرة، المركز السعودي للدراسات الاستراتيجية، ط1، 1412هـ/ 1991م، ص 107 - 108.

المسائل المتعلقة بين نجد والعراق وكان كلايتون مكلفاً بمهمة تسوية الحدود بين نجد وشرقي الأردن⁽¹⁾، وبدأت المناقشات بتاريخ 21 ربيع الأول 1344هـ/ 10 أكتوبر 1925 في بحرة قرب جدة نظراً لانشغال الملك عبد العزيز في حصار جدة، وكانت مسألة منطقة الجوف ووادي السرحان أول مشكلة تعترض المناقشات، حيث تبين بأن بريطانيا كانت ترغب بضم الجوف إلى شرقي الأردن، ولكن الملك عبد العزيز عارض بشدة ترسيم الحدود الشمالية بأسلوب يربط شرقي الأردن والعراق ويفصل نجد عن سورية، وأكد بأن الجوف ومنطقة وادي السرحان جزء من بلاده⁽²⁾. بالإضافة إلى أن هذا الترتيب يعزل رعاياه عن أسواق سورية، في الوقت الذي كانت ترى فيه بريطانيا ربط حدود شرقي الأردن بالعراق هو ضرورة لتعزيز وجودها، ولضمان مركزها وضمان مواصلاتها، إضافة لرغبتها ألا يفصل بين العراق وشرقي الأردن إقليم نجد بينهما. وأخيراً اضطر كلايتون إلى أن يقبل بالواقع بأن تكون منطقة الجوف جزءاً من البلاد الخاضعة لسلطة الملك عبد العزيز.

وفي 15 ربيع الثاني 1344هـ/ 2 نوفمبر 1925م تم توقيع اتفاقية حدّة، وتم بموجبها ترسيم الحدود بين الأردن ونجد، وأصبحت الجوف بحكم الواقع المتوّج بالاتفاق خاضعة للملك عبد العزيز الذي حصل على كافة السهول والمنحدرات لوادي السرحان لتوفير المراعي لسكان المنطقة. وتناول البند (12) موضوع حرية المرور للمسافرين والحجاج من البلدين.

(1) آل زلفة، محمد بن عبد الله، مفاوضات الملك عبد العزيز حول الحدود الشمالية والشمالية الغربية للمملكة العربية السعودية في يوميات وتقارير جليبرت كلايتون، الرياض، دار بلاد العرب، ط3، 1435هـ/ 2014م، ص 17.

(2) آل سعود، خالد بن ثنيان، العلاقات السعودية البريطانية، الرياض، مكتبة العبيكان، 1998م، ص 92.

وبموجب البند (13) تعهدت بريطانيا بضمان حرية العبور للتجارة بين نجد وسورية، وإعفاء البضائع العابرة ذهاباً وإياباً من الجمارك، وتقديم التسهيلات للقوافل التجارية التي تقتصر تجارتها على الإبل والحيوانات الأخرى⁽¹⁾.

أما في ما يتصل بالحدود العراقية، فقد تم إبرام اتفاقية بحرة بين الملك عبد العزيز والحكومة البريطانية يمثلها كذلك كلايتون نيابة عن الحكومة العراقية، وكان توقيع هذه الاتفاقية في 14 ربيع الثاني 1344هـ/ 1 نوفمبر 1925م، أي أن اتفاقية حدة كانت في اليوم التالي، وقد نظمت هذه الاتفاقية المسائل القبلية وحركة المرور للرعي والتجارة⁽²⁾. وهكذا فإن اتفاقيتي، حدة وبحرة، بين الحكومة البريطانية ومندوبها الذي مثل الأردن وحكومته، والعراق وحكومته، وبين الملك عبد العزيز آل سعود قد حددت الحدود الشمالية بين الأردن ونجد، أو بين العراق ونجد، وحلت المسائل المرتبطة بها.

(1) آل زلفة، محمد بن عبد الله، مفاوضات الملك عبد العزيز، ص 217 - 222.

(2) السابق، ص 235 - 239.

عوامل الهجرة وأسباب النزوح

كانت الأحوال المعيشية التي اعتمد عليها سكان الجزيرة العربية عموماً ونجد على وجه الخصوص تتركز على التجارة والزراعة، فالتجارة تتمثل في حركة القوافل بين الشمال والجنوب ثم بين هذه المدن التجارية الكبرى خارج الجزيرة في الشام والعراق، والتجارة نزعةً أصيلةً في العربي نشأت عنده نتيجة الحلّ والترحال بتبعه لمساقط الغيث في رعي إبله وخيله وأغنامه. وكذلك الأمر في الزراعة فهي معتمده الثاني في مصادر عيشه، وهو يدفع ما يحصل عليه من نتاج أرضه في طريق التسويق أو ما يستورده من نتاج إبله وبقية أنعامه إلى الأسواق الخارجية يبيع ويشترى ويتبادل المنافع. وكانت الحاجة تدعو هذه الفئة التجارية أو تلك إلى أن تنشئ لها «مراكز تجمع» في بعض المدن والأقطار التي تصلح لتدوير شؤون التجارة، وبمرور الزمن تصبح هذه المراكز أساساً لتجمع قسم من هؤلاء التجار أو موقفاً لاستقرارهم وأبناء بلدتهم المهاجرين. ولا شك أن من الصعب على الإنسان ترك وطنه والهجرة إلى وطن آخر للاستقرار فيه بشكل دائم، أو أن يتخذ موقفاً دائماً له ولأسرته. وهذا ما حدث لأهل نجد عبر مئات السنين حيث ترك بعضهم مواطنهم مهاجرين إلى مواطن أخرى من جهات متعددة، فذهبوا شمالاً إلى بلاد الشام (سورية وفلسطين والأردن) وغرباً إلى بلاد النيل، وشرقاً إلى بلاد الرافدين وبلدان الخليج العربي. واستقرّ الكثير منهم في تلك الأصقاع ليشكلوا ما هو معروف بـ (العقيلات).

وتنحصر أسباب النزوح أو الهجرة في عاملين أساسيين:

1 - العامل الاقتصادي وتحسين أحوال المعيشة ويندرج تحت

هذا المسمى التجارة والرحلات التجارية التي أطلق عليها اسم رحلة العقيلات.

2- العامل الأمني والسياسي

العامل الاقتصادي:

بلاد نجد، كما هو معلوم، هضبة صحراوية تتخللها الوديان والشعاب، وأمطارها شتوية تجود أحياناً وتشح أحياناً أخرى وربما تنقطع في بعض السنين، وهذه الأمطار هي التي يعتمد عليها سكان المنطقة في شربهم وزراعتهم والتي بمعظمها النخيل والحبوب كالقمح والشعير والذرة، فإذا ما شحّت الأمطار أو انقطعت حصل الجفاف وغارت الآبار وعمّ القحط البلاد.

صيفها حار جاف تهب فيه العواصف الرملية والترابية، وشتاؤها بارد قارس قليل الأمطار، أما الطقس في الخريف والربيع فمعتدل، وتهطل فيهما الأمطار أحياناً، ونظرًا لاعتماد أهل نجد كلياً على مياه الأمطار فإننا نراهم قد أقاموا مدنهم وقراهم بالقرب من الوديان التي تتجمع فيها السيول.

ونتيجةً للجفاف الذي يؤدي إلى القحط، اضطر بعض السكان للهجرة من بلدنهم نجد إلى بلادٍ أخرى تتمتع بالرخاء الاقتصادي لوفرة أمطارها ومياه أنهارها وغزارة مياه آبارها مع ما تتمتع به من خصوبة الأراضي ونجاح الزراعة فيها من الأشجار المثمرة كالنخيل والفواكه، وكذلك تربية الماشية وغير ذلك من نعم الله الأخرى.

وكان التفكير في النزوح نحو الشمال والشمال الشرقي لمواصلة

الرحلة إلى مناطق أكثر عطاءً وأكثر أمانًا كالعراق والشام، فمن العقيلات من اتجه إلى بغداد أو سورية مردين «الشام شامك إلى من الدهر ضامك»، ولذلك أُطلق على هؤلاء المهاجرين من العقيلات اسم «المشومة» أي المتجهون إلى الشام⁽¹⁾.

وقد أشار الكثير من مؤرخي نجد إلى تلك السنين العجاف التي دفعت البعض إلى الهجرة لبلاد أخرى طلبًا للرزق والمعيشة والكلاء. فمن أولئك المؤرخين ابن بشر حيث يقول:

- في حوادث سنة 1046هـ: «وقع غلاء، ومَحَل في البلدان، وكان وقت شديد سمي (بلادان)»⁽²⁾.

- في حوادث سنة 1087هـ: «كُثِر فيها الجراد، وكُثِر موت الناس من شدة الوقت والغلاء والجوع، وهي منتهى الوقت المعروف (بجرادان)»⁽³⁾.

- ويقول في حوادث سنة 1128هـ: «وفيه غارت الآبار، وغلّت الأسعار، ومات مساكين جوعًا إلى سنة 1131هـ»⁽⁴⁾.

- ويقول في حوادث سنة 1136هـ: «عمّ المحل والغلاء والقَحْط؛ من الشام إلى اليمن في البادي والحاضر، وماتت الأغنام وكل بعير يُشال عليه الرّحل، وهُكِّل أكثر البوادي في البلدان وغارت الآبار وجلا أهل سدير ولم يَبْقَ في العطار إلا أربعة رجال، وغارت آباره حتى لم يَبْقَ في بلدة العودة والعطار إلا بئران في كل بلد، وجلا كثير من أهل نجد إلى

(1) الصانع، والعلي، إمارة الزبير بين هجرتين، ج1، ص 57.

(2) ابن بشر، عنوان المعجد، ج2، ص 321.

(3) السابق، ج2، ص 334.

(4) السابق، ج2، ص 362.

الأحساء والبصرة والعراق، وفي هذه السنة والتي تليها تلفت بَوادي حرب والعمارات من عنزة وتلفت جملة مواشي بني خالد وغيرهم، وكان الأمر فيه كما قال بعض أدباء أهل سدير:

غدا الناس أثلاثًا فثلثٌ شريدةٌ يُسلاوي صليب البين عارٍ وجائعُ
وثلثٌ إلى بطن الثرى دفن ميت وثلثٌ إلى الأرياف جالٍ وناجعُ⁽¹⁾

- وفي سنة 1137هـ: «وصل المحل والقحط والغلاء إلى الغاية في هذا الوقت الشديد المسمى (بسحى)، ومات أكثر الناس جوعاً، وفي التي قبلها، ومات أكثر بَوادي حرب وبوادي الحجاز، وغلا الزاد في الحرمين حتى لا يوجد ما يباع وأُكِلت جِيف الحمير.

وفيها أنزل الله الغيث، وكثُرَت السيول والخصب والنبات في كل مكان، ولم تزل الشدة والموت والجوع، وماتت الزروع في كل ناحية بسبب (الصفار) حتى في الشام وذلك لكثرة المطر والسيول، وكثُرَ فيها الدَّبَا والخِيفان»⁽²⁾.

- ويقول في حوادث 1181هـ: «وهذه السنة هي أول القحط المعروف (بسوقة) غارت فيها الآبار وغلت الأسعار ومات كثير من الناس جوعاً ومرضاً وجلا أكثر الناس في هذه السنة والتي تليها إلى الزبير والبصرة والكويت وغيرها»⁽³⁾.

- ويقول في حوادث 1197هـ: «وهذه السنة أول القحط المسمى

(1) السابق، ج2، ص 365-366.

(2) السابق، ج2، ص 366-367، (الدَّبَا: صغار الجراد والخِيفان: هي الدبا إذا كبرت وطارت).

(3) السابق، ج1، ص 105.

(دالوب) قلّت فيه الأمطار وغلت الأسعار واشتدّ الغلاء والقحط والجوع في السنة التي بعد هذه السنة واستمر إلى تمام المائة وبلغ سعر الحنطة والذرة مُدَّين (بالمحمدية) والتمر وزنة ونصف، ومات أناس جوعاً من النساء والرجال والأطفال والبهايم، فأمر عبد العزيز (يقصد الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود) بصدقات للضعفاء من أهل البلدان وفرّق عليهم شيئاً كثيراً رحمه الله وعفا عنه⁽¹⁾.

- وفي حوادث سنة 1224هـ: «اشتد الوباء والمرض خصوصاً بلدة الدرعية، فمكث على ذلك الحال إلى شهر جمادى ومات فيها خلق كثير من الغرباء والسكان حتى أتت عليه أيام يموت في اليوم الواحد ثلاثون أو أربعون نفساً»⁽²⁾.

- ويقول في حوادث سنة 1253هـ: «كان الغلاء والقحط على حاله وجلا كثير من أهل سدير للشمال»⁽³⁾.

وما يتعلق بهذا الأمر أيضاً، ما ذكره الشيخ إبراهيم بن صالح بن عيسى (1270 - 1343هـ) حيث ذكر الحوادث من حيث انتهى ابن بشر سنة 1268هـ وانتهى إلى سنة 1340هـ.

- يقول «وفي سنة 1065هـ القحط الشديد المسمى (هبران)». وفي سنة 1072هـ «وهي أول القحط والغلاء العظيم المسمى (صلهام)، هلك فيه بوادي عدوان وغيرهم، واستمر إلى سنة 1078هـ، وأكلت الميتات والكلاب، واشتدت الحال على أهل مكة المشرفة، وفيهم من باع أولاده.

(1) السابق، ج1، ص 153 - 154. (المحمدية: عملة متداولة بذاك الوقت).

(2) السابق، ج1، ص 299.

(3) السابق، ج2، ص 161.

وفي سنة 1079هـ أَرخص الله الأسعار وكثرت الأمطار وأخصبت الأرض وسمى أهل نجد هذه السنة (دلهام رجعان صلهام)⁽¹⁾.

- ويقول في حوادث سنة 1287هـ: «وفي هذه السنة وقع الغلاء الشديد والقحط في نجد واستمر الغلاء والقحط إلى تمام سنة 1289هـ»⁽²⁾.

- ويقول في حوادث سنة 1289هـ: «اشتد الغلاء والقحط في نجد، وأكلت الميتات وجيَّف الحمير وعَظُم الأمر ومات كثيرٌ من الناس جوعاً في هذه السنة والتي قبلها كما ذكرنا، وجلا كثيرٌ من أهل نجد للحسا والزبير والبصرة والكويت، واستمر ذلك إلى دخول السنة التي بعدها، أنزل الله الغيث وأخصبت الأرض ورخصت الأسعار فلله الحمد والمِنَّة»⁽³⁾.

ولم تكن هذه الكوارث والمصائب التي تحل بالبلاد هي السبب الاقتصادي الوحيد للهجرة بل كان التغرب عن الوطن في ذلك الزمن مصدرًا هامًا من مصادر الرزق وتحسين المعيشة.

كما كان لهذه الهجرات مكانتها في حياة بدو الجزيرة العربية في كل العصور، فإن الحاجة إلى الكلاء كانت تدفعهم لترك أواسط الجزيرة العربية إلى البوادي الأخصب في سورية وبلاد الرافدين⁽⁴⁾.

ومنذ القِدَم امتاز أهل نجد عمومًا، والقصيم خصوصًا، بالرحلات الدائبة والحركة المستمرة في سبيل البحث عن مصادر الرزق. فالقصيم

(1) ابن عسَى، إبراهيم بن صالح، تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ووفيات بعض الأعيان وأنسابهم وبناء بعض البلدان (من 700هـ إلى 1340هـ)، أشرف على طبعه: حمد الجاسر، الرياض، منشورات دار اليمامة، ط1، 1386هـ-1966م ص 60-62.

(2) السابق، ص 181.

(3) السابق، ص 184.

(4) بلنت، رحلة إلى نجد، ص 344.

تشابه مع مناطق الحدود في كثرة اتصالها مع البلدان المجاورة، بالرغم من أنها تقع وسط الجزيرة العربية - كما يقول داوتي - أما سكانها فقد انتقلوا من البداوة إلى الحضر، وثالث هؤلاء السكان يعملون في القوافل التجارية التي تنطلق بتجارتها إلى البلاد المختلفة، ويغادر القصيم أبناؤها إلى مناطق أخرى، وهم في ريعان الشباب للبحث عن الثراء، خصوصاً وأنهم من المزارعين أو صغار الباعة، حيث اضطهرهم الفقر إلى الهجرة طلباً للرزق، فيعمل بعضهم في الجندية والحراسة ضمن مجموعات العقيلات، في بغداد أو دمشق أو المدينة المنورة، أو لدى الدولة العثمانية. وبسبب هجرة فئة كبيرة من أهل القصيم إلى بلاد الرافدين أو بلاد الشام نلاحظ أن هذه المنطقة أخذت طابع البلاد التي تتعامل معها⁽¹⁾.

وينقل صاحب لمع الشهاب وصفاً لهمة أهل نجد في التجارة وحركتهم الدائبة في سبيل تحسين مستوى المعيشة فيقول: «ومن صفات أهل نجد التجارة، فإن كثيراً منهم تجارٌ يسافرون إلى أطراف الروم وباقي بلاد الجزيرة العربية وهم يحملون معهم أموالهم النقدية فقط - لعدم وجود سلع بنجد يتاجرون بها مع البلاد الأخرى - ويأتون من حلب أو الشام بالبزّ الحريري وغيره وكذا النحاس ظروفاً وغيرها، والحديد والرصاص أكثر ما يجلبونها من أرض الروم. وقد يسافر أهل نجد بخيل عتاق إلى أطراف مُلك الروم بالتجارة لأن خيولهم مرغوب فيها عند الأروام لشدة عدّوها. وهكذا يجلب أعراب نجد إبلاً كثيرة إلى حلب والشام للبيع، وقد قال لي بعض الناس أنا شاهدت تجار أهل نجد، أهل القصيم منهم يبيعون تمرًا في دمشق الشام وعرفت أنهم يجلبونه من بلادهم.

(1) داوتي، ترحال في صحراء الجزيرة العربية، ج 2 مجلد 1، ص 446، ج 2، مجلد 2، ص 26.

وقد يسافر أهل نجد إلى أرض مصر لكنهم لم يشتروا منها إلا السلاح والمرجان⁽¹⁾. ثم يقول: «ولهم اشتياق عظيم للسفر وهمّة غريبة، وطاقة عجيبة، بحيث يمكن الشخص منهم أن يتغرب عن أهله ووطنه مدة عشرين سنة أو أكثر، كما أن كثيرًا من تجارهم اليوم جلوس ونزول في حلب وفي دمشق الشام، ومنهم من هو في مصر، ولكل واحد في المدة عشرون سنة بل أكثر⁽²⁾».

ويقول شاعر من سكان بريدة عاش في القرن الثالث عشر الهجري اسمه (غنيمان) قصيدة يصور فيها حال مجتمعه في ذلك الزمان حين كان التغرّب عن الوطن أهم مصدر من مصادر الرزق، فيصف فيها حينه إلى بلده وأنه لولا الجوع والفاقة ما كان ترك وطنه وعانى مشقة السفر وأهواله ومنها:

هذا طويل الثلج يا طريف جيناه	متى على التسهيل يقعد ورائنا
تلّ الفرس يا طريف حنا نزلناه	ومنين الحطب يا طريف نوقد عشانا
البق والبرغوث حنا عرفناه	والديرة اللي ما هواها هوانا
لولا البلاء والبين ما كان جيناه	مير ان أبو موسى جميع حدانا
لي ديرة يا طريف ما والله أنساه	لذاذة الدنيا اطعوس ورائنا

وكان أهل نجد يطلقون على الجوع «أبو موسى»، أما طريف فهو رفيق الشاعر في سفرته، و«طويل الثلج» يعني به جبل الشيخ وهو جبل يقع

(1) الريكي، حسن بن جمال بن أحمد، لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب، تحقيق عبد الله الصالح العثيمين، الرياض، دار الملك عبد العزيز، 1426هـ/ 2005م، ص 290 - 291.

(2) السابق، ص 292.

غرب دمشق في منطقة الجولان يرى القادم من نجد قمته المكسوة ببياض الثلج من مسافة أربعة أيام، وعلى طول هذه المسافة ينقل المسافرون حطبهم معهم إذ ينعدم الحطب على طول هذا الطريق، أما «تل الفرس» فهي قرية صغيرة تمر بها القوافل وهي في طريقها إلى دمشق⁽¹⁾.

(1) الطويان، عبد الكريم بن صالح، من أفواه الرواة، الرياض، دار الجسر، ط1، 1410هـ ص 289-290.

العامل الأمني والسياسي

1 - الاضطرابات خلال عهد الدولة السعودية الأولى وبعد

سقوطها :

خضعت مناطق نجد خلال حكم الدولة السعودية الأولى (1157 - 1233هـ/ 1744 - 1818م) إلى الكثير من المتغيرات سواء في الوجه الحاكم أو تبدل الأسر، وما لحق هذه المتغيرات من تناقضات وأنحياز الدولة إلى هذا الجانب من الخصوم أو ذاك، وقد خاض القادة السعوديون في ذلك التاريخ كفاحاً مريراً في سبيل إقامة صرح الدولة، ذلك الكفاح الذي انتهى بخروج أكثر المعارضين لهم من نجد إلى العراق، أو إلى الشام، وإقامتهم في حواضر تلك البلاد، واستقرارهم في تلك المناطق عاملين بالجنديّة أو التجارة. وقد انتقلت إلى مناطق العراق والشام أسر كاملة بجماعاتها الموالية لها، أو أقسام من أسر كبيرة كان لها في نجد الرئاسة والحكم والمال، والمعرفة الأكيدة في استعمال السلاح والصبر على القتال، ولم يجد هؤلاء المهاجرون من الدولة العثمانية إلا الترحيب للإفادة من نشاطاتهم في الجنديّة والتجارة على حد سواء⁽¹⁾. ومن الأمثلة على تلك الهجرات خروج بعض أهل حَرَمَة⁽²⁾ إلى الزبير سنة 1193هـ/ 1779م بعد أن أجالاهم الأمير سعود بن عبد العزيز بسبب عصيانهم⁽³⁾، وإجلاء بعض

(1) إبراهيم، عبد العزيز عبد الغني نجديون وراء الحدود، ص 44.

(2) حَرَمَة: بفتح الحاء وإسكان الراء، بلد من بلدان سدير، يلتقي عندها واديان كبيران هما (الكلب) و(المشقر) وهي ملاصقة للمجموعة، بلد عامر فيه نخيل ومزارع وعمران (ابن خميس، عبد الله بن محمد، معجم اليمامة، ط 1، 1398هـ/ 1978م، ج 1، ص 309).

(3) ابن عيسى، تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد، ص 117 - ابن بشر، عنوان المجد، ج 1، ص 131-139.

أسر حُرَيْملاء⁽¹⁾ الذين هاجروا برئاسة يحيى الزهير الذي استقر في الزبير كذلك، حيث وجد الدعم والمساندة من الدولة العثمانية، فبنى سوراً حول المدينة، وأعطاه العثمانيون أسلحة ومدافع لحماية المدينة، وأُجِرت على بعض أهل الزبير معاشات كافية، ولعلها بذلك قد طمحت إلى استقطاب المهاجرين والمهجرين من نجد لإقامة مركز أمني لدرء خطر الحملات السعودية التي تطرقها⁽²⁾. كما تم إجبار آل ماضي على الهجرة من الروضة⁽³⁾ إلى العراق سنة 1196هـ/ 1782م⁽⁴⁾. وبفضل المهاجرين الذين هربوا من نجد أو أُجِّلوا عنها - في ذلك الوقت - تكونت كيانات بشرية لبلدات كان لها شأنٌ كبيرٌ مثل بلدة الزبير التي كانت قرية مغمورة على حدود البصرة، ولعل نزول (وطبان بن ربيعة بن مرخان) بلد الزبير عام 1065هـ في مقدمة الأسباب التي يسجلها تاريخ بناء بلد الزبير⁽⁵⁾. وكان سبب نزول وطبان الزبير أنه جاء فارّاً من نجد على إثر قتله ابن عمه (مرخان بن مقرن بن مرخان) بسبب التنافس العائلي على الحكم⁽⁶⁾.

أما هجرة سَمَر فقد ارتفعت وتيرتها مع الربع الأول من القرن الثالث عشر الهجري، (بداية القرن التاسع عشر الميلادي) هرباً من حملات

(1) حُرَيْملاء: بضم الحاء وفتح الراء، بلد شمال غرب مدينة الرياض، على بعد (86) كيلاً، تقع على ضفتي وادي الشعيب المعروف قديماً بوادي قران، من آثارها التاريخية منزل الشيخ محمد بن عبد الوهاب (ابن خميس، معجم اليمامة، ج 1، ص 317).

(2) إبراهيم، عبد العزيز عبد الغني نجديون وراء الحدود، ص 40.

(3) الروضة: بلدة من أكبر وأشهر بلدان سدير، تقع أعلى وادي الفقي، تبعد عن الرياض مسافة (170) كيلاً من جهة الغرب (ابن خميس، معجم اليمامة، ج 1، ص 485).

(4) ابن بشر، عنوان المجد، ج 1 ص 151 - 152 - إبراهيم، نجديون وراء الحدود، ص 41.

(5) الصانع، والعلي، إمارة الزبير بين هجرتين، ج 1، ص 61.

(6) ابن بشر، عنوان المجد، ج 2 ص 326 - ابن عيسى، تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد، ص 45، 60.

الأمير سعود بن عبد العزيز الذي ألحق بهم هزائم قاسية، واحتلّ جبلها، فاستقبلهم باشوات بغداد للإفادة منهم في قتال بعض القبائل العراقية، كالعبيدين، كما أسكنتهم الحكومة العثمانية في منطقة الفرات. وتحولت شَمَر إلى سيدة على المنطقة بعد أن تمكنت من إلحاق هزيمة ساحقة بعشائر العبيد الزبيدية، وأجبروهم على مغادرة الجزيرة الفراتية إلى ما وراء دجلة. وفي الوقت ذاته جاءت موجة هجرة لعشائر عنزة من نجد لتعزز سيطرة هذه القبيلة على جنوب وادي الفرات الأوسط⁽¹⁾. وحاولت موجة من عشائرها المعروفين بالقدعان في عام 1234هـ/1819م أن تفرض سيادتها على الرقة، فعبروا الفرات إلى الجزيرة، وأخذوا يسلبون وينهبون في المنطقة الواقعة ما بين الرقة إلى الخابور فالموصل، حيث تولت عشائر شَمَر التي سجلت سيادتها منذ نحو خمسة عشر عامًا تقريباً في الجزيرة إخضاعهم. غيّرت موجة الهجرة الشمرية الكبيرة توازنات القوى العشائرية في وادي الفرات بسبب عددها الكبير وامتداد تجوالها بين نجد وسورية والعراق، وغدا الشمريون سادة الجزيرة.

في ضوء موازين القوى العشائرية الجديدة التي نتجت عن هجرة شمر، استوطنت عشائر عنزة في المناطق الواقعة على ضفة الفرات اليمنى أو الشامية، شمال دير الزور⁽²⁾ وحتى الخابور، بينما استوطنت شمر في ضفة الفرات اليسرى أو الجزيرة. في حين شكلت عشائر نجدية صغيرة مؤلفة

(1) باروت، محمد جمال، التكون التاريخي الحديث للجزيرة السورية، بيروت، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط1، 2013م، ص 58.

(2) دير الزور: مدينة تقع شرقي سورية على نهر الفرات، في شبه الجزيرة الفراتية، في سهل خصيب محاط بالصحراء، تبعد عن دمشق 415 كيلاً، مناخها قاري صحراوي ويخفف نهر الفرات الذي يمر بها من أثر المناخ. أغلب سكانها من القبائل العربية والبدو الذين استقروا =

من فرق عديدة قادمة هي كذلك من نجد في القرن الثالث عشر الهجري/ أوائل القرن التاسع عشر الميلادي، حلفاً عشائرياً في ما بينها، أُطلق عليه اسم (العقيدات) المستمد من اسم العقدة التي تشير إلى معنى الانعقاد والتضامن، وانتشرت عشائر هذا الحلف في أقصى دير الزور والبيادين والبوكمال على ضفتي الفرات اليمنى واليسرى⁽¹⁾.

انتهت الدولة السعودية الأولى بحروب إبراهيم باشا⁽²⁾ ضد الدرعية، عندما قرر الإمام عبد الله بن سعود الاستسلام للقوات الغازية بعد حرب استمرت ستة أشهر من القتال الضاري، حفاظاً على أرواح الباقين من أتباعه سنة 1233هـ/ 1818م، وتعهد إبراهيم باشا للسكان الباقين بعدم تدمير الدرعية والقرى القريبة وعدم إلحاق الأذى بسكانها، وجّهز قوة ترافق الإمام عبد الله إلى مصر، مع بعض أسرته وأسرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب. ومنها إلى إستانبول (الأستانة) التي تنفست الصعداء واطمأنت إلى مكانتها بعد أن رأت (سيد العرب) يُدارُ به في شوارعها⁽³⁾.

= فيها. يمتد تاريخها إلى العهد السلوقي، كانت مركز متصرفية أيام الحكم العثماني. تشتهر بوفرة محاصيلها الزراعية وبثروتها الحيوانية. تعتبر سوقاً مهماً للحبوب والأغنام والألبان. (شامي، يحيى، موسوعة المدن العربية والإسلامية، بيروت، دار الفكر العربي، ط1، 1993م، ص 61- ويكيبيديا، الموسوعة الحرة.

(1) باروت، التكون التاريخي الحديث للجزيرة السورية، ص 59.

(2) إبراهيم باشا: ابن محمد علي والي مصر وأحد قاداته العسكريين الكبار، ولد عام 1204هـ/ 1790م، دخل في حروب مع الدولة السعودية الأولى في الجزيرة العربية، احتل فلسطين وسورية في عام 1832م ودخل في حروب مع الدولة العثمانية وانتصر عليها في عدة مواقع، تدخلت الدول الأوروبية وأجبرته على التراجع والتنازل عما تم احتلاله والاكتفاء بمصر، تنازل له محمد علي عن الحكم سنة 1264هـ/ 1848م وهي السنة التي توفي فيها. (الزركلي، الأعلام، ج1، ص 70).

(3) العيسى، محمد الفهد، الدرعية قاعدة الدولة السعودية الأولى، الرياض، مكتبة العبيكان، ط1، 1415هـ/ 1995م ص 106.

حيث انتهى إلى ميدان السلطان بايزيد جانب أيا صوفيا، وقتل - رحمه الله - بأمر من السلطان محمود خان الثاني⁽¹⁾.

مارس إبراهيم باشا التخريب وتهديد المواطنين بعكس ما تعهد به، وأصبحت منطقة نجد تابعة مباشرة لمصر، وكان لهذا الحدث آثاره الاقتصادية السيئة على نجد كلها؛ وخصوصاً البلاد التي مرّت بها الحملة؛ وذلك بما أحدثته من نهبٍ وتدميرٍ للممتلكات من مزارع ومساكن وتحصينات⁽²⁾.

نجد بعد انهيار الدولة السعودية الأولى:

كانت الفترة التي أعقبت سقوط الدرعية وانهيار الدولة السعودية الأولى من الفترات التاريخية المضطربة التي مرت بنجد بشكل خاص، وشبه الجزيرة العربية بشكل عام. إذ تميزت بالفتن والحروب الأهلية، وسادها الارتباك السياسي والاقتصادي⁽³⁾، ما أدى بأهل بلدان نجد إلى التذمر والتشريد والمعاناة من الجوع وعدم توفر الأمن، والتفكير في النزوح نحو الشمال والشمال الشرقي إلى مناطق أكثر أمناً كالعراق والشام حيث انخرطوا هناك مع مجموعات العقيلات التي أقامها المهجّرون

(1) محمود خان الثاني بن عبد الحميد الأول: (1199 - 1255 هـ / 1785 - 1839 م) سلطان عثماني استلم مقاليد الحكم سنة 1223 هـ / 1808 م. قضى على الانكشارية 1826 م، في عهده استقلت اليونان 1830 م، واحتلت فرنسا الجزائر، انتصر عليه محمد علي في معركة نصيبين 1839 م، (القطار، الدولة العثمانية من الميلاد إلى السقوط، ص 137).

(2) ابن بشر، عنوان المجد، ج 1، ص 434، ج 2، ص 9 - القحطاني، فاطمة بنت حسين، حملة إبراهيم باشا على الدرعية وسقوطها، الرياض، دار الملك عبد العزيز، ط 1، 1431 هـ / 2010 م، ص 315.

(3) المختار، صلاح الدين، تاريخ المملكة العربية السعودية في ماضيها وحاضرها، بيروت، منشورات دار مكتبة الحياة، د.ت.، ج 1، ص 197 - 198.

النجديون. ويبدو أن المصيبة التي أصابت النجديين أدت إلى تحسين المشاعر نحو الدولة السعودية، وتزايد التيار المتعاطف مع آل سعود⁽¹⁾.

انتشرت الفوضى في نجد وعمّ القتل والسلب، واثارت الفتن نظراً لغياب السلطة الوطنية، وفي غمار هذه الفوضى تمكن الأمير مشاري بن سعود أخو الإمام عبد الله بن سعود من الهرب وكان ضمن قافلة الأسرى المرسلة إلى مصر 1235هـ/1820م، واستطاع جمع بعض الأنصار وتوجه إلى الدرعية التي كان يحكمها محمد بن مشاري بن معمر فتظاهر الأخير بأنه معه وتنازل له عن الحكم⁽²⁾، ولكنه ما لبث أن دبر له مؤامرة وقبض عليه ثم سلمه للحامية العثمانية في سُدُوس⁽³⁾ حيث نُقل بعد ذلك إلى الحامية الثانية في عيزة التي سجن فيها حتى وفاته أو مقتله عام 1236هـ/1821م.

لم يقف تركي بن عبد الله آل سعود⁽⁴⁾ مكتوف الأيدي أمام تحركات ابن معمر، ففي البداية كانت نظرتة إلى مشاري بن سعود على أنه الحاكم

(1) إبراهيم عبد العزيز عبد الغني،، نجديون وراء الحدود، ص 209.

(2) أبو عليّة، عبد الفتاح حسن، الدولة السعودية الثانية 1256 - 1309هـ/1840 - 1891م، الرياض، دار المريخ، ط4، 1411هـ/1991م، ص 38 - درويش، مديحة أحمد، تاريخ الدولة السعودية حتى الربع الأول من القرن العشرين، جدة، دار الشروق، ط3 1405هـ/1985م، ص 57.

(3) سُدُوس: بفتح السين وضم الدال، اسمها الحقيقي القُرّة، تصغير قرية، بلدة تقع شمال غرب الرياض، بلدة عامرة ذات نخيل ومزارع، جُلّ سكانها من آل معمر (ابن خميس، معجم اليمامة، ج2، ص 15 - 17).

(4) تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود (ت 1249هـ/1833م) تولى الحكم عام 1238هـ/1823م، كان شجاعاً، أخذ على عاتقه دفع العثمانيين ومن معهم من المصريين عن بلاده، استرد الاحساء والقطيف، وصالحه أمير حائل، وبسط نفوذه في القصيم (الزركلي، الأعلام، ج2، ص 84).

الشرعي، فدعمه وسانده. لكن الأمر تغير بعد أن رأى غدر ابن معمر فقرر أن يعيد الأمور إلى حقيقتها، فتمكن من القضاء على ابن معمر وقتله مع ابنه⁽¹⁾ والدخول إلى الدرعية سنة 1236هـ/ 1821م، كما تمكن بالرغم من الظروف السيئة التي كانت تمر بها البلاد، من الاستيلاء على الرياض 1240هـ/ 1824م، واتخاذها عاصمة لدولته، وكان ذلك إيذاناً ببداية قيام الدولة السعودية الثانية. وحرّر بلدان نجد من سيطرة القوات العثمانية⁽²⁾ وقوات محمد علي باشا⁽³⁾ والي مصر.

كان الإمام تركي طموحاً، وتمكن من الاستيلاء على الأحساء والقطيف، ولكنه اغتيل وهو خارج من صلاة الجمعة في 29 ذي الحجة 1249هـ/ 8 مايو 1834م بتدبير من الأمير مشاري بن عبد الرحمن⁽⁴⁾ ولم تستمر فترة حكم مشاري سوى أربعين يوماً حيث تمكن الأمير فيصل بن تركي من خلال خطة ذكية وجريئة من قتل مشاري واستعادة الرياض عام 1250هـ/ 1834م⁽⁵⁾.

(1) ابن بشر، عنوان المجد، ج1، ص 447-449.

(2) أبو علي، تاريخ الدولة السعودية الثانية، ص 38.

(3) محمد علي باشا: جاء مصر مع الحملة الفرنسية، من أصل ألباني، ولد في قولة باليونان عام 1184هـ/ 1769م، أصبح والياً على مصر عام 1220هـ/ 1805م، قضى على المماليك في مذبح القلعة 1226هـ/ 1811م، احتل السودان ووجه حملة إلى الجزيرة العربية، حقق لمصر نهضة علمية وثقافية وزراعية، ضمنت له الدول الأوروبية حكم مصر له ولسلالته من بعده، أصيب بضعف في قواه العقلية في آخر حياته، توفي عام 1265هـ/ 1849م. (الزركلي، الأعلام، ج6، ص 298-299).

(4) مشاري بن عبد الرحمن بن حسن بن مشاري بن سعود (ت 1250هـ/ 1834م) كان ممن نقلهم إبراهيم باشا إلى مصر وبعد عودته فأرأ من سجنه سنة 1242هـ/ 1826م أكرمه خاله الإمام تركي، فعينه أميراً على منفوحة، ثم نجاه لرشاية سمعها عنه وأعادته إلى الرياض مكرماً، ولكنه تابع محاولاته ضد الإمام تركي حتى اغتاله بمعونة بعض رجاله (الزركلي، الأعلام، ج7، ص 226-227).

(5) الرشيد، ضاري بن فهيد، نبذة تاريخية عن نجد، تقديم وتحقيق عبد الله الصالح العثيمين، =

حكم الإمام فيصل بن تركي (المرحلة الأولى)

بدأ الإمام حكمه بالخير واليُمن، وكان يناهز الأربعين من العمر⁽¹⁾ عندما جرت مبايعته إماماً (1250هـ/ 1834م)، وتزامنت بداية حكم الإمام فيصل مع تصاعد طموحات محمد علي باشا على إحكام قبضته على شبه الجزيرة العربية، فبعد أن تمكن الباشا من تحقيق هدفه في سورية، وضمها إلى ملكه، شعر بالثقة الكافية لتوجيه قواته إلى شبه الجزيرة العربية للقضاء على ما يهدد سلطانه في الحجاز، وتمرد نجد على حكمه، فأرسل في سنة 1250هـ/ 1834م قوة عسكرية كبيرة إلى عسير حيث اعتبر بأن ضربها مفتاحٌ للهيمنة على شبه الجزيرة كلها⁽²⁾، وطلب من الإمام فيصل أن يدعمه في حربه ضد عسير، ويمدّه بأعداد كبيرة من الإبل لنقل جيشه إلى منطقة عسير، بالإضافة إلى دفع الخراج المترتب على نجد.

رفض الإمام فيصل مساعدة الغازي ضد قائد عربي ثائر مثله⁽³⁾، ما أثار حفيظة محمد علي باشا وقرر أن يقضي على حكم الإمام فيصل ويستعيد سيطرته المطلقة على نجد، فجهّز حملة عسكرية بقيادة إسماعيل بك،

= دارة الملك عبد العزيز، 1419هـ/ 1999م، ص 34- أبو علي، تاريخ الدولة السعودية الثانية، ص 40- ابن بشر، عنوان المجد، ج2، ص 65- 71.

(1) وايندر، ريتشارد بايلي، المملكة العربية السعودية في القرن التاسع عشر الميلادي، ترجمة إدارة البحوث والنشر بدارة الملك عبد العزيز، مراجعة فهد عبد الله السماري، دارة الملك عبد العزيز، 1434هـ ص 184.

(2) آل زلفه، محمد بن عبد الله، علاقة عسير والحجاز ونجد واليمن بالإمبراطورية العثمانية 1840 - 1872، الرياض، دار بلاد العرب، ط3، 1435هـ/ 2014م، ص 58- وايندر، العربية السعودية في القرن التاسع عشر، ص 100.

(3) هو عايض بن مرعي اليزيدي، أمير عسير من عام 1249 - 1272هـ قام بمعارك عديدة مع جيش محمد علي باشا، والعثمانيين (آل زلفه، علاقة عسير والحجاز ونجد واليمن بالإمبراطورية العثمانية، ص 22- 23).

يرافقها خالد بن سعود⁽¹⁾ ورأى الإمام فيصل أن يغادر الرياض حتى لا يقع بيد أعدائه، فأخلاها واتجه إلى الأحساء، وتقدم الجيش المصري ودخل القصيم وما حولها، كما دخلت هذه القوات الرياض من دون قتال، وأصبحت الرياض وجميع الأراضي النجدية في الشمال والغرب تحت حكم المصريين في عام 1255هـ/ 1837م، أما أهل المناطق الجنوبية من نجد فقد قاوموا الجيش الغازي بقوة، رافضين أن يصبحوا رعايا لمحمد علي باشا، وكان من نتيجة هذه الوقفة الصامدة أن هُزم الجيش الغازي⁽²⁾، ورأى الإمام فيصل أن هذه الهزيمة قد تمنحه الأمل في استعادة حكمه، فجمع قواته وسار بهم إلى الدِّكَم⁽³⁾، وهناك اتحد بقواته مع الجنوب، وتناوشت هذه القوات مع قوات خالد بن سعود الذي خرج من الرياض لمواجهة قوات الإمام فيصل، فاندحر وجنده، واستطاعت قوات الإمام فيصل التقدم إلى الخرج، واحتلت منفوحة القريبة من الرياض، وحاصرت

(1) خالد بن سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود: أصغر أخوة الإمام عبد الله بن سعود، وهو من أم حبشية كانت من جواري القصر فتزوجها الإمام سعود (الكبير)، كان ممن نقلهم إبراهيم باشا من الدرعية إلى مصر من أفراد أسرة آل سعود 1818م، تلقى تعليمه في القاهرة، حكم من سنة 1254 - 1257هـ/ 1838 - 1841م، دخل الرياض بصحبة قائد قوات محمد علي، إسماعيل بك في 7 صفر 1253هـ هرب من الرياض إلى الأحساء 1257هـ إثر دخول الأمير عبد الله بن ثنيان آل سعود، ثم إلى الكويت، فالقصيم، توجه بعد ذلك إلى جدة حيث توفي فيها عام 1861م (موزيل، ألويس، آل سعود دراسة في تاريخ الدولة السعودية، ترجمة سعيد فايز السعيد، بيروت، الدار العربية للموسوعات، ط1، 1424هـ/ 2003م، ص 103 - 104).

(2) ابن بشر، عنوان المجد، ج2، ص 147 - 151 - آل زلفه، علاقة عسير والحجاز ونجد واليمن بالإمبراطورية العثمانية ص 59.

(3) الدلم: بكسر الدال المشددة، وبعضهم يضمها، وفتح اللام، قاعدة إقليم الخرج قديماً وكبرى مدنها، كان اسمها قديماً (الخرج)، وكان اسم المنطقة جو الخضرمة، تبعد عن الرياض حوالي مائة كيل، ومحفوظة بأسرها القديمة وبطابعها (ابن خميس، معجم اليمامة، ج1، ص 431 - 436).

الرياض في جمادى الآخرة 1253هـ/ سبتمبر 1837م⁽¹⁾ ولكن الإمدادات من سبيع وقحطان وصلت لدعم خالد بن سعود وقواته، فترجع الإمام فيصل إلى منفوحة واستمرت الاشتباكات بعد فشل عقد الصلح بينهما⁽²⁾.

قرر محمد علي باشا تعزيز قواته المحاصرة في نجد، فأرسل خورشيد باشا⁽³⁾ بقوات كثيفة عسكرت في بلدة الرس في القصيم، وجرت مفاوضات للصلح تقضي بانسحاب الإمام فيصل من نجد إلى الأحساء، وإما الحرب. وبدأ انسحاب الإمام فيصل من منفوحة إلى الدلم، وأخذ يتحصن في الخرج وبعد الخطة لمحاربة القوات المصرية، زحف خورشيد باشا بقواته إلى الخرج للقضاء نهائياً على مقاومة الإمام فيصل قبل أن تتركز وتزداد قوته، واشتبك الطرفان في عدة مواقع، وكانت نهاية المطاف أن انكسرت قوات الإمام فيصل⁽⁴⁾، على إثر ذلك قرر الإمام فيصل أن يطلب الصلح، فوافق خورشيد باشا على أن يستسلم الإمام فيصل ويذهب أسيراً إلى مصر، ثم يعفو خورشيد باشا عن جماعة الإمام فيصل، ويعطيهم الأمان على أموالهم وأرواحهم، وهكذا استسلم الإمام فيصل بن تركي في رمضان 1254هـ/ ديسمبر 1838م، ورحل مع بعض أقاربه وعائلته إلى القاهرة تحت حراسة مشددة. وانتهت بذلك الفترة الأولى من حكمه⁽⁵⁾.

(1) أبو علي، تاريخ الدولة السعودية الثانية، ص 60.

(2) الزيدي، مفيد، موسوعة تاريخ المملكة العربية السعودية الحديث والمعاصر، الأردن، دار أسامة للنشر والتوزيع، ط1، 2004م، ص 41.

(3) محمد خورشيد باشا: قائد ألباني مستعرب جاء إلى مصر صغيراً وتعلم في مدارسها، كان في حملة محمد علي التي أرسلها إلى الحجاز أولاً، عين محافظاً لمكة ثم وكيلاً للجهادية بمصر ثم مديراً للدقهلية، وتوفي في المنصورة 1265هـ (الزركلي، الأعلام، ج6، ص 119).

(4) ابن بشر، عنوان المجد، ج2، ص 95.

(5) أبو علي، تاريخ الدولة السعودية الثانية، ص 61-65.

مع أن فترة حكم الإمام فيصل بن تركي الأولى لم تكن طويلة، ولم تتجاوز الأربع سنوات (1250 - 1254هـ/ 1834 - 1838م) إلا أن لها من النتائج ما تستحق الذكر، كتجدد الخصومات القبلية، وازدياد استياء الأهالي من الحكم الأجنبي، وتعطيل مرافق الحياة الاقتصادية نتيجة النزاع المسلح الذي دام أكثر من سنتين. وكان للضغط الاقتصادي أثر على انخفاض المستوى المعيشي للفرد النجدي، ما أدى بالكثير من أبناء نجد للهجرة إلى البلدان المجاورة هرباً من الواقع الاقتصادي أو الوضع السياسي، والبحث عن حياة أفضل.

ظهور إمارة آل رشيد:

كان عبد الله بن علي بن رشيد⁽¹⁾ - الذي كان مقاتلاً في جيش الأمير فيصل بن تركي - قد شارك بخطة مقتل مشاري بن عبد الرحمن ونفذها؛ فقد تولى مع ثلثة من المقاتلين القبض على مشاري بن عبد الرحمن الذي كان محتباً بالمسجد، وقتله مع مجموعة من أعوانه في 11 صفر 1250هـ/ 19 يوليو 1834م⁽²⁾، وصعد إلى أعلى القصر أو المئذنة ونادى

(1) عبد الله بن علي بن رشيد: (ت 1263هـ/ 1847م). من عشيرة آل جعفر، من فخذ الربيعية، من بطن عبدة، من شمر، مؤسس إمارة آل رشيد في حائل، نشأ في مدينة حائل وتزوج بنت أمير شمر محمد بن عبد المحسن بن علي، طمع بالإمارة، فناوأ محمد بن عبد المحسن، ففشل، وفر من حائل إلى العراق حيث عمل في حراسة القوافل، ثم التجأ إلى الرياض حيث أكرمه الإمام تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود، ولما ولي الأمر الإمام فيصل بن تركي، جعله من قادة جيشه م ولاه إمارة حائل، فدخلها بعد غياب أربع عشرة سنة عنها، وتوزع على الإمارة فخرج منها، وقصد خورشيد باشا، قائد الحملة المصرية - التركية، فنصره خورشيد سنة 1254هـ/ 1838م وأعادها إلى إمارة حائل، فاستتب له الأمر فيها، توفي في حائل، وخلف ثلاثة أولاد طلال ومتعب ومحمد (الزركلي، الأعلام، ج 4، ص 107 - العثيمين، عبد الله الصالح، نشأة إمارة آل رشيد، جامعة الرياض، ط 1، 1401هـ/ 1981م، ص 28 - 30).

(2) أبو عليه، تاريخ الدولة السعودية الثانية، ص 47.

بأعلى صوته «الملك لله ثم لفیصل بن تركي آل سعود»، ما دفع الإمام فیصل - فيما بعد - إلى الوقوف إلى جانبه ضد أسرة آل علي الحاكمة في جبل شمر عرفاناً بالجميل، فولّاه إمارة حائل سنة 1251هـ/ 1835م بدلاً من أميرها صالح بن عبد المحسن بن علي رئيس العائلة الحاكمة في المنطقة، ويكون بذلك قد انتقل الحكم في إقليم الجبل من آل علي إلى آل رشيد⁽¹⁾.

وبذلك يكون الإمام فیصل بن تركي قد وثّق علاقاته بعشائر شمر المؤثرة في العراق وفي طرق تجارة العقيلات⁽²⁾، إذ تشير بعض المصادر إلى أن عبد الله بن رشيد كان قد عمل في حراسة القوافل، وكان رئيساً لعسكر عقيل من أهالي نجد عندما كان في العراق⁽³⁾.

أثر معاهدة لندن على الأوضاع في نجد (1256هـ/ 1840م)

شهد عام 1256هـ/ 1840م انهيار إمبراطورية محمد علي باشا بأكملها، وانتهت محاولاته التي استمر فيها لمدة ثلاثين عاماً تقريباً لضم شبه الجزيرة العربية إلى إمبراطوريته⁽⁴⁾، كما فشلت مشروعاته الكبيرة في كل من اليونان وسورية لأنها لم تتفق مع سياسات الدول الأوروبية⁽⁵⁾ التي عقدت معاهدة (وفاق) لندن في 15 تموز/ يوليو 1840م مع الدولة العثمانية، تعهدت

(1) كشك، محمد جلال، السعوديون والحل الإسلامي، د. ن، ط3، 1402 هـ ص 236.

(2) إبراهيم، نجديون وراء الحدود، ص 211.

(3) العثيمين، نشأة إمارة آل رشيد، ص 29.

(4) وايندر، العربية السعودية في القرن التاسع عشر، ص 238.

(5) عمر، عمر عبد العزيز، تاريخ المشرق العربي (1516 - 1922)، بيروت، دار النهضة العربية، د.ت.، ص 320 - 321.

الدول الأوروبية بموجبها في إخضاع محمد علي باشا⁽¹⁾، وفي الثالث عشر من شهر ذي الحجة عام 1255هـ الموافق للسابع عشر من شهر فبراير من عام 1840م صدرت إرادة من محمد علي باشا تقضي بجلاء قواته الموجودة في شبه الجزيرة العربية، والعودة إلى مصر⁽²⁾ وتسليم الأمور في نجد⁽³⁾ للأمير خالد بن سعود، كما بدأ إبراهيم باشا بناء على أوامر والده، الجلاء عن سورية بتاريخ 5 ذي القعدة 1256هـ/16 نوفمبر 1840م⁽⁴⁾ إنفاذاً لمعاهدة لندن، وبدأ نشاط محمد علي باشا يتلاشى بعد ضياع سورية وشبه الجزيرة العربية، فعاش تسع سنوات أخرى، لكنه أصبح غير قادر على أعباء الحكم لإصابته بضعف في قواه العقلية، وظل كذلك حتى توفي في 11 شعبان 1265هـ/2 أغسطس 1849م⁽⁵⁾.

كان انسحاب قوات محمد علي باشا من وسط وشرقي شبه الجزيرة العربية بداية للفوضى والفتن والصراعات المحلية، فلم يمنع بقاء ثمانمائة جندي من قوات خورشيد باشا مع خالد بن سعود، أهالي المنطقة من إعلان العصيان، والمناداة بإخراج الأجانب من بلادهم، فأبلغوا خالد بن سعود باستيائهم، وطالبوه بالتخلص من هؤلاء الأجانب، وعندما رفض الانصياع لرغباتهم انضموا إلى عبد الله بن ثنيان⁽⁶⁾ الذي استطاع الاستيلاء

(1) السابق، ص 320.

(2) آل زلفه، علاقة عسير والحجاز ونجد واليمن بالإمبراطورية العثمانية، ص 32.

(3) الروقي، عايض بن خزام، حروب محمد علي في الشام وأثرها في شبه الجزيرة العربية 1247 - 1255هـ/1831 - 1839م، جامعة أم القرى، 1414هـ ص 448.

(4) بركات، داود، البطل الفاتح إبراهيم وفتح الشام 1832م، القاهرة، مؤسسة هنداوي، 2012م، ص 187.

(5) عمر، تاريخ المشرق العربي (1516 - 1922)، ص 322.

(6) عبد الله بن ثنيان بن إبراهيم بن سعود: (ت 1259هـ/1843م) دخل الرياض فاتحاً عام 1257هـ كان شجاعاً، صفت له الإمارة إلى أن عاد الإمام فيصل بن تركي من مصر وأجبره على الاستسلام، وألقاه في السجن حيث توفي فيه فجأة ويقال بأنه مات مسموماً، كما يقال =

على الرياض وإخراج خالد بن سعود هارباً منها إلى القطيف في سرّية تامة⁽¹⁾. فأصبح ابن ثنيان الحاكم المطلق وسط نجد إلا أنه لم يكسب ثقة الأهالي، حيث بدأ بفرض الضرائب الباهظة عليهم، واتصف حكمه بالاستبداد والقوة.

حكم الإمام فيصل بن تركي (المرحلة الثانية)

عاد الإمام فيصل بن تركي، في محرم 1259هـ/ فبراير 1843م⁽²⁾ بعد خمس سنوات قضّاها في مصر، ويعتقد أن صداقة ما قامت بينه وبين عباس باشا⁽³⁾ الذي قام بدور سياسي في عملية عودته⁽⁴⁾. قرر محمد علي باشا إخراج الإمام فيصل من السجن وإعادته إلى الحكم في نجد، لينتقم من ابن ثنيان الذي ثار على خالد بن سعود، أمير محمد علي في نجد، يُضاف إلى ذلك أن ابن ثنيان كان قد أخرج الحاميات المصرية من نجد⁽⁵⁾ 1257هـ/ 1841م، وما زال والي مصر تحزّ في قلبه هزائم حامياته، كما كان محمد علي باشا يعلم أن عودة الإمام فيصل إلى الحكم ستدفعه إلى الحفاظ على العلاقات الودية بين نجد ومصر، وبالفعل، ظلّ الإمام

= بأن حراسه هم من قتلوه (الزركلي، الأعلام، ج4، ص 75- موزيل، آل سعود ص 105 - 106، الرشيد، ضاري، نبذة تاريخية

(1) الروقي، حروب محمد علي في الشام، ص 460.

(2) ابن بشر، عنوان المعجد، ج2، ص 207- وايندر، العربية السعودية في القرن التاسع عشر، ص (255) - آل زلفه، علاقة عسير والحجاز ونجد واليمن بالإمبراطورية العثمانية، ص 62 - 64.

(3) عباس بن طوسون بن محمد علي (1228 - 1270هـ/ 1813 - 1854م)، ثالث الولاة من أسرة محمد علي بمصر، ولد بجدة، ونشأ بمصر، تولى الحكم بعد وفاة عمه إبراهيم باشا، أواخر سنة 1264هـ كان شديد الكره للأوروبيين، قتل في قصره في بنها (الزركلي، الأعلام، ج3، ص 261).

(4) كشك، السعوديون والحل الإسلامي، ص 199 - 200.

(5) أبو علي، تاريخ الدولة السعودية الثانية، ص 83.

فيصل محافظاً على علاقته الودية مع مصر، كما حافظ على ولائه الاسمي للدولة العثمانية⁽¹⁾.

توجه الإمام فيصل عند عودته من مصر إلى جبل شمر، حيث يحكم صديقه القديم عبد الله بن رشيد الذي رحب به، ووعدته أن يقدم له العون المادي والمعنوي وكل موارد جبل شمر من مال ورجال ومطايا حتى يستطيع استرداد حكمه من عبد الله بن ثنيان⁽²⁾. وتمكن الإمام فيصل من استرداد الرياض في نهاية ربيع الآخر 1259هـ/ مايو 1843م، ليضع نهاية لحكم عبد الله بن ثنيان الذي توفي في السجن منتصف شهر جمادى الآخرة 1259هـ/ يوليو 1843م⁽³⁾.

وبتسلم الإمام فيصل بن تركي الحكم ينتهي عصر الفوضى السياسية في بلاد نجد لأن استقراراً بدأ يعم البلاد دام ثلاثة وعشرين عاماً في ظل حكمه الثاني.

ومن الجدير بالذكر أن المدة ما بين 1249 - 1259هـ/ 1834 - 1843م لم تعرف فيها شبه الجزيرة العربية طعماً للراحة، فقد تميزت هذه المدة بوقوع جريمة مقتل الإمام تركي بن عبد الله، والحروب المتوالية خلال الفترة الأولى من حكم الإمام فيصل بن تركي، وأطماع محمد علي باشا وحروبه في شبه الجزيرة، والحكم المصري الجائر، والنزاع المتزايد بين

(1) أبو علي، تاريخ الدولة السعودية الثانية، ص 106 - كشك، السعوديون والحل الإسلامي، ص 200.

(2) الزبيدي، موسوعة تاريخ المملكة العربية السعودية الحديث والمعاصر، ص 44 - وايندر، العربية السعودية في القرن التاسع عشر، ص 256.

(3) ابن بشر، عنوان المجد، ج 2، ص 214 - الرشيد، ضاري، نبذة تاريخية عن نجد، ص 41 - وايندر، العربية السعودية في القرن التاسع عشر، ص 259 - 262.

جبل شمر والقصيم الذي أتاح الفرصة لتأسيس أسرة حاكمة جديدة هي أسرة آل رشيد في حائل⁽¹⁾. وشهد أوائل عام 1259هـ/ 1843م نزوحاً من عقيلات شمر الذين كانوا في بغداد، نظراً لقيام نجيب باشا بقتل سليمان الغنام الذي كان يرأس عقيلات شمر وفقد عقيل شمر ما تبقى لهم من أعمال وحراسة أو خفارة في العراق، كما لم يتمكن عقيل شمر في عهد نجيب باشا من تجارة الشام للمشكلات الموروثة بينهم وبين عشائر عنزة التي كانت تسيطر على أغلب مسافات طرق الشام، إضافة إلى أن عقيلات القصيم زرعوا أمام عقيلات شمر العديد من الصعاب حتى يبعدهم عن مصدر رزقهم الأساسي⁽²⁾. من جهة أخرى تمكنت قبائل شمر من خفارة طريق الحج العراقي لعدم وجود عوائق قبلية أو معارضة عشائرية، وبسبب انتشارها على الطرق العراقية، إضافة إلى أن الخلافات الأسرية التي حدثت في القصيم بين آل مهنا وآل أبي عليان، والمنافسة التي وقعت بين الأسرتين على رئاسة القصيم⁽³⁾ وخفارة قوافل الحج قد فتت من عضد عقيل القصيم، وجعلت السلطات العثمانية أكثر زهداً فيهم، وثبتت لآل رشيد خفارة هذا الطريق، والسيطرة عليه وقيادة قوافل الحج. وقد أخذ مسمى العقيلات يسقط عن شمر، ولم يعودوا يُعرفون به في المنطقة⁽⁴⁾ لأنهم فقدوا زعامتهم المتمثلة بسليمان الغنام الذي قُتل.

كما رجع الكثير من عقيلات شمر إلى حائل، ودخلوا تحت لواء

(1) وايندر، العربية السعودية في القرن التاسع عشر، ص 262-264.

(2) إبراهيم، نجديون وراء الحدود، ص 216.

(3) العبودي، معجم أسر بريدة، ج 21، ص 343-344.

(4) إبراهيم، نجديون وراء الحدود، ص 217.

عبد الله بن رشيد، أمير حائل الذي كان قد عمل في السابق في حراسة القوافل⁽¹⁾، وهي مهنة تخصص بها العقيلات.

ويبدو أن العلاقة الطيبة التي ربطت بين دولة الإمام فيصل بن تركي، وولاية العراق العثماني، والعلاقة الحميمة التي ربطت بين الإمام فيصل وأمرأ حائل، والروابط المتأصلة بين العراق ومنطقة شمر، قد تداخلت مع بعضها لتقوّي أمر أسرة آل رشيد في العراق، فتولوا قيادة قوافل الحج بدلاً من أمرأ القصيم، وكان الإمام فيصل يساند الأسر التي كانت أكثر ميلاً إلى آل رشيد، وعندما توفي الإمام فيصل بن تركي في رجب سنة 1282هـ/ 1865م، ووقعت الفتنة بين أبنائه، وجد آل رشيد أنفسهم الأقوى اقتصادياً وعسكرياً فتولوا أمارة الحج وحراسة دروبه من دون عقيلات القصيم، فورثوا الحكم والرئاسة في نجد كلها⁽²⁾.

2- الاضطرابات خلال الدولة السعودية الثانية :

في فترة الانتقال من الدور الأول من تاريخ الدولة السعودية إلى الدور الثاني، كانت الجزيرة العربية وخاصة نجد تعاني من ويلات عدم استقرار دامت قرابة ستّ سنوات عمّت البلاد خلالها الفوضى والاضطراب جرّاء سقوط الدرعية بيد إبراهيم باشا وتخريبها وتهديمها⁽³⁾.

أدى عدم الأمن والاستقرار الذي غمر البلاد نتيجة الحروب إلى التأثير على الوضع الاقتصادي في منطقة نجد خاصة، لأنها مركز الحروب،

(1) العثيمين، نشأة إمارة آل رشيد، ص 29 - إبراهيم، نجديون وراء الحدود، ص 217.

(2) إبراهيم، نجديون وراء الحدود، ص 220.

(3) الحقييل، عبد الله بن حمد، توحيد المملكة العربية السعودية وأثره في النهضة العلمية والاجتماعية، الرياض، مكتبة العبيكان، ط2، 1420هـ/ 2000م، ص 12.

فتراجعت الزراعة، وأثر ذلك على الرعي، وسادت حركة القوافل التجارية حالة من القلق وعدم الاطمئنان الناجمين عن فقدان الأمن في الطرق.

إلا أن كثافة المهاجرين من نجد خلال عهد الدولة السعودية الثانية الذي امتد حتى 1309هـ/ 1891م كانت أقل منها في الدولة السعودية الأولى⁽¹⁾، فقد كان للثانية أنصارها في بلدان نجد منذ البداية، إضافة إلى حالة الاستقرار التي رافقت فترة حكم الإمام فيصل بن تركي الذي حكم حكمًا طويلاً مستمراً بلغ حوالى ثلاثاً وعشرين سنة.

غير أن بلاد القصيم عامة كانت مسرح الحرب بين الدولة السعودية وآل رشيد في حائل من جهة، وحروب أهل القصيم أنفسهم مع آل رشيد في حائل من جهة أخرى، مثل معركتي بقاء (1257هـ/ 1841م)⁽²⁾ والمليداء (1308هـ/ 1891م)⁽³⁾، واستيلاء ابن رشيد على القصيم ما حدا ببعض أهلها للنزوح عنها⁽⁴⁾ إضافة للحروب المتوالية بين عنيزة وبريدة⁽⁵⁾ - بصفة خاصة - حيث تُعتبر هاتان البلدتان من أبرز مواطن العقيلات، إذ أدت المعارك المتصلة بينهما إلى خروج الكثير من سكان البلدتين⁽⁶⁾ من

(1) إبراهيم، نجديون وراء الحدود، ص 45.

(2) بقاء: بلدة تقع في الجهة الشمالية الشرقية من مدينة حائل، وتبعد عنها حوالى (95) كيلاً، وهي قرية زراعية تشتهر بجودة تمورها وخاصة الحلوة (العريفي، فهد العلي، حائل، الرئاسة العامة لرعاية الشباب، الرياض، ط2، 1408هـ/ 1988م، ص 27).

(3) المليداء: أرض مستوية واسعة تغطيها رمال خفيفة، تقع في شمال القصيم، غرباً من ناحية الجواء وشمال غرب مدينة بريدة، فيها مزارع حديثة واسعة، وكانت في السابق مناطق رعية. (العبودي، معجم بلاد القصيم، ج6، ص 2329)

(4) آل عبد المحسن، تذكرة أولي النهي والعرقان، ج1، ص 329.

(5) السابق، ص 153.

(6) إبراهيم، نجديون وراء الحدود، ص 46 - ابن بشر، ج2، ص 50 - 51.

الزاهدين في الصراع إلى العراق أو إلى الشام حيث سبقهم أهل وأقارب استقروا في تلك البلاد خلال فترات سابقة وكونوا أسراً وجماعات متآلفة، كالعقيلات المقيمين هناك والذين كانوا يعملون بالجندية أو بالتجارة المحلية. ونجح آخرون في تجارة القوافل بعيدة المدى، وسرعان ما تمكنوا من بعض الجوانب الاقتصادية في تلك البلدان، كما أمسكوا بالتجارة البرية بين سورية والعراق والجزيرة العربية، فتنامت أرباحهم من زيادة التبادل التجاري؛ ويذكر لوريمر أنه كان يعمل في عنيزة في التجارة الخارجية خمسة عشر تاجرًا من أصحاب رؤوس الأموال الكبيرة، ولهم ممثلون في البلدان المجاورة، ومثل هؤلاء التجار في بريدة كذلك⁽¹⁾. ولذلك، فإن النماذج التاريخية للتواصل وتزايد الهجرة من نجد وفرص المشاركة في التجارة جعلت من جنوب العراق وسورية مركز جذب قوي لتجار نجد وبخاصة تجار القصيم والذين عرفوا بالعقيلات⁽²⁾.

العقيلات في الدولة السعودية الثالثة

انتهت الدولة السعودية الثانية بخروج الإمام عبد الرحمن بن فيصل بن تركي آل سعود وأسرته من الرياض إثر معركة حريملاء التي وقعت مع محمد بن عبد الله بن رشيد في محرم 1309هـ/ 1891م⁽³⁾ واستقر

(1) ج.ج. لوريمر، دليل الخليج، القسم الجغرافي، ج1، ص 98.

(2) كمتز، ديفيد، الدعوة الوهابية والمملكة العربية السعودية، ترجمة: عبد الله إبراهيم العسكر، بيروت، جداول للنشر، ط 2، 2013م، ص 98.

(3) اتفق المؤرخون على أن معركة حريملاء وقعت سنة 1309هـ ولكن هناك خلاف في الشهر الذي وقعت فيه، فالقول الأول: على أنها وقعت في شهر جمادى الأولى واختار هذا القول (الذكير، مقبل بن عبد العزيز، خزنة التواريخ النجدية، مطالع السعود في تاريخ نجد وآل سعود، ج7، ص 286) والقول الثاني: على أنها وقعت في آخر شهر محرم أو في أول شهر صفر، واختار هذا القول (البسام، عبد الله محمد، تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق، =

في الكويت التي اختارها ليتمكن من الإطلاع على أحوال نجد من خلال حركة تجارها التي كانت قوية مع الكويت⁽¹⁾. وخرج مع الإمام عبد الرحمن أقاربه من آل سعود، وجمع من أهل القصيم ممن يرغبون بالسلامة هرباً من سوء معاملة آل رشيد لهم بعد أن بسطوا هيمنتهم على القصيم بعد معركة المليداء. ووجدت إمارة ابن رشيد الرفض من حضر نجد وباديتهما على السواء، فشيوخ القبائل النجدية كانوا يرون في أنفسهم ما يراه شيوخ شمر في أنفسهم، وكان رفض حضر القصيم لآل رشيد حاسماً، فلم يحسن آل رشيد معاملة مدن القصيم فتفاقت الخلافات القديمة المتمثلة في التنافس التجاري وحراسة وقيادة قوافل الحج، ولقي آل رشيد معارضة حادة في القصيم وأرسل تجار العقيلات إلى السجن إلا أنهم تمكنوا من الفرار⁽²⁾، وكان محمد بن رشيد قد ولّى على إمارة بريدة، حسين بن جراد⁽³⁾، وكان هذا الرجل ذا سطوة وجبروت، وقد ذاق الأهالي منه الأمرين، حيث اعتقل وسجن وعذب الكثير من الناس، بل إنه عذب أحد الناس حتى الموت⁽⁴⁾.

= حقيق عارف أحمد عبد الغني، دمشق، دار العراب، ط2، 2015، ص - ابن عيسى، عقد الدرر، ص 90) الخويطر، خالد بن سليمان بن علي، كون المليدا ومعركة حريملاء، بيروت جداول، ط1، 2015م، ص 204.

(1) العثيمين، عبد الله الصالح، تاريخ المملكة العربية السعودية، الرياض، دار الملك عبد العزيز، 1419هـ - 1999م، ج2، ص 34.

(2) إبراهيم، نجديون وراء الحدود، ص 221.

(3) حسين بن جراد التميمي: من قادة محمد بن رشيد وأعوانه، عينه أميراً على بريدة بعد معركة المليداء عام 1308هـ واستمر فيها إلى عام 1310هـ قتل في اشتباك مع قوات الملك عبد العزيز في 28 ذي الحجة 1321هـ في فيضة السر وكان قائداً لسرية ابن رشيد في إقليم السر (العبد المحسن، تذكرة أولي النهي والعرفان، ج1، ص 317 - 325، الهويل، بريدة، ص 66).

(4) العبد المحسن، تذكرة أولي النهي والعرفان، ج1، ص 325.

أما في ما يتعلق بأمراء بريدة آل مهنا الصالح⁽¹⁾ فقد أرسل محمد بن رشيد سرية للقبض على حسن بن مهنا أمير بريدة وأولاده فقبضوا عليهم ومن معهم، فجاؤوا بهم إليه، وأخذ ما معهم من الخيل والجيش والسلاح وسيرهم إلى حائل حيث حبسهم هناك، ولم يكتف محمد بن رشيد بذلك، بل تتبع كل ما كان لآل مهنا وأتباعهم فأخذه، وقد نجح أولاد حسن بن مهنا وأقاربه، وآل سليم وآل أبا الخيل المسجونون جماعياً في الفرار من سجنهم في حائل أول عام 1318هـ/ 1900م، ورحلوا إلى الكويت. أما حسن فقد بقي في سجنه منفرداً حتى مات فيه سنة 1320هـ/ 1902م، وكان قد بلغ السبعين من عمره⁽²⁾.

تزايدت هجرات الأهالي إلى الشام والعراق والكويت يلحقون بآل سعود. وإزاء ذلك الوضع كتب شيوخ وأعيان عنيزة وبريدة والزلفي إلى الإمام عبد الرحمن الفيصل يشكون معاناتهم على يد عبد العزيز ابن رشيد، ويحرضونه على الخروج إليهم. وبالرغم من فشل المحاولة الأولى للملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود لاسترداد الرياض إلا أن ذلك لم يثن عزمه، فعاود الكرة مرة أخرى حتى كُتب له النصر سنة

(1) مهنا الصالح الحسين أبا الخيل: من كبار التجار، قام بالتجارة بنفسه، فرحل إلى الشام والعراق، وقاد قوافل الحج، بلغ تعداد إبله في القافلة خمسين ألف جمل، وعدد الحرس فيها عشرين ألف رجل، إضافة إلى تأمين الخيام والأثاث والهوداج والمواد الغذائية، والحراسة وخاوات القبائل، وقد استمر بنقل الحجاج إلى أن نافسه متعب بن رشيد، فوقع بينهما خلاف في حدود سنة 1275هـ أوشك أن يفضي إلى قتال، فتدخل أحمد بن عبد الله الرواف، وأصلح بين الجانبين ومن يومها ترك مهنا الصالح نقل الحجاج (العبودي، معجم أسر بريدة، ج 21، ص 364-365).

(2) السابق، العبودي، ج 21، ص 386 - الرشيد، ضاري، نبذة تاريخية عن نجد، ص 113 - الذكير، مقبل بن عبد العزيز بن مقبل، مطالع السعود في تاريخ نجد وآل سعود، خزنة التواريخ النجدية، جمع وترتيب عبد الله بن عبد الرحمن بن صالح آل بسام، ط 1، 1419هـ/ 1999م، ج 7، ص 301-302.

1319هـ/ 1902م فدخل الرياض وخرج إليه الناس فرحين مستبشرين بعودة آل سعود⁽¹⁾.

أخذ الملك عبد العزيز آل سعود، يناوش القصيم منذ محرم 1321هـ/ أبريل 1903، فأقام معسكراً قرب الزلفي حيث وافاه شيوخ القصيم بجماعاتهم وبدأت انتصارات الملك عبد العزيز آل سعود منذ موقعة فيضة السر في 28 ذي الحجة 1321هـ/ 14 فبراير 1904م، تلك المعركة التي اشترك فيها فريق من العقيلات وكثير من أهل القصيم⁽²⁾.

عند توالي انتصارات الملك عبد العزيز آل سعود، بدأت مساندة الدولة العثمانية لعبد العزيز بن رشيد⁽³⁾ عسكرياً، حيث بدأ الجيش العثماني يتجه نحو نجد، ربيع الأول 1322هـ/ يونيو 1904م، كما صادر ابن رشيد إبل العقيلات وسخرها لأهدافه الحربية⁽⁴⁾. بدأ الملك عبد العزيز بالاستعداد للمعركة ضد عبد العزيز بن رشيد المدعوم بالجنود العثمانيين، وبدأت المناوشات بين الجانبين، وشارك العقيلات في هذه المعارك بعد أن استثارهم الشاعر محمد العوني⁽⁵⁾ بقصيدته المشهورة

(1) درويش، تاريخ الدولة السعودية، ص 77.

(2) إبراهيم، نجديون وراء الحدود، ص 221.

(3) عبد العزيز بن متعب بن عبد الله بن رشيد، تولى إمارة نجد بعد وفاة عمه محمد بن عبد الله بن رشيد سنة 1315هـ كان شجاعاً، حاد الطباع، قتل في روضة مهنا - قرب مدينة بريدة - في صفر 1324هـ/ أبريل 1906م (الزركلي، الأعلام، ج 4، ص 25).

(4) إبراهيم، نجديون وراء الحدود، ص 221.

(5) محمد العبد الله العوني (1270 - 1342هـ) من أشهر ناظمي الشعر النبطي، ولد في الربيعة من ضواحي بريدة، والده معلم بناء ماهر، تولاها آل مهنا بالرعاية وأكرموا، ولذلك حزن عليهم حزناً شديداً بمصائبهم بعد معركة المليداء، لعب أدواراً مهمة على مسرح السياسة، وأسهم في إشعال الفتنة بين القبائل والحكومات، سجنه الملك عبد العزيز في الأحساء ثم أفرج عنه بعد أن هزل، ومات بعد خروجه بقليل عام 1342هـ. (المبارك، فهد، محمد العوني، تاريخ جيل =

(الخلوج)⁽¹⁾ واستثار نخوتهم، فتوافدوا إلى نجد لمساندة أهلهم في حربهم مع آل رشيد، وعندما تلا الشاعر قصيدته على أهل القصيم في الكويت بادرهم بقوله: من يستعد لإيصال هذه القصيدة إلى العقيلات الموجودين بالشام والعراق ومصر، فتحمس الكثير منهم وأبدوا استعدادهم لإيصالها، فخرج صالح الحسن المهنا⁽²⁾ من الكويت إلى الشام ومعه عدة رجال، منهم الشاعر علي بن محمد الحميدة⁽³⁾، وعندما وصلوا دمشق كان العقيلات كعادتهم يجتمعون في سوق الحميدية، وهو ما جاء اسمه في القصيدة (سوق العصر) أو الميدان، وهو مكان معروف بدمشق يتجمع فيه عقيلات بريدة، وهم الذين سموه الميدان حيث كانوا يرتبون الإبل والخيول للبيع، ويقيمون سباقات الخيل والإبل، وهي رياضة نقلوها إلى عدد من المدن في العراق والشام⁽⁴⁾، وكان من

= وحياء رجل، تحقيق محمد عبد الله المشوح، الرياض، دار الثلوثية، ط1، 1433هـ/2012م- ديوان الشاعر محمد العبد الله العوني، جمع وترتيب وتفسير عبد الله الخالد الحاتم، الكويت، ذات السلاسل، ط1، 1404هـ/1984م، ص6-7- الهويميل، بريدة، ص113- المسلم، رجال من القصيم، ج2، ص199).

(1) الخلوج: الناقة التي فقدت وليدها فهي تحن وترزم، وتواصل الحنين والرغاء الذي يدل على والوله (العبودي)، محمد بن ناصر، كلمات قضت، معجم بألفاظ اختفت من لغتنا الدارجة أو كادت، الرياض، دار الملك عبد العزيز، ط1، 1423هـ ج1، ص246).

(2) صالح بن حسن بن مهنا أبا الخيل: شجن مع والده وإخوته وأبناء أعمامه في حائل بعد معركة المليداء 1308هـ وبقي في السجن قرابة التسع سنوات حيث هرب إلى الكويت عام 1317هـ مع بعض إخوته وأبناء عمومته، ثم استعاد إمارة بريدة عام 1322هـ تحت حكم الملك عبد العزيز، ثم قاد جموع أهل القصيم في السنة نفسها وحقق انتصاراً على آل رشيد في البكيرية. قبض عليه الملك عبد العزيز عام 1324هـ بعد خلاف بينهما، وسجن في الرياض، ثم هرب من سجنه وقتل في البرة (العبدوي)، معجم أسر بريدة، ج21، ص432-438).

(3) علي بن محمد بن أحمد الحميدة: من آل أبو عليان من تميم، ولد في بريدة سنة 1270هـ فارس شجاع، وشاعر حماسي، كان تاجراً مع العقيلات، ارتاد أسواق الشام والعراق، توفي في المدينة المنورة سنة 1342هـ (الحميدة)، عبد الله بن عبد العزيز، علي الحميدة آل أبو عليان حياته وشعره 1270-1342هـ دار الثلوثية، ط1، 1433هـ/2012م).

(4) المسلم، العقيلات، ص74.

ضمن الحاضرين عبد الكريم بن عبد الله الجاسر⁽¹⁾ ومحمد بن سليمان الشويهي، ومنصور بن سليمان الجربوع، ومحمد الرشيد، ومنصور بن عبد الرحمن الشريدة، وغيرهم من عقيلات الشام، وأخذ الشاعر يقرأ القصيدة يستحث فيها العقيلات ويستصرخهم ويذكرهم بما يعمله ابن رشيد في نجد من مظالم، حتى إذا جاء البيت الذي يقول فيه:

ذي قالة ما ينطحه كود نادر أولاد علي مَن من بكم قال أنا لها
صاح الحاضرون معه، نحن لها، وهي قصيدة طويلة، تقول بعض أبياته⁽²⁾:

تَكسّر بعبرات تحطم سلالها	خُلوّج تجذ القلب باتلا عوالها
لا طوحت صوت تزايد هجالها	تهيض مفجوع الضمير بحسها
لا تبحثين النفس عن ما جرى لها	قد قلت لك يا ناق بسك من البكا

ثم يقول:

كيف أَمنا تهضم وحنّا قبالتها	قلت آه وا ويلاه يا خيبة الرجا
هميم اليّا سارت ذعرها ظلالها	يا طارشي من فوق سراقاة الوطا

إلى أن قال:

وحذراك نوم الليل عينك تنالها	أوصيك يا مرسال بالسير والسرا
------------------------------	------------------------------

(1) عبد الكريم بن عبد الله الجاسر: ولد في بريدة سنة 1282هـ أطلق عليه لقب «الحقلة» لفصر قامته، كان أحد الذين حملوا الأعلام عندما قرئت الخلوّج، توفي سنة 1334هـ (المسلم، إبراهيم، رجال من القصيم، القاهرة، الدار الثقافية للنشر، ط 1، 1423هـ/2002م، ج 2، ص 31-32).

(2) ديوان الشاعر محمد العبد الله العوني، ص 27-29.

فلما سرت عشر وخمس معرب مرواحك الميدان منهى منالها
 فلما جيت سوق العصر ياتيك غلمة تخشع بزبنات البريسم نعالها
 يقولون لك يا صاح عطنا علومك بلدان نجد عقبنا ويش جرى لها

إلى أن قال:

أولاد علي⁽¹⁾ اليوم ذا وقت نفعمكم لا رحم أبو نفس آتاجر بمالها
 أولاد علي اليوم ما هوب باكر قوموا بعزم الليث خلّوا رزالها
 لا تتبعون الهون والعجز والعسا أو ربما أو ليت يتعب سواها
 ذي قالة ما ينطحه كود نادر أولاد علي من بكم قال أنا لها
 ترامركب الأخطار هو مركب العلا ولا يدرك المقصود كود احتمالها
 ترا بالسيف العز والمال والبقا بجنة خضرا وخضرة ظلالها

تجمّع العقيلات في شبه مظاهرة حملوا فيها الأعلام وطافوا شوارع دمشق وبدؤوا يصفّون أعمالهم، واشتروا سلاحًا كثيرًا، حتى إن السلاح تضاعفت أثمانه لكثرة طلبهم عليه، ولما خرجوا من الشام أغلق سوق العصر أبوابه. وأرسلوا القصيدة إلى عقيلات العراق وفلسطين ومصر، ثم اتجهوا نحو الكويت عن طريق نهر الفرات، فانضمّ إليهم أهل القصيم الذين في العراق، وعند وصولهم الكويت بلغ عدد المقاتلين بين الستمائة

(1) أولاد علي: وهي نخوة أو اعتزاء أهل بريدة وأهل عذينة، والصحيح إنها نخوة القصيم عامة، والنخوة هي العظمة والكبر والفخر، ولكل فريق من فرق الجند نداء يعرفون به ويستحبون إليه، ونخوة أهل العارض (أهل العوجا) و(السنايس) نخوة أهل حايل و قبيلة شمر و(أولاد زايد) نخوة الدواسر و(العثامنة) نخوة أهل الخرج.... إلخ، (ياسين، يوسف، يوميات الدبدبة لبنان، جداول للنشر والتوزيع، ط2، 2013م، ص 72، 197.

والألف مقاتل⁽¹⁾. فأرسلوا رسلهم إلى الملك عبد العزيز آل سعود يبلغونه مؤازرتهم ووقوفهم تحت لوائه، وتحركوا متجهين إلى القصيم لمحاربة عبد العزيز بن رشيد وإنقاذ بلادهم منه، فالتقى الطرفان في معركة البكيرية، أول ربيع الثاني 1322هـ/ 15 يونيو 1904م ودارت رحى المعركة وكانت من أقسى المعارك وأشدّها، وكانت خسائر الطرفين المتحاربين كبيرة، وفي النهاية انتصر أهل القصيم على جيش ابن رشيد⁽²⁾.

وقعت بعد ذلك عدة مواقع حربية خاضها العقيلات ضمن الآخرين تحت لواء الملك عبد العزيز في حربه ضد عبد العزيز بن رشيد، كموقعة الشنانة وقصر ابن عقيل في 18 رجب 1322هـ/ 27/10/1904م، وموقعة روضة مهنا في 17 صفر 1324هـ/ 11 أبريل 1906م، وسيأتي تفصيل ذلك لاحقاً.

(1) إبراهيم، نجديون وراء الحدود، ص 290 - الحميدة، علي الحميدة آل أبو عليان حياته وشعره، ص 48 - 49.

(2) العثيمين، تاريخ المملكة العربية السعودية، ج 2، ص 86 - 87.

العقيلات في سورية :

لم تأخذ رحلات قوافل العقيلات طريقها إلى سورية في وقت مبكر من تاريخهم، فقد بدأت قوافلهم تجوب المدن السورية بعد تعذر وصولها إلى العراق ومصر، لأسباب متعددة منها:

1- حروب نادر شاه⁽¹⁾ في المنطقة التي بدأت منذ عام 1139هـ/ 1727م ولم تهدأ إلا عند مقتله، حيث شرع نادر شاه في حروبه ضد الدولة العثمانية لاسترداد الأقاليم التي استولت عليها، فاستطاع هزيمتهم في همدان سنة 1144هـ/ 1731م. وحاول احتلال بغداد، وحاصرها حصاراً طويلاً كلف العراقيين كثيراً، فحدثت المجاعات وتشرد الأهالي، فأرسل السلطان العثماني نجدة لمساعدة والي بغداد، والتحم الجيش الفارسي مع الجيش العراقي والعماني قرب بلد سنة 1146هـ/ 1733م، وكانت الدائرة على جيش الفرس الذي تكبد الكثير من القتلى والأسرى، ونجت بغداد من هلاك. محقق، وهرب نادر قلي مع فلول قواته المندحرة. إلا أنه تمكن خلال ثلاثة أشهر من جمع شمل قواته في همدان ونشبت معركة عنيفة في منطقة ليلان قرب كركوك سقط على إثرها قائد الجيش العثماني قتيلاً في المعركة وانتصر نادر شاه⁽²⁾.

(1) نادر شاه أفشار (التركماني): ويعرف كذلك باسم نادر قلي بك أو طهماسب قلي خان (شاه إيران من سنة 1148 إلى 1160هـ/ 1736 - 1747م). ولد سنة 1099هـ/ 1688م، واغتيل في 1160هـ/ 19 يونيو 1747م. مؤسس الأسرة الأفشارية التي حكمت إيران، كان أول أمره من قطاع الطرق ثم جمع رجاله ورأى من مصلحته العمل كقائد عسكري لطهماسب الثاني (الشاه حسين الصفوي). طرد الأفغان من أصفهان واستقل بالحكم وأعلن نفسه شاه إيران، فقضى على الصفويين، فتح أفغانستان وغزا الهند وسلب كنوز المغول وتغلب على العثمانيين واستعاد السيطرة على حدود بلاده التي كانت بيد العثمانيين، استبد به الجشع والظلم في سنيه الأخيرة فاغتاله جنده وعمت القوضى بعد وفاته (طقوش، محمد سهيل، تاريخ الدولة الصفوية في إيران، بيروت، دار النفائس، ط2، 1433هـ/ 2012م، ص 243).

(2) الجاف، حسن كريم، موسوعة تاريخ إيران السياسي، بيروت، الدار العربية للموسوعات، ط1، 1428هـ/ 2008م، ج3، ص 94 - 95.

وفي سنة 1156هـ/1743م حاصر كركوك وضغط على الموصل عسكرياً واقتصادياً تمهيداً لحملته الواسعة التي شنّها على المدينة. وتكررت حملاته وحصاراته على المدن العراقية، إلا أنها باءت بالفشل، ولكنها أدت إلى شلل في الحياة الاقتصادية وتدمير الكثير من القرى والمدن، ولم تتوقف هذه الحروب إلا عند اغتياله على يد جنده⁽¹⁾.

أدت هذه الحروب المتواصلة لفترة طويلة من الزمن إلى كساد التجارة في الخليج وفي العراق وطرقة، وإيقاف طريق البصرة - حلب الذي عاقته الصعاب الأمنية⁽²⁾، وبسبب هذه الحروب تراجع نشاط قوافل الزبير التي كانت تنقل تجارتها حتى حلب ومدن الشام الأخرى. وينقل الأب سيسيني (Domenico Sestini) الذي زار المنطقة في سنة 1195هـ/1781م ملاحظاته فيقول: «تتجمع القوافل في الزبير لغرض الرحيل أو التوقف. وفي كل سنة تغادر قوافل الإبل الكبيرة لبيع بضاعتها في كل من حلب ودمشق. وكانت قبل شن الحرب الفارسية تبلغ أكثر من ستة آلاف رأس. أما الآن فلا تزيد عن الألفين. وكانت الخيول الأصيلة نادرة، إذ أباد نادر شاه في أثناء غزوه كردستان أفضل أنواع الخيول»⁽³⁾. وقد ثبت للعقيلات في هذه الفترة من التاريخ العثماني دورهم في قيادة القوافل والاضطلاع بمهام الترحيل، وربطوا بين الشرق والغرب، وأصبحوا جزءاً من حركة التجارة العالمية، فكانوا الصلة بين نجد والعراق والشام. وفي هذه

(1) السابق، ج3، ص 117.

(2) إبراهيم، نجديون وراء الحدود، ص 124.

(3) سيسيني، الأب دومينيكو، العراق في رحلة الأب دومينيكو سيني في سنة 1781م، ترجمة خالد عبد اللطيف حسين، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 2014م، ص 144.

الفترة أيضًا لم يكن طريقهم إلى ديارهم في نجد إلا طريقًا فرعياً تفد عن طريقه الإبل التي تحمل الأثقال، والتجارة الأخرى التي تفد إلى العراق لاستعمال الجيوش العثمانية في منطقة العراق والشام على السواء، أو التي تساق إلى هذه المناطق للنحر، ويمكننا أن نقول إن الطريق بين الشام والقصيم ونجد بصفة عامة كان يمر بالزبير التي أصبحت مع البصرة مركزاً للتجارة العالمية العابرة للإقليم إذ لم يكن هناك طريق تجاري يربط بين الشام ونجد بشكل مباشر⁽¹⁾.

2 - وما أدى كذلك إلى تحول تجارة العقيلات إلى سورية⁽²⁾، حالة الاضطرابات التي سادت العراق التركي نتيجة الفساد السياسي خلال الفترة 1293 - 1301هـ / 1876 - 1884م والحروب الداخلية التي عمت مدنه، والانقسامات القبلية كتلك التي حدثت في قبيلة شمر، أو تمرد قبيلة المنتفق سنة 1298هـ / 1881م.

3 - بعد حروب إبراهيم باشا وسقوط الدرعية سنة 1233هـ / 1818م، اضطرّ الكثير من النجديين الموالين لآل سعود إلى النزوح إلى العراق والشام وانضموا للمهاجرين الذين سبقوهم من رجالات نجد، كما نجم عن هذا الغزو قيام صراعات داخلية على الحكم في جميع مناطق نجد ما دفع عددًا من أهالي هذه البلاد إلى الهجرة هربًا من أتون الحروب الداخلية، فكوّنوا قوافل لنقل التجارة، وقوافل الحجاج بين العراق والشام ومصر، تاركيين الساحة لهذه الصراعات⁽³⁾. ومن ذلك خروج

(1) إبراهيم، نجديون وراء الحدود، ص 126.

(2) ج. ج. لوريمر، دليل الخليج، ترجمة مكتب أمير دولة قطر، مؤسسة العلوم للطباعة والنشر، الدوحة، د.ت.، القسم التاريخي، ج 1، ص 438 - 448.

(3) المسلم، العقيلات، ص 39 - 40.

عمير الحجيلان⁽¹⁾ ومعه عدد من إخوته وأبنائه وأبناء عمومته، إلى الشام واتخذوها موطناً⁽²⁾ بعد أن أخذ الأتراك أمير القصيم حجيلان بن حمد آل أبو عليان إلى المدينة المنورة حيث توفي هناك سنة 1234هـ/ 1819م⁽³⁾، وبرز فريق من العقيلات في تربية الخيول التي بدأت بدورها تزدهر في بلاد الشام ومصر كوسيلة من وسائل الحرب بدلاً من الإبل، وانخرط بعضهم في الجندية.

4 - حفر ممر قناة السويس⁽⁴⁾ الذي قطع الطريق الصحراوي الذي كانت تسلكه القوافل المنطلقة من نجد فالأردن مروراً بفلسطين فالمدن المصرية عبر العريش والنقب.

عند إنشاء القناة اضطر التجار - الذين كانت رغبتهم التجارة مع مصر - إلى عبور القناة بواسطة (المعدية)⁽⁵⁾، وفي ذلك عناء كبير ونفقات إضافية ناهيك عن جنوح الإبل من ركوب البحر ما اضطر تجار العقيلات إلى

(1) عمير بن حجيلان العمير: ولد في بريدة سنة 1206هـ عمل في تجارة الإبل والخيول، هاجر إلى الشام بعد وفاة أمير القصيم حجيلان بن حمد، ثم عاد إلى القصيم سنة 1282هـ وتوفي في 1288هـ من البدارين من الدواسر، تزوج جده عمير بنت الأمير حجيلان بن حمد فولدت له ابناً أسماه حجيلان، واشتهروا بهذه التسمية (المسلم، رجال من القصيم، ج 5، ص 18).

(2) المسلم، العقيلات، ص 40.

(3) ابن بشر، عنوان المعجد، ج 1، ص 438.

(4) قناة السويس، ممر مائي صناعي بطول 193 كم بين بور سعيد على البحر المتوسط والسويس على البحر الأحمر، استغرق حفرها عشر سنوات (1859 - 1869م)، افتتحت في عهد الخديوي اسماعيل، (الأيوبي، إلياس، تاريخ مصر في عهد الخديوي اسماعيل باشا، القاهرة، مكتبة مدبولي، ط 2، 1416هـ/ 1996م، ج 1، ص 348).

(5) المعدية: عبارة عن باخرة تصل حمولتها إلى ألف طن تحمل حوالي مائة رأس من الجمال وفيها مكان للركاب، تسير بمحركات تنتقل من الشاطئ الشرقي إلى الغربي وبالعكس (المسلم، إبراهيم، رحلتي مع العقيلات، الرياض، الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون، ط 2، 1408هـ/ 1988م، ص 161).

إيقاف رحلاتهم أو التقليل منها قدر الإمكان والمتاجرة مع سورية بدلاً من مصر.

5 - الحروب مع إمارة آل رشيد: برزت أسرة آل رشيد بحائل عندما تمكن عبد الله بن علي آل رشيد من استغلال أحداث تاريخية حصلت في أواخر إمارة آل علي، منها النزاع الذي قام بين شمر وعنزة حول قضية المراعي⁽¹⁾ في الشمال الشرقي من شبه الجزيرة، واتصاله بالإمام فيصل بن تركي واكتساب صداقته، فأسس إمارة آل رشيد التي سعت إلى توسيع نفوذها مستغلة الصراعات الداخلية بين آل سعود، وتطلعت إلى حكم نجد بصفة عامة ومنطقة القصيم بصفة خاصة، لأن النزاع قديماً بين شمر وأهل القصيم⁽²⁾. وقد أدى ذلك إلى اصطدام كبير حصل في جمادى الأولى سنة 1257هـ/ 1841م في وقعة بقعاء بين أهل القصيم وأتباعهم من عربان عنزة، وبين عبد الله بن علي آل رشيد وأتباعه من عربان شمر وحرب حيث انتصر فيها ابن رشيد⁽³⁾، أما الوقعة الثانية التي زادت من حدة النزاع بين أهل القصيم وآل رشيد فهي وقعة الجوى، في الثالث من رمضان سنة 1261هـ/ 1845م⁽⁴⁾. اتخذت العلاقات بين الجبل والقصيم بعد عهد عبد الله بن رشيد عهداً جديداً أقرب ما يكون إلى المهادنة⁽⁵⁾ ثم

(1) العثيمين، نشأة إمارة آل رشيد، ص 75.

(2) ابن غنام، حسين، تاريخ نجد، تحقيق ناصر الدين الأسد، بيروت، دار الشروق، ط3، 1414هـ/ 1994م، ص 166.

(3) ابن بشر، عنوان المجد، ج2، ص 188 - 191 - الرشيد، ضاري، نبذة تاريخية عن نجد، ص 153 - 154.

(4) ابن بشر، عنوان المجد، ج2، ص 234 - الفاخري، محمد بن عمر، تاريخ الفاخري، دار الملك عبد العزيز، 1419هـ/ 1999م، ص 214 - ابن عيسى، تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد، ص 168.

(5) الزعائير، محمد عبد الله، إمارة آل رشيد في حائل، عمان، ط1، 1997م، ص 123.

دخلت العلاقات مرحلة جديدة بعد أن تولى محمد بن عبد الله بن رشيد⁽¹⁾ الحكم في الجبل، في ظل الاختلاف بين أبناء الإمام فيصل بعد وفاته. أثناء ذلك نشأ تحالف بين محمد ابن رشيد وأمير بريدة مهنا الصالح أبا الخيل⁽²⁾، وأصبح هذا التحالف يضع الصعوبات الكبيرة أمام حكم الإمام عبد الله بن فيصل الذي لم يعد بمقدوره أن يفعل شيئاً لإعادة أملاك الدولة المتضائلة⁽³⁾، كما أطلق التحالف يد ابن رشيد في العمل، مستفيداً من إمكانات أهل القصيم التي وضعت تحت تصرفه، فأخذ يشن الغارات على القبائل، وساعده الأيمن في ذلك حسن مهنا الصالح، ومعه أهل بريدة⁽⁴⁾، حيث تولى الإمارة خلفاً لوالده بعد مقتله سنة 1292هـ/ 1875م.

توسع محمد بن رشيد في نجد، وأخذ يتحين الفرصة لإدخال القصيم تحت نفوذه، فراح يتدخل في تعيين أمرائها، كما كان لغزو شمّر لأطراف القصيم عام 1308هـ/ 1890م وأخذهم إبلاً وغنماً لأهل القصيم الأثر

(1) محمد بن عبد الله بن رشيد: (1252 - 1315هـ/ 1836 - 1897م) حكم من سنة 1290هـ / 1873م حتى وفاته. أبرز أمراء آل رشيد وأكثرهم حنكة أيام حكمهم في حائل، تولى الحكم بعد أن قتل ابن أخيه بندر الطلال وإخوانه لاختلافهما حول شؤون الإمارة. عمل على توسيع حدود الإمارة إذ وصلت حدودها الشمالية إلى الجوف. يُعتبر عصره العصر الذهبي لإمارة جبل شمر. (الزركلي، الأعلام، ج6، ص 244).

(2) مهنا الصالح الحسين أبا الخيل: من المصاليخ، من عنزة، ولد عام 1210هـ تقريباً، كان في مبدأ أمره تاجراً يسافر إلى العراق والكويت، ويسير القوافل في التجارة، وينقل الحجاج الأثرياء من العراق وغيره، كان قوي الشخصية، رفيع الهمة، صبوراً على مشاق السفر والغربة، تولى إمارة بريدة عام 1280هـ واستمر في الإمارة إلى أن قتله آل أبو عليان عام 1292هـ (العبودي، محمد بن ناصر، معجم أسر بريدة، دار الثلوثة، ط1، 1431هـ/ 2010م، ج21، ص 340 - 356 - الطويان، عبد الله بن زايد، رجال في الذاكرة، الرياض، الجريسي للتوزيع، ط1، دت، ج3، ص366) (انظر ص 89).

(3) أبو عليّة، الدولة السعودية الثانية، ص 222.

(4) الزعاري، إمارة آل رشيد في حائل، ص 124 - الحماد، حمد عبد الله سلطان، حكم محمد العبد الله بن رشيد، جامعة الملك سعود، رسالة ماجستير، 1425هـ د.ن، ص 83 - 85.

المباشر بتعجيل النزاع بين الطرفين. خلال هذه الفترة نشأ تحالف بين أهل القصيم والإمام عبد الرحمن بن فيصل للحدّ من تسلط محمد بن رشيد، والتقى الطرفان في معركة المليداء في 13 من جمادى الآخرة 1308هـ/ 1890م، وانتصر ابن رشيد في هذه الواقعة. أدت انتصارات آل رشيد إلى معاناة الكثير من أهل القصيم لصنوف القمع والاضطهاد والسجن والتعذيب، إضافة إلى تهديد ووعيد محمد بن رشيد، فترك الكثير من سكان بريدة مدينتهم، وفروا إلى أماكن بعيدة تجنباً للمخاطر، وهرب قسم منهم إلى العراق، وقسم إلى الشام، حيث إن هذه البلدان معتادة ومألوفة من قبل أهل القصيم، بل أهل نجد عامة، فقد وصلها تجارهم من العقيلات منذ القدم⁽¹⁾، فسكن الفارون الذين جلوا أو أُجلوا من القصيم. بسبب الاضطرابات والحروب الداخلية، أو هرباً من حكم آل رشيد، دمشق وغيرها، لاجئين هناك⁽²⁾، كما خرج الكثير منهم نتيجة لهذه التبدلات الحياتية بحثاً عن مصادر العيش مثل استخراج اللؤلؤ أو العمل في حراسة القوافل مع العقيلات⁽³⁾، أو الانضمام إلى الجيوش العثمانية وإغراءاتها المادية، وشاركوا في تكوين قوافل التجارة بين البصرة وبغداد والشام أو قوافل نقل البضائع، وقوافل نقل الحجاج لخبرتهم الضليعة بها⁽⁴⁾، ونلاحظ أن هناك فرقاً في سياسة محمد بن رشيد تجاه مدينتي بريدة وعنيزة بعد معركة المليداء، أما أهل عنيزة فقد اتبع سياسة لينة تجاههم لوجود حلفاء له فيها ووقوفهم على الحياد، وقد أعطاهم الأمان قبل

(1) الثنيان، محمد بن ثنيان، نجد بين معركتين، مجلة جامعة الملك عبد العزيز، الآداب والعلوم الإنسانية، م 11، 1421هـ/ 2001م، ص 10، 11.

(2) آل عبد المحسن، تذكرة أولي النهي والعرقان، ج 1 ص 329.

(3) داوتي، ترحال في صحراء الجزيرة العربية، ج 1، مجلد 1، ص 372، 102.

(4) السوياء، عقيلات الجبل، ص 27.

الحرب، في الوقت الذي كانت فيه بريدة برمتها جبهة واحدة ضده، ولعل أهم نتيجة لانتصار ابن رشيد أنه تمكن من مد نفوذه على مناطق واسعة من وسط الجزيرة العربية⁽¹⁾.

انطلق المهاجرون من نجد إلى سورية هرباً من الواقع السياسي تارةً، ومن الأوبئة والجوع والفاقة الاقتصادية تارةً أخرى، لتحسين مستوى المعيشة، ولم يكن وجودهم في سورية بأقل منه في العراق وإن لم تكن الأرض متجاورة، وبقيت الشام موئلاً لأعداد كبيرة من العقيلات حيث اتخذوا من غوطة دمشق أو الميدان، وهو أحد أحياء دمشق، مرتكزاً لهم⁽²⁾، فتألفت العائلات النجدية مع مثيلاتها السورية. وقد أخذ الميدان أهميته من كون الطريق الجنوبي لدمشق الآتي من حوران والأردن وشبه الجزيرة العربية، يمر بشكل رئيس عبر الميدان، بالإضافة إلى الحركة الدائمة لقوافل المواد الغذائية، ما وسم هذا الطريق بالمشهد الدائم لموكب قافلة الحج⁽³⁾.

أقام العقيلات في حلب ودير الزور وحوران وعذرا⁽⁴⁾ نقاط تجمعٍ

(1) الخويطر، كون المليداء ومعركة حريملاء، ص 189 - 193.

(2) الرواف، خليل إبراهيم، صفحات مطوية من تاريخنا العربي الحديث، جدة، الشركة السعودية للأبحاث والنشر، 1414هـ - 1994م، ص 27.

(3) شيلشر، ليندا، دمشق في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، ترجمة عمرو الملاح ودينا الملاح، دمشق، دار الجمهورية، ط 1، 1419هـ / 1998م، ص 26 - بوس، أحمد، حي الميدان الدمشقي تاريخه وتطوره، دمشق، وزارة الثقافة، 2014م، ص 24.

(4) عذرا: بالبدال المهملة، منطقة تقع شمال شرق دمشق وتبعد عنها مسافة 25 كيلاً تقريباً، تعتبر مركزاً صناعياً ومركزاً للتجارة الحرة، كانت مدينة هامة أيام الغساسنة وكانت تسمى بمرج عذراء أو مرج راهط، ويرجع أصل الاسم إلى اللفظة الآرامية «عذرا» التي تعني قطعان الماشية وعلى الأصح الحظائر (الحلو)، عبد الله، تحقيقات تاريخية لغوية في الأسماء الجغرافية السورية، بيروت، بيسان للنشر، ط 1، 1999م، ص 383 - 384.

أخرى، وتحولت المدن السورية إلى أسواق لتجارة المواشي، وكان تجار العقيلات يشترون إبلهم من سوق (عذرا) التي كانت تحت نفوذ أسرة الشعلان⁽¹⁾ حيث تروج في أسواقها حركة بيع وشراء الإبل أو الخيل أو السلاح⁽²⁾.

أما سوق الجمال في دمشق فكان يُسمّى (الزفتية)⁽³⁾، وكان يؤمّ هذا السوق تجار العقيلات لبيع إبلهم أو لشراء الإبل، وكان حي الميدان الذي كان يقطنه أكثر العقيلات قريباً من الزفتية، وفي هذا الحي أقيمت مقاهي عقيل التي كانت مقصد التجار ليتداولوا الحديث عن تجارتهم وعن الأسواق الأخرى⁽⁴⁾.

يقول أوبنهايم في هذا الصدد: «يجلب البدو ذكور خيلهم لبيعها في أسواق المدن الكبيرة المجاورة للصحراء وخاصة دمشق وحلب والموصل وبغداد، وقد بدأ التجار يجوبون الصحراء ويشترون الخيول ثم يبيعونها في المدن أو إلى خارج البلاد وخاصة مصر والهند. أما سوق مصر فهي سورية خالصة لأن الحكومة المصرية ترسل كل سنة منذ بداية الاحتلال الإنكليزي بعثة تتوجه إلى دمشق لشراء الخيول»⁽⁵⁾.

(1) آل الشعلان: أمراء قبيلة الرولة، اتخذوا من الطرف الشمالي لصحراء النفوذ قاعدة انتشار لهم شملت الجوف ووادي السرحان وجنوبي الصحراء السورية، استقرت الأسرة بسورية وسكنت دمشق منذ الانتداب الفرنسي. (الوليحي، (مترجم)، معجم البلدان والقبائل، المجلد الرابع، ص 150 - 153). وما زالت بدمشق حتى الوقت الحاضر منطقة تُعرف باسم (الشعلان) نسبةً إلى الأسرة المذكورة.

(2) الحليسي، عصر العقيلات، ص 154.

(3) الزفتية: منطقة سكنية شبيهة بالقرية من حيث بنائها المعماري، تقع شمال حي الميدان. (بويس، حي الميدان الدمشقي تاريخه وتطوره، ص 14).

(4) الرواف، صفحات مطوية من تاريخنا العربي الحديث، ص 28.

(5) أوبنهايم، ماكس فون، رحلة إلى ديار شمر وبلاد شمال الجزيرة، بيروت، دار الورق للنشر، ط 2، 2009م، ص 137 - الوليحي، (مترجم)، معجم البلدان والقبائل، المجلد الأول، ص 518.

بعد استقرار العقيلات بالشام حصل التحام وتمازج اجتماعي بينهم وبين الأسر السورية جعلهم يساهمون مساهمة فعالة في أحداث الشام لمدة طويلة. وعند اندلاع الحرب العالمية الأولى كانت دور العقيلات في دمشق تشكل ملاذًا آمنًا لعدد من الشباب السوريين المتخلفين عن الانضمام إلى الجيش العثماني لمشاركته في حروبه⁽¹⁾، إلى أن حصلت المؤامرة الاستعمارية الكبرى بعد الحرب، وسقوط الدولة العثمانية واقتسام الأقطار العربية بين الدول الاستعمارية آنذاك، وصارت الشام من نصيب فرنسا، فاشترك العقيلات في المقاومة في معركة ميسلون، وموقعة الميدان التي أبلى فيها العقيلات بلاء حسنًا، ولم يكتف العقيلات بالأحداث السياسية والعسكرية فحسب بل ساهموا بتسيير عصب الحياة يوم ذاك وهي التجارة.

أدى العقيلات دورًا مهمًا في الحياة الاقتصادية السورية حيث بلغ نشاطهم التجاري أن كانت معظم المواشي من الإبل والخيول التي كانت تشكل عصب الحياة في عملية النقل، بأيديهم، لما يتمتعون به من سمعة طيبة في النقل العام عبر الصحراء العربية، وما يتصفون به من كريم الأخلاق التي جعلتهم محل ثقة التجار الشاميين. وبلغ الاطمئنان عند التجار الدمشقيين إلى الخروج مع العقيلات بأموالهم ودخول أراضي الجزيرة العربية لشراء الإبل والخيول من أبناء القبائل العربية مباشرة ومؤلفتها ثم العودة بها إلى الشام⁽²⁾. ولدورهم الفعال في الحركة التجارية، وكثافة أعدادهم التي تزايدت، فرضوا احترامهم على أهل الشام. وقد أوحى هذا التجمع وانخراط عدد كبير من العقيلات بسلاح

(1) الرواف، صفحات مطوية من تاريخنا العربي الحديث، ص 29.

(2) الوليعي، عبد الله بن ناصر (مترجم)، معجم البلدان والقبائل، المجلد الأول، ص 518-519.

الهجانة في الجيش العربي السوري في بداية الأمر ثم في الجيش نفسه، إلى المستعمر الفرنسي في بداية احتلاله لسورية، بالخوف والقلق من هذه الفئة، فأخذ يركز حربه بدرجة رئيسة على الحي الذي يسكنه العقيلات وهو حي الميدان بدمشق، فراح يقصفه بالطائرات والقنابل لما لقيه من عنف المقاومة.

ويتحدث المرحوم علي الصويان - من أهل الرس - من سكان بلدة دوما شرق دمشق، وكان طاعناً في السن، ويعمل بطب تجبير العظام، أنه أمضى زهرة شبابه في خدمة الهجانة السورية كهجان خلال العهد الفرنسي، وذكر أنه دفن جميع رفاقه النجديين في مقبرة دوما، ويتابع بقوله إن النجديين الذين هاجروا إلى سورية في العهد الفرنسي (1338 - 1365هـ/ 1920 - 1946م) للعمل في الهجانة، لم يعد منهم إلى نجد سوى نفر قليل، منهم اللواء ناصر العساف من عجمان الرس الذي عين مديراً لشرطة الطائف⁽¹⁾.

قام العقيلات بربط شبه الجزيرة العربية بشمال آسيا وتركيا عبر الأراضي السورية حيث كانت التجارة الدولية تمر عن طريق الخط الرئيس الموصل بين موانئ الخليج العربي كالبصرة والكويت، وتتجه إلى الشمال الغربي عبر الأراضي العراقية، فالأراضي السورية من الزاوية الشمالية الشرقية، لتتجه إلى حلب ومن ثم إلى باقي المدن السورية عبر هذا الخط.

(1) النجدي، محمد البسام التميمي، الدرر المفخرة في أخبار العرب الأواخر (قبائل العرب) تحقيق سعود بن غانم الجمران العجمي، الكويت، ط2، 2010م، ص 388 (من تعليق المحقق بالهامش وحديث علي الصويان كان معه).

شكل موقع دير الزور التي كانت معروفة عند الرحالة باسم (الدير)⁽¹⁾ نقطة تقاطع طريقي القوافل الرئيسيين في شمال المنطقة العربية، من بغداد إلى شمال سورية، ومن شمال بلاد الرافدين إلى جنوب سورية⁽²⁾. فكان لتمرکز العقيلات في دير الزور ما يبرره إذ يمر بقربها الخط الثاني الذي يتجه من موانئ الخليج المشار إليها، مضافاً إليها العقير والقطيف، ويتجه إلى الغرب مباشرة فيصل إلى دمشق ومن ثم إلى ميناء بيروت وصيدا، ولذلك كان وجود العقيلات على هذا الخط مركزاً للاتجاه إلى كل من حوران وبُصرى والغوطة والميدان بمدينة دمشق⁽³⁾.

كانت دير الزور إحدى محطات تخزين البضائع التي اختارها العقيلات للإقامة، وثاني الطرق الصحراوية التي تسلكها القوافل التجارية من بغداد إلى حلب، حيث يتم عبور نهر الفرات⁽⁴⁾. وكانت القوافل التي يتراوح عددها ما بين مائة، وألف وخمسمائة جمل، تقطع الصحراء عن طريق تدمير إلى بغداد مارة بدير الزور مرتين أو ثلاثاً في السنة، وفي سنة 1250هـ/ 1835م كانت القافلة ضخمة إذ بلغت ستة آلاف جمل⁽⁵⁾ وكانت دير الزور أول محطة لتخزين البضائع حيث كانت فيها مخازن (خانات) للتخزين وإقامة للمسافرين، وسوق كبيرة للإبل

(1) روسو، رحلة إلى الجزيرة العربية سنة 1808م، ص 108.

(2) اوينهايم، ماكس فون، ترجمة محمود كبيو، من البحر المتوسط إلى الخليج، لندن، شركة الوراق، ط 1، 2009م، ج 1، ص 348.

(3) السويداء، عقيلات الجبل، ص 162.

(4) آينهولت، ليكلاما، رحلة آينهولت الهولندي إلى العراق عام 1866/ 1867م، ترجمة مير بصري، دراسة وتعليق وتقديم: طارق نافع الحمداني، بيروت، دار الوراق للنشر، ط 1، 2012م، ص 121.

(5) شيلشله، دمشق في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، ص 82.

كانت معروفة إلى عهد قريب باسم (المناخة)، وتكونت فيها بيوت لكبار العقيلات.

كانت تجارة الخيول أهم نشاط لأهل الدير في مجال التجارة إذ باتت المدينة مشتهرة بتربية الخيول وترويضها، وتحولت إلى سوق ممتازة لبيعها بأسعار منخفضة، ونشأت في الدير أهم ثقافات أنساب الخيل وأنواعها. وعلى مستوى العلاقة بالسوق العالمية تمت تجارة الخيول بشكل خاص عبر مؤسسة محمد البسام التي كان لها فروع مهمة في كل من دمشق وبغداد ونجد، ومن دمشق كان البسام يزور منطقة الفرات السورية⁽¹⁾. وفي أواخر عام 1295هـ/ 1878م وصلت المستشرقة آن بلنت ورفاقها إلى مدينة دير الزور والتقت مع أهل المدينة وتحدثت عن تربية الخيول وتجاريتها في الدير⁽²⁾. أما البضائع فكانت تُنقل من دير الزور بواسطة الإبل إلى حلب حيث يُجلب إلى سوقها الكبيرة التي تعرض فيها كافة أنواع البضائع الواردة من الشرق والغرب، إلى جانب أنواع الإبل والخيول، ثم تُنقل البضائع الشرقية من حلب إلى أنطاكية لتصديرها بحرًا إلى الخارج. كما كانت البضائع تنقل على الإبل من دير الزور إلى دمشق وغيرها من المدن السورية، وتُعتبر سوق الإبل في دير الزور أو حلب من أكبر الأسواق وأشهرها حيث تُعرض فيها الإبل الواردة من الموصل وسنجار والجزيرة الشامية والإبل الواردة من نجد⁽³⁾.

لم يعمل عقيلات سورية في الجندية فقط كما هو الحال في العراق

(1) باروت، التكون التاريخي الحديث للجزيرة السورية، ص 79.

(2) بلنت، قبائل بدو الفرات، ص 110.

(3) المسلم، العقيلات، ص 81 - 82.

بالرغم من وجود وحدة عسكرية عقيلية في دمشق مهمتها حماية قافلة الحج⁽¹⁾، وكان يشرف على هذه الوحدة إبراهيم محمد الرواف الذي كان أميراً من أمراء حرس الحج الذين يحرسون مؤخرة القافلة، وقد اختاره والي دمشق كأحد المتعهدين لنقل الحجاج، فكان المسؤول عن تأمين الإبل والخيول ومعدات الرحلة، والحراسة والخفارة، وظل يقوم بهذا العمل مدة سبع وعشرين سنة، ومعه عدد كبير من رجال العقيلات يصل عددهم إلى مائة وخمسين أو مائتين⁽²⁾، وتوقفت هذه المهمة عند إنشاء سكة حديد الحجاز سنة 1326هـ/1908م، بين دمشق والمدينة، حيث انتهى التنقل على الرواحل إلى الأماكن المقدسة⁽³⁾ في طريق القوافل للحج الشامي. (عاد هذا الطريق إلى العمل مرة أخرى عند تدمير خط سكة الحديد الحجازي إبان الحرب العالمية الأولى. وسيأتي إيضاح ذلك).

ومنذ تحويل البريد الهندي إلى الطريق البرية سنة 1285هـ/1868م تولى العقيلات أيضاً الخدمة البريدية على طريق ضمير-بغداد⁽⁴⁾.

ومن الجدير بالذكر أن نشير إلى فترة الحكم المصري في بلاد الشام التي امتدت إلى حوالي العشر سنوات (1247-1256هـ/1831-1840م) ومدى تأثيرها على ازدهار الحركة التجارية. فقد كانت طموحات محمد علي باشا منذ دخول القوات المصرية سورية، النهوض بالنواحي

(1) داوتي، ترحال في صحراء الجزيرة العربية، ج1 مجلد1، ص 372.

(2) العبودي، معجم أسر بريدة، ج8، ص 210 - المسلم، رجال من القصيم، ج1، ص 84 - الطنطاوي، علي، ذكريات، جدة، دار المنارة للنشر والتوزيع، ط3، 1431هـ/2000م، ج1، ص 206.

(3) السوسي، لورنس الحسن البرهو، قافلة الحج الشامي وآثارها الاقتصادية والاجتماعية في بلاد الشام، جامعة دمشق، رسالة ماجستير، 2007م، ص 142.

(4) اوبنهايم، البدو، ج3 ص 322.

الاقتصادية للإفادة من خيرات البلاد، ومن هذا المنطلق أقدم إبراهيم باشا على تشجيع الزراعة فقدّم السلفيات المادية للفلاحين للقيام بزراعة الأرض، كما زاد بعدد المحارث، فأصبح الكثير من القرى مزروعة وتعطي إنتاجًا عاليًا. ولأجل استمرار سياسة دفع الإنتاج الزراعي أعفى الفلاحين من الضرائب لمدة ثلاث سنوات، ولمزيد من التحميس أعطيت التراخيص بأن الذي يزرع كرمًا أو بستانًا في أرض غير حيّة تصير له ملكًا ولا يكون عليه مال. فتنامت زراعة أشجار التوت لإنتاج الحرير، وأشجار الزيتون لإنتاج الزيت والصابون، وزراعة القطن لإنتاج المنسوجات، وكذلك زراعة الحبوب والكروم⁽¹⁾.

ولوجود المراعي الصالحة للمواشي، تمّ إحضار أغنام من إسبانيا وهُجّنت مع الأغنام العربية للإفادة من لحومها وصوفها، وبُذلت الجهود لزيادة الإنتاج، وحُرِّم ذبح الحملان⁽²⁾.

أما التجارة بنوعها؛ الاستيراد والتصدير، فقد اتسعت بين أوروبا والشام نظرًا لإعطاء امتيازات تجارية للدول الأوروبية. ومعروف أن الشام هي المعبر للتجارة بين الشرق والغرب، وكان لزيادة النشاط التجاري أثره على التجارة الداخلية، فارتفع شأن المدن التجارية السورية وأصبحت سورية من الدول الغنية تأتيناها القوافل من العراق وما وراءها محملة بمنتجات الشرق - المواد الطبية، المطاط، اللاك، الأحجار الكريمة، العطور - ففي سنة 1252هـ/ 1836م وصل إليها ستة آلاف جمل محملة بأنواع البضائع المختلفة فانتعشت بها الحركة التجارية.

(1) السالم، لطفية محمد، الحكم المصري للشام، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط2، 1410هـ/ 1990م، ص 140 - 150.

(2) السابق، ص 153.

وتعتبر حلب المركز التجاري الهام في شمال الشام لقربها ومعاملاتها مع أرمينيا والأناضول وبلاد الرافدين، وصلاتها بالهند وشبه الجزيرة العربية، وفيها وجدت منتجات هذه البلاد، وكانت لها السوق الرائجة واشتملت على حرير فارس والصباغة وشعر الماعز والبن والتوابل والأدوية.

إضافة إلى أن دمشق كانت مركزاً لتجمع عدد كبير من الحجاج المسلمين الذاهبين إلى مكة سنوياً، وواضح ما في ذلك من أهمية للتبادل التجاري⁽¹⁾.

وفي سنة 1254هـ/ 1838م ازدادت رؤوس أموال التجار الدمشقيين بسبب نجاح تجارة الاستيراد مع أوروبا، وازدهار التجارة مع بغداد، فتعامل قسم منهم مع أوروبا، أما المؤسسات الأصغر فتعاملت مع الحجاز وشبه الجزيرة العربية، وبعضها مع فلسطين ومصر عبر قوافل العقيلات⁽²⁾.

(1) السابق، ص 190.

(2) شيلشر، دمشق في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، ص 83.

الرحلة والانتشار:

تعتبر الشام المحطة الثانية للعقيلات بعد العراق، وكانت قوافلهم تسير متوجهة إلى سورية عبر طريقين:

الأول: عبر العراق - البصرة - الزبير - سوق الشيوخ - النجف - الرمادي - الحديثة - أبو علي - نقطة أبو كمال في الحدود السورية - دير الزور - الرقة - حلب - أنطاكية⁽¹⁾

الثاني: من القصيم: بريدة - قصيبا - زرود - الحيانة - عذفا - الشويحية - القارة - النبك - العمري - سحاب - معان درعا - الصنمين - الكسوة - دمشق.

حدد العقيلات المحطات التي يتوقفون أو يقيمون فيها، كما حددوا محطات تخزين بضائعهم أو أماكن تجمع إبلهم وخيلهم، فكانت دير الزور على الفرات أول محطة يقيمون فيها ويخزنون بضائعهم في خاناتها، ويرتادون سوق إبلها الكبيرة المسماة (المناخة) فيبيعون ويشترون.

من دير الزور تنطلق القافلة إما إلى حلب - عبر طريق الرقة⁽²⁾ والفرات - حيث سوقها الكبيرة التي تتجمع فيها البضائع من الشرق والغرب، إضافة إلى سوق الإبل والخيل الكبيرة فيها، أو تنطلق إلى دمشق عبر طريق البادية السورية مروراً بتمر⁽³⁾ في قلب البادية السورية، فالضمير، فدوما، فعذرا.

(1) المسلم، العقيلات، ص 81.

(2) الرقة: تقع في الشمال الشرقي من سورية، وسط الجزيرة الفراتية على نهر الفرات حيث يلتقي برافده البليخ، على بعد حوالي 160 كيلاً شرق مدينة حلب، أنشئت المدينة قبل الميلاد وكان اسمها كالينيكوس، استعمل الرشيد الرقة عاصمة له فأصبحت مركزاً علمياً وثقافياً. (شامي، يحيى، موسوعة المدن العربية والإسلامية، ص 61).

(3) تدمر: إحدى أهم المدن الأثرية عالمياً، تقع وسط سورية، تبعد 215 كيلاً شرق دمشق، وهي =

ولذلك استقر في هذه المحطات والمدن العديد من بيوت العقيلات الذين عملوا كوسطاء ووكلاء لأبناء وطنهم.

يسلك العقيلات طرقاً مألوفة محددة المعالم، ومعهم أدلاء محترفون ولهذا فهم نادراً ما يضلّون مسالك الطريق، وقد تصادفهم في الطريق العواصف والزوابع التي تمحو آثار الطريق وعلامات الهداية فتضطر القافلة للتوقف ريثما يخرج الأدلاء للتقصّي والبحث، يسترشدون بالعلامات المميزة من تلال أو أودية فإن أعجزهم الأمر أناخوا في مكانهم، وانتظروا حلول المساء ليهدتوا حينئذٍ إلى طريقهم بالنجوم، ويعتبر النجم القطبي (الجدي) هاديهم ومرشدهم، وليس ذلك فحسب إنما يستطيعون أيضاً تحديد الساعة ليلاً وذلك بمتابعة حركة النجوم ومواقعها في السماء، كما أنهم يستدلون على الساعة نهاراً بالزوال وذلك بالاستعانة بألة صغيرة هي عبارة عن عصا مستقيمة يضعها العقيلي بين أصبعيه ويستدل من ظلها على الوقت⁽¹⁾.

لم يكن للعقيلات وقتٌ محددٌ خلال العام للقيام برحلاتهم التي اعتادوا أن تبدأ مع دخول فصل الخريف إلقاءً لحرارة الصيف. تختلف الطرق التي يسلكونها باختلاف الوقت الذي تسير فيه القافلة؛ فإذا ساروا في فصل الصيف فإن القافلة تحتاج إلى الماء الكثير، ولذلك يتبعون الموارد حتى ولو طال عليهم الطريق، بخلاف فصل الشتاء الذي لا تحتاج الإبل فيه إلى الماء مدة طويلة، ولذلك فهم يختصرون الطريق والموارد. كما يسلكون طرقاً يمرون خلالها بأماكن بيع وشراء الإبل، أو

= مدينة ذات أهمية تاريخية حيث كانت عاصمة مملكة تدمر. (شامي، يحيى، موسوعة المدن العربية والإسلامية، ص 50).

(1) إبراهيم، نجديون وراء الحدود، ص 143.

تحدها المواقع الصعبة التي قد تعترضهم في الصحراء ومن أبرزها عدم العثور على ماء في الموارد أو العواصف الصحراوية الشديدة، والشمس المحرقة، أو قُطَاع الطرق وأساليب غدرهم المتنوعة والمفاجئة.

عرف العقيلات من خبرتهم في مجاهل الصحراء، وخبرتهم في القوافل، موارد المياه وأماكن تواجدها في القفار المترامية، كما عرفوا المسافات التي تفصل بين المورد والآخر، ولذلك عرفوا كيف يتداركون المواقع الصعبة وأهمها العطش وقلة الماء في الرحلة. وفي حالة تباعد الموارد كانوا يلجأون إلى ما يسمى (المحال) وهو السير آخر النهار والليل بطوله وصدر النهار الثاني بدون توقف فيقطعون المسافات البعيدة⁽¹⁾.

كانت الإبل السمينة المسنة تستخدم كخزانات مياه حيّة، حيث إن الناقة السمينة المسنة التي تُشَجَّع على الشرب تستطيع أن تستوعب أكثر من ستين لتراً من الماء، وإذا مُنعت عن الرعي والاجترار فإنها تحتفظ بالماء في كروشها عدة أيام. وإذا دُبِحت فإن الماء الذي يؤخذ من كرشها يهدأ في بضع ساعات ثم يصبح صالحاً كي يشربه الناس والحيوانات، ولحوم هذه الإبل المذبوحة تؤمّن طعاماً للرحالة، وكلما كانت الناقة أكثر قوة وسمناً وكبراً استطاعت أن تستوعب كمية أكبر من الماء، وأن تبقى على قيد الحياة مدة أطول من دون رعي⁽²⁾. وعندما يريد البدوي أن يحرض الناقة على الشرب يأخذها إلى قرب بئر الماء، ثم يعقلها ويصب الماء في وعاء اعتادت الناقة أن تشرب فيه ويضرب الماء براحه كفه ويغري الناقة أن تشرب منه، مع أغان قصيرة وضربات محددة، فتتنظر إلى ذلك

(1) بلنت، قبائل بدو الفرات، ص 35-اوبنهايم، من البحر المتوسط إلى الخليج، ج 1، ص 343-السويداء، عقيلات الجبل، ص 139.

(1) موزيل، الويس، في الصحراء العربية، ترجمة: رزق الله بطرس، بيروت، شركة دار الوراق، ط 1، 2011 م، ص 89.

ولكنها لا تستطيع الوصول إلى الماء، وعند حاجتها الملحة للماء ترفع أذنيها؛ وكثير من نوق الركوب تُدرَّب لتعرف بهذه الحركات والأصوات أنها ستذهب في رحلة طويلة عبر الصحراء القاحلة لكي تشرب بشراة أكبر. فإذا كانت معقولة وتسمع الصفعات والأغاني المعتادة، فإنها ترفع أذنيها إلى جهة الماء وتكشف عن حاجتها الملحة للمياه بانتحاب خاص متضرع. فالماء قريب والرحلة أمامها طويلة ولا تستطيع الحصول على الماء. عندما يفك راعيها عقالها تركض إلى الوعاء وتشرب بجركات طويلة وعميقة، ثم يضيف الراعي الماء طالما هي تشرب، ثم يبعدها عن مكان السقاية ويدعها ترعى، وبعد ساعة يقودها ثانية إلى الماء ويعقلها ويشير ظمأها حتى ترتجف، عندئذ يتركها تشرب للمرة الثانية. بهذه الطريقة يمكن إجبار أي ناقة قوية بأن تشرب كمية كبيرة من الماء، وإذا كان الماء سيستخدم للناس أو الحيوانات تُربط أفواها لمنعها من الرعي والاجترار حتى لا يمتزج الماء بالطعام في كروشها. ومن أجل تحمل أي رحلة طويلة من دون طعام، يجب أن تكون الناقة قوية، وأن يكون سنامها الذي تعيش منه عاليًا وكثير الشحم. بعد عدة أيام من الرعي الضئيل يتقلص السنام، وعندما يختفي يكون الحيوان قد أصبح ضعيفًا عمومًا ولا يستطيع النهوض بالحمل أو الراكب.

موارد المياه:

تنطلق الرحلة من (الجردة) في بريدة عندما يكون العقيلات قد جهزوا أنفسهم للرحلة قبل أيام، فيخرجون من الباب الشمالي لبريدة⁽¹⁾ حينما كانت المدينة ما زالت تحتفظ بأسوارها وبوابات للخروج والدخول تُفتح

(1) المسلم، رحلتي مع العقيلات، ص 32.

وتُقلّ وفق مواعيد محددة، ثم تتجه القافلة إلى نفود الشماس صعوداً على رماله المرتفعة، وهو المطلع والطريق الوحيد للعقيلات في سفراتهم. تنزل بعد ذلك القافلة إلى بلدة (الصبيحية) وهي شمالي (الغاف)، وإلى اليسار تقع كُثبان الرمال المرتفعة، وإلى اليمين الصفراء وهي جبال صغيرة كانت تُستغل حجارتها في البناء، ثم تصل القافلة إلى الشقتين السفلى والعليا، حيث الأرض خضراء والعشب مرتفع، وفي إحدى الرياض ما بين الشقتين تتوقف القافلة لفترة من الراحة وهو ما يسمونه (المَضْحَى) حيث تُترك الإبل ترعى وعليها الأحمال، ويبدأ الطباخون والقهوجية الإعداد لطعام الغداء والقهوة، وتفرق مجموعة الخويا لجمع الحطب. و(المعازيب) أي التجار يفرشون السجاد ويحفرون (الوجار) - حفرة في الأرض يتم جمع الحطب فيها وقوداً للنار - ليصنعوا غذاءهم ويأكلوا. بعد الغداء والراحة تكمل القافلة المسير باتجاه الشمال تاركين الشقة العليا على اليمين حيث تظهر على البعد أثال⁽¹⁾ على اليسار باتجاه الشمال الغربي.

المورد الأول: قَصِيْبَا

تجدّ القافلة في سيرها حتى تصل بلدة (قصيبا)⁽²⁾، وفي المكان المحدد

(1) أثال: أو أوثال قرية من قرى ناحية الجواء، شمال القصيم، تبعد عن مدينة بريدة حوالي 40 كيلاً، على طريق الحجاج بين الغمر وبستان بني عامر، شمال الشقة تمتد بينهما صحراء البطين الحجرة، مياهها ليست صالحة للشرب في كل مكان (العبودي، معجم بلاد القصيم، ج1، ص 284 - هوبير، شارل، رحلة في الجزيرة العربية الوسطى 1878 - 1882، ترجمة أليسا سعادة، بيروت، ط 1، 2003، ص 86).

(2) قصبيا: بقاف ساكنة فصاد مفتوحة، بطن منخفض شمال القصيم، على بعد 74 كيلاً من مدينة بريدة، تحتل حوضاً طبيعياً، كانت ذات نفوذ كبير فيما مضى، مياهها غزيرة وارتفاعها ثابت على مدار السنة (العبودي، محمد بن ناصر، معجم بلاد القصيم، ج5، ص 2018 - هوبير، =

تحط أحمالها بالقرب من مصب العين، حول بركة كبيرة خصصها (عيسى الرميح) لسُقيا السابلة والعربان التي ترد في فصل الصيف⁽¹⁾، وبعد أن تتم سُقيا الإبل وتزوّد القافلة بالمياه التي تكفي لاستعمالها للشرب والطهي حتى المورد التالي، تتحرك القافلة من قصيبا. تتقدم المسيرة مجموعة من الرّماة لصيد الغزلان والطيور، وفي (المضحى) تقف القافلة وتُنزل أحمال الثاية، ويتوافد القنّاصون بما معهم من صيد لتناول وجبة الغداء. وتستمر القافلة بسيرها حتى منتصف الليل لتتوقف لـ (المعشّى) حيث يقوم الطباخون بتجهيز طعام العشاء، بينما القهوجية يجهزون القهوة والشاي، والمساعدون يقومون بوضع الفرش والأغطية، ويُنزل الخُويا أحمال الثاية، ويتولى الحراس مهمة حراسة القافلة، ومن الجائز أن تواصل القافلة رحلتها ليلاً تبعاً لقرب المسافة إلى المورد التالي من بعده أو لجودة المراعي في هذه الأرض.

المورد الثاني: زرود

على مسافة ثلاثة أيام من مورد قصيبا، وقد تقل أو تزيد المسافة التي يقطعها المسافر يومياً حسب جودة المراعي⁽²⁾، وزرود موقع مشهور على طريق الحاج القادم من مكة المكرمة إلى العراق، وحول المورد تكثّر أسئلة الأعراب الوافدين لبعضهم عن أخبار الطريق، والاتجاه، والمراعي. كانت البئر تزدحم بالسُقيا فيُقام عليها عدة مقامات⁽³⁾، وغالباً ما يستقبل

= رحلة في الجزيرة العربية الوسطى، ص 87.

(1) المسلم، رحلتي مع العقيلات، ص 38.

(2) المسلم، العقيلات، ص 144.

(3) المقام: عبارة عن قطعة من الخشب مقسمة إلى شقتين يدخل بينهما قضيب من الحديد يوضع عليه (المحالة) أو البكرة ثم يوضع الدلو بعد ربطه بحبل سميك وطويل على مجرى البكرة =

أمير القبيلة المقيمة حول المورد الضيوف ويرحب بهم ويدعوهم إلى وليمة العشاء، وبعد أن تشرب الإبل ويتم تعبئة قَرَب الماء تُغادر القافلة المورد متجهة نحو الشمال الغربي وليس أمام القافلة من موارد المياه بعد زرود إلا الحَجْرة⁽¹⁾، وهي مصانع تتجمع فيها مياه الأمطار، ومن الجائز أن تكون هذه المصانع خالية من المياه إلا ما يكفي لسقيا أفراد القافلة فقط من دون الإبل؛ أما إذا كانت مليئة بمياه الأمطار فإن الإبل تشرب من هذه المياه وتبقى للرعي من أشجار الحمض المعروفة بالحجرة وتقبل عليها الإبل، فتزيد بذلك مدة الرحلة من ثلاثة إلى أربعة أيام - والحجرة هذه جبال صغيرة تتخللها كُثبان صغيرة من الرمال، وهي قريبة من النفود الكبير⁽²⁾ - وفي اليوم المحدد تُعاد سقيا الرعايا وتُمْلَأ القَرَب بالمياه وتسير القافلة إلى مورد الحيانية الذي يحتاج الوصول إليه عدة أيام، تدخل القافلة خلالها النفود، وهي عبارة عن متاهات قد تضل القافلة والرعايا طريقها، لكن أمير القافلة يكون قد استعد لقيادتها عبر هذه المتاهة بحيث يحدد نجماً معيناً للسير على هداية، والقوافل التي تتحرك ليلاً تتبع النجم القطبي المسمى الجدي، ونظرًا لخبرة

= وتُرْبَط نهاية الحبل على (مسامة) الجمل ويقف رجل على المقام ينزل الدلو حتى يمتلئ وعندئذ يطلب من راكب الجمل السير ساحبًا الحبل المثبت به الدلو ليصبّه في حوض من جلود الإبل مركّب على أخشاب على شكل قوائم. (المسلم، رحلتي مع العقيلات، ص 54). البكرة ثم يوضع الدلو بعد ربطه بحبل سميك وطويل على مجرى البكرة وتُرْبَط نهاية الحبل على (مسامة) الجمل ويقف رجل على المقام ينزل الدلو حتى يمتلئ وعندئذ يطلب من راكب الجمل السير ساحبًا الحبل المثبت به الدلو ليصبّه في حوض من جلود الإبل مركّب على أخشاب على شكل قوائم. (المسلم، رحلتي مع العقيلات، ص 54).

(1) الحَجْرة: بفتح الحاء فحيم ساكنة فراء مفتوحة فهاء، نفرة في الأرض، تقع بين جبل شعبا وبين عريق الدسم، تعتبر مجمعاً للسيول التي تصب فيها من جبل شعبا، تدخلها السيول فتمنعها رمال عريق الدسم فتبقى هناك حتى تنضب. (العبودي، معجم بلاد القصيم، ج 2، ص 784).

(2) المسلم، العقيلات، ص 145.

أمراء القوافل فإنهم يسIRON بجمالهم على الطريق نفسه للوصول إلى غايتهم⁽¹⁾.

تعاني القافلة المتاعب المتعددة بين الموردين كالعطش وحرارة الجو، فالمياه قد تنضب ولا تكفي إلا لشرب أفراد القافلة، عند ذلك تجدد الإبل بالسير تاركة المرعى، فهي تحتاج إلى الماء أكثر من المرعى، حتى تتراءى للناظر علامات من الحجارة موضوعة على رؤوس بعض الكشبان لتدل على المورد التالي. فلكل مكان سقاية في الصحراء، سواء أكان في مكان مستو أو في منطقة متموجة، علامته، فهناك عادةً روابي عليها أكوام من الرمل والحجارة وهي المعروفة بالرجوم، ومن دون هذه المعالم في الصحراء لا يستطيع أحد أن يجد طريقة⁽²⁾.

المورد الثالث: الحياينة

تجري الإبل مسرعة إلى المورد⁽³⁾ فلا يستطيع الرعاة كبج جماعها، فتتوقف حول البئر تراحم الإبل الأخرى الواردة عليه، وقد عُرف عن العرب الموجودين حول البئر كرمهم وشجاعتهم، فيقدرون مدى حاجة الإبل القادمة من الصحراء للماء فلا يمنعونها عن المورد وإنما يساعدون

(1) حسني، حسن، مذكرات ضابط عثماني في نجد - الأوضاع العامة في منطقة نجد، ترجمة وتعليق سهيل صابان، بيروت، ط 1، 2003م، ص 27.

(2) موزيل، في الصحراء العربية، ص 89.

(3) الحياينة: يُقال لها أحياناً الحيانيات، وتقع في الجانب الشمالي من النفود الكبير، قرب الطريق الغربي من التَّيسية شمال مدينة حائل على بعد يقرب من 270 كيلاً، وبئر الحياينة من المياه العذبة ويبلغ عمق البئر خمسين متراً واتساع فوهته خمسة عشر متراً. (الجاسر، حمد، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، شمال المملكة، الرياض، دار اليمامة، د.ت. القسم الأول، ص 478 - الوليعي (مترجم)، معجم البلدان والقبائل، المجلد الثالث، ص 129 - المسلم، العقيلات، ص 145).

الخويا على نصب مقام على البئر جانب مقاماتهم في محاولة للمساعدة على السقيا. ثم تبرك الإبل حول البئر لتأخذ قسطاً من الراحة ثم تعود لشرب ثانية، والخويا ينزلون الدلو ويصبون في الأحواض كلما فرغت من الماء العذب الذي اشتهرت به البئر.

بعد العشاء تبدأ سهرة من سهرات عقيل في المخيم، حيث يحضر بعض شعراء القبيلة المقيمة في الجوار وتكون ليلة سمر وأحاديث وترتيبات لورود الرعايا على البئر، ومن عادات العرب على المورد أن يتعرف بعضهم على بعض بطريقة الحداء والغناء حول البئر والإبل تتجمع حول صوت الراعي. ثم تتجهز القافلة للرحيل في طريقها إلى الجوف حيث المورد التالي.

وبلدة الجوف كان يعدّها السوريون أول محلة في نجد، ولهذا يطلق عليها أحياناً اسم (باب نجد)، أما النجديون فكانوا يعدونها في سورية لتطابق الكثير من الصفات بين أهلها والسوريين⁽¹⁾.

المورد الرابع: عذفا⁽²⁾

يقع هذا المورد على مسيرة يومين من الحianaة، بين النفود وأرض الجندل القريبة من بلدة سُكاكة⁽³⁾، في أرض فسيحة تحيط به بعض الجبال

(1) فالين، جورج أوغست، «عبد الولي»، رحلات فالين إلى جزيرة العرب، ترجمة: سمير سليم شبلي، مراجعة يوسف إبراهيم يزبك، بيروت، دار الوراق، ط 2، 2009م، ص 66

(2) عذفا: بالعين المهملة بعدها ذال معجمة ففاء وألف، منهل جانب النفود الموالي لأرض اللّبة في طرفها الجنوبي الغربي غرب جبال العُرة، وهي من أشهر مناهل النفود، تبعد عن سُكاكة 140 كيلاً. ويسمّيها البعض عذفاء. (الجاسر، المعجم الجغرافي، القسم الثالث، ص 889).

(3) سُكاكة: بالضم، بمعنى الهواء الملاقي عنان السماء، من قرى الجوف، تقع على مسيرة ثمان وأربعين كيلاً من دومة الجندل (جنيدل، سعد بن عبد الله، بلاد الجوف أو دومة الجندل، دار اليمامة، ط 1، 1401هـ/ 1981م، ص 76).

العالية من شماله وجنوبه، ومن شرقه كثبان من الرمال العالية، وفيه خمسة آبار ومياها قريبة. وقبل وصول القافلة إلى المورد يسير أفراد من الخويا يسمون (القلوط) ليتعرفوا على المورد ومن عليه من العربان، ويفدون على رئيس القبيلة الذي يحدد يومًا للورود، وتصل القافلة، وتُنصب الخيام.

المورد الخامس: الشويحية

مورد (الشويحية)⁽¹⁾ تلتقي حوله القوافل في الذهاب أو الإياب، وكانت معظم مياه هذا المورد مالحة، ولا يوجد داخل المدينة بئر صالحة للشرب سوى بئر (الصقعي) يستقي الناس منها طوال إقامتهم، ويوجد مورد آخر يدعى مورد صوير؛ يقع شرقي سكاكة، تتجمع حوله كذلك القوافل، وقد يترث العقيلات في سكاكة بعض الوقت يعرضون إبلهم على التجار، ويتلقون أخبار الأسواق في البلاد المجاورة، وإذا تمكن أحد التجار من بيع إبله فإنه يسافر إلى العراق لشراء بعض الإبل والخيول ليتوجه بها إلى الأسواق، أو قد يسافر إلى الشام ويشتري بعض الإبل ويجهزها بأحمال من الأرز والأقمشة وغيرها ويعود بها إلى القصيم.

(1) الشويحية: تصغير شويحية، قرية في منطقة الجوف، بين سكاكة وبدنة، تبعد عن سكاكة 45 كيلاً تقريباً وواديها ينحدر من جبال تعرف بهذا الاسم تتصل بجبال الجوبة الغربية، وجال الجوبة هذه هي المعروفة باسم قبالات (قبال الكبير، وقبال الصغير)، ماء قديم عذب. وهي أحساء كثيرة قرية المنزع. تشمل الأنشطة الاقتصادية فيها زراعة النخيل والخضار وتربية الماشية، وبها ماء كاف درجة عذوبته من 76 - 100% (الجاسر، المعجم الجغرافي، القسم الثاني، ص 754 - جنيدل، بلاد الجوف أو دومة الجندل، ص 197 - الوليحي (مترجم)، معجم البلدان والقبائل، المجلد الخامس، ص 222).

المورد السادس: القارة

مورد القارة⁽¹⁾ أو ذو القارة. وهي قرية كبيرة على جبل وفيها حصن منيع. كثيرة المزارع وفيها آبار، مياهها وفيرة لا يزيد عمقها عن عشرة أمتار.

تتحرك القافلة بعد ذلك باتجاه وادي السرحان الذي تصله بعد مسيرة أربع ساعات تقريباً، حيث تسلك الطرق الوعرة والشعاب الصغيرة التي تجري فيها بعض المياه المالحة، ويحاول الرعاة منع الإبل من رعي أشجار هذه المناطق كي لا يصيبها الإسهال. تقطع القافلة وادي السرحان، وبعد مسيرة ثلاث ساعات تقريباً تبدأ الأرض بالتغير إلى أرض طينية رملية كثيرة الأشجار قليلة الملوحة، وقد ترتاح القافلة قليلاً ثم تتحرك باتجاه القرى أو النبك⁽²⁾.

المورد السابع: النبك

تبعد البئر عن مدينة النبك مسافة كيل واحد، وهي بئر كبيرة مخصصة لسقيا الإبل من السابلة والعرب المقيمين حول المدينة أو الذين يردون إليها من الفلاة. ويتم ترتيب السقيا على البئر حسب مواعيد محددة يلتزم بها الرعيان. وقد جرت العادة في هذا المورد أن يتم إحصاء الإبل

(1) القارة: هي البلدة الثالثة في الجوف وتقع في جنوب مدينة سكاكة. والمسافة بينهما 11 كيلاً. تحتوي على قلعة خربة، على تل منخفض. (الجاسر، المعجم الجغرافي، القسم الثالث، ص 1057).

(2) القُرَيَات: بضم القاف على لفظ جمع القُرْيَةِ بالتصغير. مدينة معروفة في الشمال مرتفعة على جبل، من منازل طي. ويطلق اسم قريات الملح على قرى صغيرة متقاربة، أشهرها كاف والمنوة والقرقر وإثرة والنبك قاعدة المنطقة. وكانت حياة أهل تلك القرى تعتمد على استخراج الملح وتصريفه في أسواق الشام حينما كانت المواصلات لا تخضع لحدود أو قيود. (الجاسر، المعجم الجغرافي، القسم الثالث، ص 1089 - 1090).

وتحصيل الرسوم على كل رأس منها⁽¹⁾ والتي كانت تدفع لأمرء تلك المنطقة وللحكومة السعودية فيما بعد. ثم تتحرك القافلة باتجاه الشمال الغربي حيث مركز الحديثة وفيه بئر للسقيا، ويعتبر آخر الحدود السعودية حيث تسير القافلة قليلاً لتصل الحدود الأردنية.

المورد الثامن: العُمري

بئر العُمري هو أول الموارد داخل الحدود الأردنية. حفرت هذه البئر لتشرب منها العشائر الأردنية والسعودية والعراقية والسورية، وعُقدت معاهدة جوار بين هذه البلدان في ما يخص تنقلات العشائر؛ فالشتاء تقضيه في الفلاة ترعى في الحماة والوديان، وتعود في الصيف إلى بعض الموارد⁽²⁾. تقع بئر العُمري غربي الحماة، وهذه البئر كثيرة المياه وتتسع لثمانية مقامات ومياهها عذبة، تكثر الإبل من شربها بعد أن تكون قد شربت من مياه القرى المالحة. وتطيب الإقامة للعقيلات مع إبلهم فتُنصب الخيام لثلاثة أو أربعة أيام ترعى الإبل في الحماة وتعود لتشرب من هذا المورد. تتحرك القافلة باتجاه قرية سحاب الأردنية التي تبعد عن بئر العمري بمرحلتين، فتسير القافلة في أرض مختلفة فيها أودية واسعة وجبال وطرق متعرجة⁽³⁾.

في قرية سحاب تنقسم القافلة إلى قسمين؛ قسم يذهب إلى أسواق سورية، وقسم إلى أسواق فلسطين⁽⁴⁾. يقوم أمير القافلة بتوزيع مواعيد

(1) المسلم، رحلتي مع العقيلات، ص 89.

(2) السابق، ص 92.

(3) السابق، ص 92.

(4) المسلم، رجال من القصيم، ج 3، ص 102.

دخول الإبل إلى أسواق سورية أو الأردن، ويذهب (القلوط) إلى دمشق وعمّان يبلغون عن وصول القافلة، ويخرج التجار والوكلاء من هذه البلاد ليتعرفوا على القادمين ونوع الإبل، وتقام أسواق البيع والشراء⁽¹⁾.

موارد أخرى:

هنالك موارد أخرى للمياه عرفتها القوافل وتعدّ «مواضع الماء في الطريق من الجوف إلى دمشق في الأماكن الآتية: النبك في وادي السرحان، مُرَيَّة، غُراب وقُراق، الحازم، الأزرق، بُصرى، حُرَيَّة، رُزْدلي، في طريق الحج، العوج، ودمشق»⁽²⁾.

في الأراضي السورية:

كان البدو يعرفون بوابتين تقودان من داخل الصحراء العربية إلى سورية بصرى في الجنوب والضمير في الشمال⁽³⁾.

1 - تسمى المنطقة الممتدة من وادي السرحان شمالاً إلى الشمال الشرقي باسم (الحماد)، وتمتد حتى تخوم نهر الفرات. فتنج القوافل من الحماد إلى (ضمير المات) فغوة دمشق حيث تحطّ الرحال استعداداً لدخول أسواق دمشق للبيع والشراء، ومن هنا قد تنطلق قوافل أخرى باتجاه حلب أو باتجاه البادية السورية فدير الزور حيث توجد أسواق أخرى للإبل تتجمع قادمة من العراق أو حلب.

يبدأ جبل حوران عند أطراف غوة دمشق باتجاه الجنوب، وإلى

(1) المسلم، العقيلات، ص 147.

(2) فالين، رحلات فالين إلى جزيرة العرب، ص 86.

(3) موزيل، في الصحراء العربية، ص 88.

الشمال يمتد جبل رواق قرب تدمر، ويسمى السهل الواقع بين هاتين المنطقتين أرض الصيقل الذي تقطعه القافلة بمسيرة يومين، ثم تبدأ هناك قفاراً معدومة من المياه تمتد مسيرة سبعة إلى عشرة أيام تعاني فيها القافلة من العطش إذ لا يوجد ماء في الطريق إلا في أيام الشتاء حيث يتجمع المطر في الغدران. تصل القافلة عبر وديان (لاهة) إلى أراضي القعر حيث يوجد في المنطقة مصدران للماء يبعد كل منهما عن الآخر مسيرة يوم كامل، وهما (الراح) وفيه عدد من الينابيع و(ملسا)، وبذلك لا تخلو أراضي القعر من المراعي الخضراء فتتريث القافلة لبعض الوقت⁽¹⁾.

يلتقي جبل رواق وجبل أبيض (الذي يمتد من الغرب) معاً وراء تدمر مع جبل (بلايس) الذي يمتد باتجاه الشمال مسافة يومين. ومع أن هذا الجبل لا يخلو من مياه ولكن لا توجد فيه قرى. وهو، بعد هذا الامتداد الطويل، يتغير اسمه فيصبح (جبل بشري) حيث ينتهي قبل دير الزور بيوم واحد. والזור اسم يطلق على الوادي الواسع لنهر الفرات من الجهة اليمنى حتى العراق.

2 - كان للعقيلات خلال نهايات القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي دورهم في قيادة القوافل والقيام بمهام الترحيل والنقل، فشكّلوا بذلك رابطاً تجارياً مهماً بين نجد والعراق والشام حيث كان الطريق بين نجد والشام يمر بالزبير التي عاشت على التعاملات التجارية والنقل، واستفادت بدرجة كبيرة من التجارة المحولة المتجهة إلى سورية لتجنب الرسوم الجمركية⁽²⁾، إذ لم يكن هناك طريق تجاري يربط بين الشام

(1) بوركهات، جون لويس، رحلات في سورية والأراضي المقدسة، ترجمة: شاهر حسن عبيد، دمشق، دار الطليعة الجديدة، ط 1، 2007م، ص 380 - 381.

(2) الجهني، نجد قبل حركة الإصلاح السلفية، ص 165.

ونجد بشكل مباشر⁽¹⁾. وكان هناك نوعان من القوافل تتحرك من البصرة والزيبر إلى حلب، فهناك قوافل معدة للإبل وتجارها فقط، أما الأخرى فكانت للتجارة ونقل السلع، وكان تجار العقيلات يجذبون الطريق الصحراوي المتجه من الزيبر الذي ينحدر إلى حلب مباشرة، وذلك لأنه الأوفر تكلفة، ولأن الإبل في البصرة أكثر وفرة، وأجورها أقل تكلفة⁽²⁾.

تخرج القوافل قاصدة الشام في مجموعات صغيرة مغادرة من الزيبر إلى كوييدة حتى تتكامل القافلة استعداداً للسير. وفي هذه الفترة يقيم تجار القافلة سوقاً للإبل وتجري حركة تداول نشطة في البيع والشراء، كما يشارك مع القافلة عدد آخر من تجار العقيلات الذين لا يملكون رأس مال كبير، فيخرج هؤلاء التجار الصغار من الزيبر وليس معهم من السلع أكثر من حمل جمل أو اثنين أو ثلاثة على الأكثر ليسيحوا منها في حلب، أو ربما يخرج هؤلاء بعدد قليل من الإبل غير المحملة على أمل أن يمدهم التجار الرئيسيون بحمولات لإبلهم عند العودة، حيث إن حجم السلع الواردة من حلب أكبر من السلع الصادرة. وهناك طرق عدة بين البصرة وحلب أهمها الطريق الذي تسلكه قوافل العقيلات حيث تنتقل القافلة إلى الزيبر ثم تنزل إلى كوييدة - كابدة - مشهد علي - الأخيضر - العين الكبيرة - كبيسة، وهي ملتقى القوافل التي تفد من بغداد والبصرة في طريقها إلى الشام بمرورها على منازل: عين الأرنب، قلة، رطبة، طيبة، جب، الغنم، جبول، وعين الكرم، ثم تنتهي القوافل إلى سفيرة، وهي قرية تبعد عن حلب أربعة وعشرين كيلاً تقريباً، حيث تقف القوافل للفحص الجمركي

(1) إبراهيم، نجديون وراء الحدود، ص 126.

(2) السابق، ص 128.

وتحصيل الرسوم⁽¹⁾. وكانت الرحلة الأساسية للتجارة والإبل هي التي تمر عبر الطريق النشط الذي يربط البصرة بحلب التي كانت تشكل مخزنًا كبيرًا لتجارة غرب آسيا تغطيه قوافل عظيمة من الخيول والحمير والإبل تصله بالأقطار الأجنبية. وكان حجم تجارتها كبيرًا جدًا، وكان فيها تجار محترمون ينتمون إلى كافة الجنسيات تقريبًا⁽²⁾. لا يهتم المسافرون كثيرًا بزيادة الطريق، وأغلب زاد العقيلات في هذه الرحلات التمر وبعض الخبز الجاف أو (قرص عقيل)⁽³⁾، فهم يعرفون بأن الصحراء لا تحتاج إلى طعام كثير، أما اللبن، فإذا ما تمت إضافة الماء إليه فهو ممتاز جدًا للرحلة⁽⁴⁾.

(1) إبراهيم، نجديون وراء الحدود، ص 134.

(2) السابق، ص 118.

(3) قرص عقيل: نوع من الفطائر مصنوع من الدقيق والبيض والسكر وعرفت صناعته من العقيلات. (المسلم، العقيلات، ص 125).

(4) إبراهيم، نجديون وراء الحدود، ص 132.

الفصل الثاني

الأدوار الاقتصادية والاجتماعية والعسكرية والسياسية للعقيلات

أولاً: الأدوار الاقتصادية:

أهمية موقع القصيم:

شكلت منطقة القصيم بسبب موقعها المتوسط من شبه الجزيرة العربية أهمية اقتصادية بأسواقها التجارية وارتباطها بعدد من طرق التجارة بين الخليج العربي والعراق والشام والحجاز، وأصبحت مدينتا بريدة وعنيزة بطريقة تقليدية سوقين تجاريين ومركزين لتجارة الماشية، ساعد على ذلك قدرة أهل القصيم وأمانتهم في ممارسة التجارة، فازدهرت خلال فترات طويلة تجارة الإبل والخيول والأغنام ليتم تصديرها إلى الشام والعراق ومصر عن طريق القوافل التجارية التي يسيّرُها (العقيلات) فاتسعت قيادتهم للقوافل إلى العراق، ومن البصرة وبغداد إلى دمشق وحلب⁽¹⁾، كما ازدهرت تجارة المنتجات الزراعية وأهمها التمور والحبوب التي تصدر إلى عدد من المدن والقرى الداخلية، والتي يجلب العقيلات لها المواد التي تنتج في العراق والشام.

(1) اوبنهايم، البدو، ج3، ص 320.

دور العقيلات:

قدّم العقيلات الإبل والأدلاء للقوافل التجارية في الجزيرة العربية، وشاركوا في تكوين القوافل خارج الجزيرة، وكانت توجد في شمال الجزيرة اتحادات تجار الإبل وأدلاء القوافل المنتسبين إلى العقيلات⁽¹⁾. وفي أواخر القرن الثامن عشر كانوا وحدهم يتمتعون بحق تشكيل القوافل التي تعبر بادية الشام وقيادتها وحمايتها⁽²⁾.

كما أدى تجار العقيلات دورًا أساسيًا في دمج إنتاج الحضر الزراعي وإنتاج البدو الرعوي في نظام اقتصادي شامل متكامل، مستفيدين في ذلك من الإبل كوسيلة للنقل، ومن خبرتهم بحياة الصحراء، ومعرفتهم بشؤون القبائل وأعرافها وطرق التعامل مع البدو. فقد مثلت قوافل العقيلات مجالًا من أهم مجالات النشاط الاقتصادي الذي نتج عن استئناس الإبل، وهي تنظيم أفرزته الجزيرة العربية في تفاعلات بدوها وحضرها مع بعضهم البعض، وفي تفاعلاتهم مع الحضارات المجاورة. إنها تقوم على تصدير منتجات الجزيرة العربية إلى العراق والشام ومصر ثم تعود محملة بما تنتجه هذه البلاد وما تستورده من سلع وبضائع أجنبية⁽³⁾، ناهيك عما تحمله معها من النقد المتداول في ذلك العهد من الذهب والفضة.

وتعددت أنشطة العقيلات، فكانت تجارية أو غيرها من الأنشطة المشابهة، ومن أهمها:

- (1) الطنطاوي، ذكريات، ج 1، ص 206 - الوليعي (مترجم) معجم البلدان والقبائل، المجلد الأول، ص 519.
- (2) فاسلييف، ألكسي، تاريخ العربية السعودية، بيروت، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ط 3، 2010م، ص 4-42.
- (3) الصويان، سعد العبد الله، الصحراء العربية ثقافتها وشعرها عبر العصور، بيروت، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط 1، 1431هـ/ 2010م، ص 367.

1- تجارة الإبل:

كانت نجد ترسل كل عام عدة قوافل تجارية كبيرة، وكان بعض التجار يستأجرون الجمال من البدو ويحملونها بالمتوجات القليلة التي يستطيعون تصديرها كالصوف وشعر الماعز والإبل والسمن والشحم وسروج الإبل. وفي كثير من الأحيان يرافق هذه القوافل تجار إبل وماشية يسوقون القطعان المشتراة إلى العراق ثم على امتداد نهر الفرات إلى سورية، فيبيعون إبلهم ويجلبون التمور والأرز والقمح والشعير والملابس والحديد والنحاس، وإن أمكن، الذخيرة والسلاح⁽¹⁾. ويختلف عدد الإبل من قافلة لأخرى، فتضم القوافل الصغيرة ألفاً أو ألفاً وخمسمائة جمل، ومثل هذه القوافل يطلق عليها اسم القوافل السريعة غير السنوية، أما القوافل الكبيرة السنوية والتي تسير بمواعيد فيصل تعدادها إلى ثمانية آلاف جمل⁽²⁾ وقد تضم أكثر من عشرة آلاف جمل⁽³⁾، وتتجمع الأعداد الكبيرة لأن أصحاب القوافل يرغبون السفر جماعات طلباً للأمن ولا سيما عندما يقطعون البادية السورية متوجهين إلى حلب ودمشق⁽⁴⁾.

ففي سنة 1347هـ/ 1928م بلغ مجموع عدد الإبل التي صُدّرت إلى سورية من نجد في أشهر الموسم أربعة آلاف جمل بيعت في الأسواق، وبالرغم من التسهيلات التي حالفت التجار النجديين في جميع المعاملات الجمركية وغيرها، لم تكن الأسواق رائجة بل كانت الحركة فيها ضعيفة

(1) موزيل، الويس، عن التاريخ المعاصر لشبه الجزيرة العربية، ترجمة محمد كبيو، بيروت، شركة دار الوراق للنشر، ط 2، 2009م، ص 22.

(2) اينهولت، رحلة اينهولت الهولندي إلى العراق عام 1866 - 1867م، ص 119.

(3) موزيل، عن التاريخ المعاصر لشبه الجزيرة العربية، ص 23.

(4) اينهولت، رحلة اينهولت الهولندي إلى العراق، ص 119.

للمغاية، سواء في سورية أو مصر أو فلسطين⁽¹⁾. وتنشط تجارة الإبل كما يشتد الطلب على شرائها في أوقات الحروب، ففي الحرب العالمية الأولى 1914م/ 1333 هـ جُلب إلى دمشق وحدها ما بين ثلاثمائة إلى أربعمئة رعية خلال سنة واحدة؛ تتراوح أعدادها ما بين أربعة وعشرين ألفاً واثنين وثلاثين ألف رأس من الإبل⁽²⁾، كما تنشط هذه التجارة خلال أوقات الحج فيزداد الطلب عليها كونها وسيلة رحلة الحج المثلى⁽³⁾.

واشتهرت بعض القبائل العربية في تربية الإبل، كالرولة وشمر وعنزة، وكان الرولة منشغلين على نحو حصري تقريباً في تربية الإبل، فلم يكونوا يستطيعون الحصول على الحبوب والثياب والسلاح وضرورات الحياة الأخرى إلا مقابل الإبل التي يبيعونها لتجار الجملة الذين يعيشون في المدن الكبرى على حدود الجزيرة العربية⁽⁴⁾، «وقد كانت علاقات الرولة باستمرار أكبر مع سورية منها مع الجوف، ففيها يبيعون ويشتررون الأصناف القليلة التي يحتاجون إليها كالثياب والأرز والقمح، وهم إلى ذلك يبيعون في سورية جمالهم بأسعار أفضل بكثير»⁽⁵⁾.

طريقة التعامل التجاري للعقيلات (البضاعة والمضاربة) :

يتاجر العقيلات في أحيان كثيرة بأموال ليست ملكاً لهم، وفي الغالب

(1) دارة الملك عبد العزيز، المختار من صحيفة أم القرى، 1426 هـ ج 2، ص 472 (صحيفة أم القرى، مقال عن الحالة التجارية بين نجد وبعض الجوار، السنة الرابعة، العدد 189).

(2) السويداء، عقيلات الجبل، ص 34.

(3) السوسي، قافلة الحج الشامي، ص 64.

(4) موزيل، ألويس، أخلاق الرولة وعاداتهم، ترجمة وتعليق محمد بن سليمان السديس، الرياض، مكتبة التوبة، ط 2 1417 هـ/ 1997م، ص 342.

(5) هوبير، شارل، رحلة في الجزيرة العربية الوسطى 1875 - 1882، ترجمة أليسانر سعادة، بيروت، ط 1، 2003، ص 31.

تعود هذه الأموال لبعض العقيلات الذين استقروا وتوقفوا عن الترحال مع القوافل لبعض الأسباب التي حالت دون ذلك، كالتقدم في السن أو الثراء الذي وصلوا له، والتوسع بأعمالهم التجارية في بلدهم ما يتطلب منهم التواجد باستمرار لإدارتها. وهذا التاجر أطلق عليه العقيلات اسم (تاجر الجملة)⁽¹⁾ وأطلقوا على المال الذي يتاجر به العقيلي اسم (بضاعة)، والبضاعة كلمة لا تعني المفهوم المتعارف عليه وهو المواد التي يتاجر بها التاجر، ولكنها بمفهوم العقيلات تعني أن التاجر أخذ مبلغاً من المال من تاجر الجملة الغني المستقر في المدينة للمتاجرة به بعد أن يتفقا على حصة كل منهما من الربح⁽²⁾. وقد عُرف عن بعض تجار القصيم من العقيلات أو غيرهم أنهم كانوا يُبضعون العقيلات؛ والمشهورون⁽³⁾ منهم بذلك: محمد أحمد الرواف⁽⁴⁾، محمد العبد الله البسام⁽⁵⁾، سليمان

(1) الرواف، صفحات مطوية من تاريخنا العربي الحديث، ص 55.

(2) المسلم، العقيلات، ص 122 - العثيمين، تأملات في التاريخ والفكر، ص 67 - 68.

(3) إبراهيم، نجديون وراء الحدود، ص 300.

(4) محمد بن أحمد الرواف: (1264 - 1336هـ) ولد في مدينة بريدة، عمل في تجارة المواشي، وخاصة تجارة الإبل بين نجد والشام، كان أميراً للعقيلات في عدد من الرحلات، اشتهر بالشجاعة والكرم، كان له بيت وزوجة بدمشق وكان طول بقائه هناك يتولى القضاء بين عقيل وبادية الشام، وعلى عادة بادية الشمال كانوا يسمون الذي يحكم بينهم (عارفة) (المسلم، رجال من القصيم، ج 1، ص 79 - العبودي، معجم أسر بريدة، ج 8، ص 227).

(5) محمد العبد الله البسام: (1267 - 1354هـ) ولد في مدينة عنيزة، كان أميراً للعقيلات في رحلاتهم إلى العراق والشام ومصر، كان يضرب المثل بكرمه، عمل مع والده في التجارة، اشتهر كأحد تجار المواشي من الإبل والخيول، ارتبط بصداقة عدد من الحكام في الجزيرة العربية وفي الشام والعراق، وصل درجة عالية من الثراء اكتسبه من التجارة، قيل إنه في إحدى رحلات العقيلات كانت قافلته تتكون من مائة رعية من الإبل. (المسلم، رجال من القصيم، ج 7، ص 18 - 19 - أسرة البسام، ملحق رقم (4).

المشيقيح، عبد العزيز حمود المشيقيح⁽¹⁾، محمد عبد الرحمن الردي⁽²⁾ وعيسى الرميح⁽³⁾، حيث إن أغلب العقيلات الذين يخرجون للتجارة مع

(1) عبد العزيز حمود المشيقيح: (1280 - 1372هـ) ولد في مدينة بريدة، كان في وقت من الأوقات أغنى رجل في بريدة على الإطلاق، كان محباً لأهل العلم، عمل في التجارة وذاع صيته كأحد تجار مدينة بريدة الكبار، يقصده الناس من أنحاء القصيم للتعامل معه بالتجارة والقروض لتنمية مواردهم. (المسلم، رجال من القصيم، ج1، ص 157 - 160 - العبودي، معجم أسر بريدة، ج20، ص 66 - 67).

(2) محمد عبد الرحمن الردي: (1225 - 1300هـ) رأس أسرة الردي؛ بكسر الراء المشددة وسكون الباء، يرجع نسبهم إلى الجبور من بني خالد. من أشهر تجار مدينة بريدة خلال القرن الثالث عشر الهجري، كان صاحب ثروة كبيرة اكتسبها من ممارسة التجارة، كان حريصاً على نقاء ذمته في البيع والشراء، وقد دامت شركة أبناء محمد الردي زهاء ثلاثين عاماً بعد وفاة أبيهم وكانت لهم معاملات تجارية متعددة ومعاملات مع رجال العقيلات. أقام عدد من آل الردي بدمشق وعملوا مع العقيلات بتجارتهن. (المسلم، رجال من القصيم، ج1، ص 65 - 70 - العبودي، معجم أسر بريدة، ج7، ص 56 - 64).

(3) عيسى بن رميح بن عيسى الرميح: (1293 - 1353هـ) ولد في مدينة القراء، تلقى تعليمه على يد عدد من المشايخ، كان من كبار عقيل، حصل على ثروة كبيرة في الشام. ويُقال إن سبب ثروته كان لتعامله مع صاحب مالية الشريف حسين بن علي، وإنه كان يبيع إبلاً على الشريف بأرباح جيدة. إذ كان الشريف قد أوعز للشيخ عيسى الرميح إبان الثورة العربية بشراء إبل وبضائع أخرى من نجد و جلبها إلى مكة المكرمة، وحصل بذلك الشيخ عيسى على أرباح جيدة. علا قدره في سوق بريدة لما يتحلى به من صدق وأمانة، استثمر أمواله بأعمال الخير والكرم فأجرى عيلاً للماء في قصيبا، وغرس عليها نخلاً، وصار مقصداً للأضياف والأعراب المسافرين. وهو أول من طبع كتاباً بنفقته ووزع نسخه على أهل العلم مجاناً حيث جعله وفقاً لله تعالى، ويُعرف بمجموع ابن رميح. ارتبط بصداقات زعماء الجزيرة العربية. كانت قوافله موزعة على العراق والشام، وفي قرية سحاب الأردنية تنقسم قافلته إلى قسمين؛ قسم يذهب إلى أسواق سورية وقسم إلى أسواق فلسطين. كان إذا أراد السفر يكلف عدداً من رجاله بشراء الإبل والخيول من سوق بريدة كما يجوبون مدن وقرى القصيم لشراء الإبل والخيول النادرة. وإذا باع إبله في المنطقة التي قصدها يقوم بالسفر إلى المواقع والمراعي المشهورة في الشام مثل الجزيرة الشامية أو غوطة دمشق وغيرها من الأسواق وكان على معرفة بزعماء القبائل المنتشرة في شمالي الجزيرة العربية والعراق والشام. كان عيسى الرميح من أوائل تجار العقيلات الذين رتبوا طريقة سفر قوافلهم، وفوض عدداً من الوكلاء والدلائل لاستقبال إبله وبيعها في مختلف أسواق العراق والشام. (المسلم، رجال من القصيم، ج3، ص 101 - 104 - العبودي، معجم أسر بريدة، ج8، ص 181 - 187).

القوافل لأول مرة لا يملكون المال، فهم يأخذونه من التاجر ويضاربون⁽¹⁾ به، ولعل هذه المضاربة من باب الاستثمار لمال تاجر الجملة بعد الاتفاق بين الاثنين على قسمة الربح بينهما. وقد تنوعت قسمة الربح، فأحياناً يأخذ تاجر الجملة المستقر في بلده الثلثين، والثلث للعقيلي (الوكيل)، وأحياناً أخرى يكون الربح مناصفة بينهما، وقد يكون للتاجر صاحب رأس المال الثلث والعقيلي الثلثين إذا كان لا يأكل من هذا المال مدة بقاءه معه⁽²⁾. أما الخسارة سواء كانت ناتجة عن البيع والشراء أو عن السرقات والغزوات أو عن الفقد والضياع، لا تطال العقيلات ولا تلحق بمسؤولياتهم⁽³⁾، ووفق هذا الأسلوب من التعامل كانت الفائدة تعم الطرفين، فالتاجر تنمو تجارته من دون أن يتكبد عناء السفر ووعثائه، أو التعرض لأخطار الطريق، والعقيلي تكون الفرصة متاحة له لتكوين رأس مال يتمكن به من شراء الإبل أو ما يتاجر به مع القافلة. وكان هذا الشكل من أشكال التجارة معروفاً بين كبار التجار وبين المضاربين الذين يكون التعامل معهم على أساس ما عُرف عنهم من الوفاء والإخلاص وحسن القيام بأمور تجارتهم⁽⁴⁾.

ونادراً ما كان تجار الجملة يزورون الصحراء الداخلية، فلهم

(1) المضاربة: ضرب في التجارة، وفي الأرض في سبيل الله. وضاربه في المال من المضاربة: وهي القراض. والمضاربة: أن تعطي إنساناً من مالك ما يتجر فيه على أن يكون الربح بينكما أو يكون له سهم معلوم من الربح. وكأنه مأخوذ من الضرب في الأرض لطلب الرزق. وجائز أن يكون كل واحد من رب المال ومن العامل يسمى مضارباً لأن كل واحد منهما يضارب صاحبه. (ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، د.ت، ج1، ص 544).

(2) السويداء، عقيلات الجبل، ص 67 - إبراهيم، نجديون وراء الحدود، ص 300 - العبودي، معجم أسر بريدة، ج7، ص 412 - مقابلة النجدي، ملحق رقم (1).

(3) الرواف، صفحات مطوية من تاريخنا العربي الحديث، ص 55.

(4) العريفي، مقامات حاثلية، ج2، ص 212.

وسطاؤهم الذين يزودونهم بالمال للتعامل بالنيابة عنهم، وجميع هؤلاء الوسطاء أو الوكلاء من العقيلات حيث يحصل الوكيل العقيلي على المال من تاجر الجملة ليشتري إبلًا من قبيلة معينة ثم يقود هذه الإبل إلى أسواق الشام أو العراق لبيعها ويقسم الأرباح الصافية مع تاجر الجملة بطريقة يحصل فيها هذا الأخير على الثلثين أو النصف إذا كان الاتفاق يقضي أن يأخذ تاجر الجملة الثلثين⁽¹⁾، فيكون عليه أن يتحمل كامل الخسارة التي قد تنتج عن العملية، وفي الحالة الثانية يجري تقاسم الخسارة مناصفة؛ والخسارة واردة لأن الطلب على الإبل ليس دائمًا بالقدر نفسه، وغالبًا ما ترتفع الأسعار في الأسواق فجأة، والبدو يعرفون بهذا ويطلبون المزيد، عندئذ يكون على الوسيط أو المضارب أن يشتري بسعر باهظ، ومع ذلك عندما يجلب الإبل إلى السوق يمكن أن يكون السعر قد هبط، عندها يضطر إلى البيع بخسارة.

يستأجر العقيلي الوكيل مساعدين له، وغالبًا ما يكونون من أهل القصيم، ويزود نفسه بخيام بيضاء خفيفة، وبالقهوة والأرز، وغالبًا بالسلاح أيضًا للاستعمال أو البيع، ومعه رسائل توصية إلى الأمراء وزعماء القبائل الذين ينوي الشراء منهم مرسله إليهم من تاجر الجملة الذي يعمل معه، ويكون الأمير الذي نصب العقيلي خيامه عنده مضيّفًا له يعطيه الحماية كضيف لكنه لا يكون مسؤولًا عن طعامه⁽²⁾.

يجلب البدو إبلهم إلى الخيام البيضاء، وبيعونها بالعادة نقدًا، وعند البيع يحصل المضيف على مبلغ متفق عليه على كل رأس من الإبل،

(1) الرواف، صفحات مطوية من تاريخنا العربي الحديث، ص 55.

(2) موزيل، الويس، في الصحراء العربية، ترجمة رزق الله بطرس، بيروت، شركة دار الوراق، ط 1، 2011 م، ص 204 - أخلاق الدولة وعاداتهم، ص 343.

عندئذ يوسم الجمل الذي جرى شراؤه بوسم عقيل⁽¹⁾، ثم يُترك ليرعى مع القطيع، وكلما اكتملت رعية⁽²⁾ عين لها راعٍ وملحاق⁽³⁾ للاهتمام بها.

يخرج العقيلات إلى بوادي الجزيرة لشراء الإبل بعد موسم الحصاد وقبل انتهاء الصيف عندما يحتاج البدو إلى المال لشراء الملابس والمؤن التي يحتاجونها في فصلي الخريف والشتاء حيث تتوقف تجارة المواشي تمامًا أثناء الشتاء. فالبدو لا يحتاجون إلى المال، إذ يكونون قد خزّنوا ما يحتاجونه لفصل الشتاء، فهم يفضلون الاحتفاظ بإبلهم وماشيتهم للتكاثر واللبن، لأنهم لا يجدون صعوبة في تغذيتها بعد هطول أمطار الشتاء⁽⁴⁾.

بعد الحصول على العدد المطلوب من الإبل يتوجهون بها إلى منطقة القصيم حيث يتركونها ترعى في المراعي خلال فصل الشتاء، فإذا قدم الربيع ساقوا إبلهم نحو الشمال حيث تتسم حركتهم بالبطء أثناء السفر ليتيحوا الفرصة للإبل كي ترعى أثناء الطريق. ولدى الوصول إلى حدود الصحراء يتقدم العقيلي إلى أقرب مدينة كبيرة تقام فيها أسواق الإبل، فإذا استطاع بيع إبله هناك على نحو مربح فإنه يعود إلى القبيلة التي جاء منها، ويشترى إبلًا من جديد، لكنه إذا ظن أنه يستطيع أن يربح أكثر في العراق أو سورية، فإنه سيشتري كل شيء يستطيع من مضاربين آخرين ليتابع رحلته التجارية.

(1) أوبنهايم، من البحر المتوسط إلى الخليج، ج2، ص 132.

(2) الرعية: مجموعة من الإبل تعددها من 81 إلى 91 رأسًا من الإبل، والرقم الفردي يشير إلى القعدة وهي التي يركبها الراعي وعادة ما تكون بلون يختلف عن لون الرعية وتنعت الرعية بلون قعدتها. (المسلم، العقيلات، ص 87).

(3) الملحاق: مساعد الراعي. (المسلم، العقيلات، ص 126).

(4) الوليعي (مترجم)، معجم البلدان والقبائل، المجلد الأول، ص 519.

وينقل إبراهيم الرواف عن عمه - أحد عقيلات سورية - قوله: «نحن من يسموننا بالعقيلات من التجار النجدين ليست لدينا أموال طائلة تغنينا عن سؤال التجار، فهم يمدوننا بأموالهم كشركاء لنا، لذا نستعين بما نأخذه منهم من الأموال فنضيفها إلى أموالنا ثم نذهب إلى البادية نشترى الإبل من العربان، عندما تكون هذه الإبل هزيلة نوعاً ما، ويكون أصحابها بحاجة ماسة لبيعها ليكتسوا ويكتالوا من أثمانها، ثم نمكث في البادية شهرين أو أكثر، فتخضر الأرض ويكثر عشبها ومرعاها، فتأخذ هذه الماشية بالنمو، فنعرضها في الأمصار؛ دمشق، وفلسطين، والقطر المصري، ونبيعها بأثمان مرتفعة عما شُريت به، ثم نعود إلى شركائنا التجار وندفع لهم أموالهم مع أرباحها ونحتفظ بثلاث الأرباح، لأننا لا ندفع خسارة إذا حصلت لا سمح الله»⁽¹⁾.

قد تتعرض القافلة لغزاة غرباء، وهذا يحدث كثيراً في الصحراء، ولذلك يكون للعقيلات في كل عشيرة كبيرة (خويّ) يدفعون له مبلغاً من المال، وجمل ركوب جيداً واثنتين أو ثلاثاً من العباءات الجيدة سنوياً، وهذا الخويّ مُجبر أن يُعيد إليهم كل جمل سرقه أفراد عشيرته⁽²⁾.

2- تجارة الخيل:

اعتاد البدو على عدم تعريض خيلهم للمتاعب الكبيرة، فالفرس عزيزة عند البدوي وغالية عليه، ونظراً لعدم اهتمام البدوي بالنقود فإن الحصول على فرسه يتطلب إرضاءه بالحاجات الضرورية مثل الإبل والغنم والدقيق والأرز والتمر والسمن والقهوة والخيمة⁽³⁾.

(1) الرواف، صفحات مطوية من تاريخنا العربي الحديث، ص 55.

(2) موزيل، في الصحراء العربية، ص 204 - 205 - أخلاق الرولة وعاداتهم، ص 344.

(3) حسني، مذكرات ضابط عثماني في نجد، ص 76.

يجوب العقيلات الصحراء لشراء الخيل، ثم العناية بها لبيعها في أسواق المدن الكبيرة المجاورة للصحراء، خاصة دمشق وحلب والموصل وبغداد. وقد كانت سورية سابقاً سوقاً لمصر لشراء الخيل، وكانت الحكومة المصرية ترسل كل سنة بعثة تتوجه إلى دمشق لشراء الخيول، ويتم اختيار الخيول ووسمها في سورية، وينبغي على البائع أن يوصلها إلى مصر⁽¹⁾. وكان العقيلات في سورية هم الذين يتولون كافة الأعمال المتعلقة بذلك من توريد للخيل أو بيعها أو توصيلها.

وكان الاهتمام الأول بخيول نجد خاصة لما هو معروف عنها من سرعتها وقوة تحملها للتعب، وهذه المزية لا يمكن لأي خيل أخرى أن تضاهيها، فقد تمضي أربعاً وعشرين ساعة على الطريق من دون شرب ومن دون أن تتعب، وقد تعاني الجوع ولكنها تحتفظ بالأداء نفسه تحت أشعة الشمس المحرقة لمدة ثمان وأربعين ساعة⁽²⁾.

ولا شك أن تجارة العقيلات بالخيول ثابتة ومشهورة، إلا أن تجارة الخيل لا تُقارن بأي حال من الأحوال بحجم تجارة الإبل، فأعداد الخيل التي تتم المتاجرة بها لا تُقارن بأعداد الإبل، والحاجة إلى الخيل أقل منها إلى الإبل، كما أن أسعار الخيل المرتفعة قد تكون عاملاً من عوامل قلة من يتاجر بها، وقد وصل سعر الحصان الجيد إلى أربعمئة ريال فرنسي عام 1295هـ/ 1878م⁽³⁾، وقد يزيد سعر الحصان عن ذلك في أوقات الطلب كالحروب مثلاً، والمعروف أن أغلب العقيلات لم يخرجوا إلا للبحث

(1) أوبنهايم، رحلة إلى بلاد شمر وبلاد شمال الجزيرة، بيروت، ص 137.

(2) تايلور، بايارد، الترحال في جزيرة العرب، ترجمة رنا جزائري، أبو ظبي، دار الكتب الوطنية، ط1، 1433هـ-2012م، ص 226.

(3) داوتي، ترحال في صحراء الجزيرة العربية، ج2، مجلد2، ص 179.

عن الرزق، ولذا فإن من يتاجر بالخيـل هم أغنياء العقيلات، وهم فئة قليلة. ناهيك عن الجهود المبذولة في تربية الخيل، هناك صعوبة كبيرة تتمثل في نوع المأكـل والأجواء المناسبة سواء للتربية أو المتاجرة. فالجمل يأكل من نباتات الصحراء، ويتحمل العطش لوقت قد يصل الى أربعة أيام، ويتحمل كذلك حرارة الصحراء، ورمالها وبراريها، ويتحمل كذلك قسوة رحلة الصحراء. وهذه المزايا لا تتوفر في الخيل. لذلك أحجم الكثير من تجار العقيلات عن المتاجرة بالخيـل.

3- التجارة العامة:

شكّل العقيلات بعض البيوت التجارية المهمة التي تمثل حلقة من أهم حلقات الوصل التي تربط البادية بالحاضرة وتؤكد ما بينهما من تكامل اقتصادي، وهي ظاهرة حضرية وبدوية في آن واحد ينتمي إليها التجار من البدو والحضر، وإن كان الحضر يشكلون الغالبية، ولا سيما أن البدوي إذا نمت تجارته إلى حد معين سيضطر إلى الاستقرار الذي يقود إلى التحضر.

يحتك العقيلي بالبدوي وتشابك مصالحهما على عدة مستويات، وتصدر الصحراء العربية كل سنة بواسطة العقيلات إلى بلدان الهلال الخصيب ومصر مئات الرؤوس من الخيل وآلاف الرؤوس من الإبل التي تنتجها مراعي الصحراء، وكانت طبقة التجار من العقيلات وأمراء المدن والقرى يجيدون التعامل مع الأعراف القبلية ما مكنهم من اختراق الصحراء بتجارتهـم عبر المناطق القبلية المتحاربة من دون أن يصيبهم أذى أو يمسهـم أحد بسوء. وهكذا استطاعوا أن يؤمنوا طرق التجارة التي يمرون بها لأنهم يعرفون جميع الاحتياطات والتدابير التي عليهم أن يتخذوها مع

شيوخ القبائل. إضافة لما يدفعه العقيلي لشيخ القبيلة من مبلغ مالي مقابل كل جمل يشتره من مضارب القبيلة، يدفع أيضًا خوة للخوي⁽¹⁾، أو الرفيق من أبناء القبيلة الذين يتعهدون بحماية شخصه وممتلكاته من أبناء قبيلتهم والتكفل برّد ما ينهبونه⁽²⁾.

تختلف قوافل العقيلات في مواعيد رحلاتها تبعًا لما تحمله القافلة أو ما تقوم به من تجارة. فالقوافل التي تجلب القمح والحبوب من الشام تبدأ رحلتها إلى نجد بعد موسم الحصاد والتي تجلب التمور من العراق بعد صرام النخيل. أما القوافل التي تسير بالإبل والخيول إلى العراق والشام فإنها عادة تغادر نجد مع نهاية فصل الربيع بعد أن ترعى هذه الأنعام من المراعي وتخترن الطاقة التي تعينها على الرحلة حتى تصل إلى الأسواق بدينة وفي حالة جيدة.

وتقوم التجارة العامة للعقيلات على ثلاثة أنواع:

أولاً: أن تكون القافلة بكاملها للتاجر نفسه وهو الذي يتولى قيادتها ويقوم مع مساعديه بتجهيزها والاهتمام بها، وتحمل هذه القافلة صنفًا واحدًا أو عدة أصناف حسب متطلبات السوق. وكان لهؤلاء التجار الأغنياء مكانة مرموقة في الأسواق التي يغشونها.

ثانيًا: أن تكون القافلة لاثنتين أو ثلاثة من التجار ويتولى قيادتها أحدهم

(1) الخوة أو الخاوة: كانت الخوة التي يدفعها السكان الحضر وشبه الرّحل إلى البدو ترتدي منذ القدم لبوسًا عشائريًا وكأنها مكافأة على الحماية والوصاية. ولذلك اشتق اسمها من لفظ الأخوة وهي تدفع عادة إلى الشيخ أو أحد أبناء القبيلة الذين يتمتعون باحترام كبير. وكان البدو يفرضون رسومًا على قوافل التجار والحجاج أطلقوا عليها كذلك اسم الخوة. (فاسيليف، تاريخ العربية السعودية، ص 60 - 61).

(2) الصويان، الصحراء العربية ثقافتها وشرعها عبر العصور، ص 368.

أو أكثر من واحد وغالبًا ما تكون هذه القافلة قافلة سلع على مستوى كبير، ومثل هؤلاء التجار يجهّزون السلع ويبيعونها بالجملة والتجزئة.

ثالثًا: أن تكون القافلة لعدد من التجار لكل منهم مجموعة من الإبل يتاجر فيها بما يريد من السلع ويتولى قيادة القافلة واحد من التجار يكون أميرًا على القافلة يختارونه من بينهم، وتكون مصاريف القافلة موزعة بالنسبة حسب حصة كل تاجر، ويكثر في مثل هذه القافلة التنافس بين التجار، كما يكثر فيها عدد التجار الصغار الذين يأخذون ما يسمونه (بضاعة) من تاجر كبير لبيعها ويكون الربح مناصفة بينهما، وقد يتطور أمر هؤلاء التجار الصغار مع الزمن فيتحولون بخبرتهم ومالهم إلى تجار كبار⁽¹⁾. وبذلك ازداد عدد التجار⁽²⁾، حيث يزاول الكثير من أهل نجد التجارة ويجلبون الأموال من البلاد المجاورة كالبحرين والكويت ويصدرونها إلى سورية من طريق البادية حيث يفرض أهلها لأنفسهم ضرائب فادحة لقاء السماح للتجار باجتياز ديارهم، وكذلك يفعل من يليهم من ساكني الطرق التالية حتى الوصول إلى حدود سورية، فلا يصل التاجر إلّا وقد دفع من الضرائب والخواوات على ماله خلال الطريق مالا كثيرا وضرائب فادحة. وبالرغم من هذه الضرائب والمبالغ المدفوعة، فلا يكاد التجار يصلون حدود سورية حتى يجدون عملاءهم بانتظارهم فيبتاعون منهم الإبل بأحمالها ويحصل التاجر على ضعفي رأس ماله أو ثلاثة أضعافه حسب أهمية البضاعة ورواجها⁽³⁾. ولجأ العقيلات بسبب الضرائب والمصاريف الباهضة، إلى سلك طريق الزبير الأقل تكلفة

(1) السويداء، عقيلات الجبل، ص 35-36.

(2) داوتي، ترحال في صحراء الجزيرة العربية، ج2، مجلد1، ص 457.

(3) الذكر، مطالع السعود في تاريخ نجد وآل سعود، خزنة التواريخ النجدية، ج7، ص 525.

ليتابعوا منه سيرهم إلى سورية ومدنها، غير عابئين بطول الرحلة، وكذلك ليستغلوا طول الطريق في زيادة الربح والتجارة.

التصدير:

يتولى العقيلات تصدير ما تنتجه الجزيرة العربية من الإبل والخيول والأغنام والماعز والسمن والصوف والخيام المصنوعة من شعر الماعز. وفي كل سنة كان يتم سوق أربع قوافل كبيرة من الإبل⁽¹⁾ تتجه إلى العراق والشام ومصر.

1 - للإبل أهمية كبرى في الحروب والركوب والمواصلات والنقل، كما أنها تستخدم في الحقل الزراعي، ومعروف عن الإبل النجدية وإبل شمال الجزيرة العربية الضخامة والقوة سواء ما يُستخدم منها في الحمل أو الركوب أو لاستعمال الجيوش العسكرية، وكانت سورية تستعمل تلك الإبل في العديد من الأغراض إضافة إلى كونها وسائل نقل، كاستهلاك لحومها أو الاستفادة من صوفها وجلودها. وتتميز إبل الجزيرة العربية بميزات متعددة فهي لا تحتاج إلى الماء في الشتاء لمدة أسبوع إذا استمرت على أكل الأعشاب في هذا الموسم، وفي الصيف يتم إسقاؤها مرة كل أربعة أيام، وإن لم تجد المرعى أو جاعت فإنها تستطيع التحمل لمدة شهر كامل بالطعام المخزون في جسمها، ونظرًا لقوة حاسة الشم لديها فإنها تقوم بتخزين الماء للفترة التي تقضيها في السفر وذلك بالنظر إلى المدة التي تُسقى فيها. كما تمتاز بسرعة سيرها وإمكانية ركوب شخصين عليها مع تموينهما وبشكل خاص عدم حاجتها إلى حمل غذائها وهذا ما يجعلها صالحة للاستخدام العسكري⁽²⁾.

(1) موزيل، عن التاريخ المعاصر لشبه الجزيرة العربية، ص 22.

(2) حسني، مذكرات ضابط عثماني في نجد، ص 31.

ينقل بوركهارت في رحلته التي قام بها عام 1229هـ/ 1814م: «أنتجت مراعي نجد الجيدة الوفرة نسلاً من الجمال أصيلاً، ويكثر عددها هنا أكثر من أي مقاطعة أخرى في شبه الجزيرة، ويدعو العرب هذه البلاد «أم الإبل» أو «أم الجمال»، ويأتون إليها من المناطق كلها لتزويد قطعانهم. وهي لا تزود الحجاز فقط بل سورية واليمن أيضاً بالجمال حيث إن أثمانها بتلك الأقطار ضعف أثمانها في نجد⁽¹⁾، وهناك أيضاً في هذه البلاد نسل جيد جداً من الجياد ومميز يطلق على أجودها وأكثرها أصالة «خيل نجادي»⁽²⁾.

2- تأتي الخيل في المرتبة الثانية في ما يصدر من الجزيرة العربية إلى الأقطار الأخرى، فهي كذلك تستعمل للركوب وكذلك كانت تستعمل في الحروب والقتال، فالحصان نشيط في العدو والمراوغة. ويصدر الفائض عن حاجة القبائل، إلا أن تصدير الخيل ليس بسهولة تصدير الإبل، فالخيل تحتاج إلى رعاية خاصة في طريق الرحلة، فهي لا تأكل من مراعي الصحراء ولها علفها الخاص، وعلى التاجر حمله معه، إضافة إلى عدم إمكانية تحملها عطش الرحلة. لذلك يتم تصديرها بأوقات محددة خلال العام كأيام الربيع حيث المياه متوفرة وحرارة الجو مقبولة. إضافة إلى أن البدوي ضنين بحصانه ويكنّ له حباً خاصاً، ولذلك لا يتم إلا بيع الخيل الفائضة عن الحاجة، أو الخيل التي تمت تربيتها لغرض التجارة.

كانت قوافل بيع الخيل والإبل تضم الواحدة منها عدداً من الخيول يتراوح ما بين مائة إلى مائتي رأس وعدداً من رعايا الإبل تتراوح ما بين

(1) بوركهارت، ملاحظات عن البدو الوهابيين، ص 345.

(2) بوركهارت، جون لويس، رحلات إلى شبه الجزيرة العربية، ترجمة هتاف عبد الله، بيروت، دار الانتشار العربي، ط1، ص 389.

مائتين إلى ثلاثمائة رعية⁽¹⁾، وهكذا، فإن القافلة الواحدة تحمل إلى أسواق الشام والعراق ومصر ما تصدره الصحراء العربية من ثروة حيوانية ما بين ستة عشر ألف إلى سبعة وعشرين ألف رأس من الإبل، وهو رقم كبير، عدا الخيل⁽²⁾. هذه الصادرات الهائلة من التاج الرعوي تبين مدى أهمية الإنتاج البدوي بالنسبة لاقتصاد الجزيرة العربية حيث إنه النشاط الوحيد القادر على توفير الفائض للتصدير⁽³⁾.

3- أما السلعة الثالثة التي يتم تصديرها فهي الأغنام النجدية من الضأن الذي يتميز بكبر حجمه وغزارة وطول الصوف ولذة اللحم، وتصدّر من هذا الحيوان أعداداً هائلة كل عام إلى سورية والعراق وفلسطين. يتبع ذلك ما يُصدّر من مشتقات الألبان وعلى رأسها الأقط والسمن الذي يجمعهونه في فصل الربيع عندما تزدان الأرض بالخضرة والنباتات المختلفة بعد موسم الأمطار حيث ترعى المواشي في المراعي الخضراء ويكثر إنتاجها. ويخزنونه في قَرَبٍ من الجلد يسمونها (النَحْوُ والعُكَّة)⁽⁴⁾ إلى موسم الخريف حينما يحتاج إليه الناس قبل الحصول على السمن الجديد، ثم ينقلونه في قوافل أطلق عليها اسم قافلة السمن، وتتجه إلى الشام والعراق.

(1) أنظر ص 135 هامش رقم 2.

(2) المسلم، العقيلات، ص 87.

(3) الصويان، الصحراء العربية ثقافتها وشعرها عبر العصور، ص 369.

(4) النَحْوُ: بكسر النون وضم الحاء - الوعاء الكبير من أوعية السمن يكون من الجلد، وهو أكبر من العُكَّة، فالعُكَّة هي الوعاء الصغير للسمن، وتكون من الجلد، من جلد ضب أو سخلة أو حَمَل، أما النحو فإنه يكون من جلد عتْز أو شاة جمعه نُحَاوة. (العبودي، كلمات قضت، ج2، ص 1300 - ابن منظور، لسان العرب، ج10، ص 468 - 569) والنحو: وعاء السمن المصنوع من جلد الماعز المدبوغ والمشبع من الداخل بالدهن حتى لا ينضج السمن الذي بداخله (السويداء، عبد الرحمن بن زيد، نجد في الأمس القريب: صور وملامح من أطر الحياة السائدة قبل ثلاثين عاماً، دار العلوم، الرياض، ط1، 1403هـ/ 1983م، ص 93 - ابن منظور، لسان العرب، ج10، ص 468 - 569.

ينقل داوتي وصفًا دقيقًا لقافلة تجارية تخصصت بنقل السمن الذي جمعه تجار عنيزة، من خلال إبتجارهم مع البدو، حيث كانت تلك القافلة مكونة من مائة وسبعين جملاً تحمل ما يقرب من ثلاثين طنًا من السمن وحوالي سبعين رجلًا كان أربعون منهم يركبون نوقًا، أما الباقون فكانوا حداة للإبل. وقد تم تقسيم القافلة إلى جماعات صغيرة، وكل جماعة لها رئيس يصحبه أصدقاؤه وخدمه المستأجرون للقيام بتلك الرحلة، وتحمل معها خيمة للإتقاء من أشعة الشمس، ولحماية السمن من حرارتها؛ ذلك السمن المنصهر والموضوع في قِرب مصنوعة من جلد الماعز أو الضأن - والتي يسميها الناس الجِرم⁽¹⁾، وجمعه جُروم - وهي التي تُستخدم في نقل السمن بعد دهن داخلها بدبس التمر. وكل قِربة من القِرب تحتوي على ما يزن خمسين كيلو غرامًا، يجري تعليقها عن طريق عقدة - محكمة الربط عند الطرفين - في هيكل سرج الجمل. وفي بعض الأحيان قد ينفجر جِرم من تلك الجُروم أثناء سير القافلة، وينساب ذلك السمن القيم كما لو كان ماءً على أرض هذه الصحراء الجرداء، أو قد تحتك الإبل الحاملة لذلك السمن بأشجار السنط، الأمر الذي يؤدي إلى وخز تلك القِراب بفعل أشواك أشجار السنط. وكان برفقة تلك القافلة (مُرْتَق)⁽²⁾ مهمته القيام في محطة المساء بإصلاح الأضرار التي يمكن أن تكون قد لحقت بقِرب السمن⁽³⁾.

أما في سورية فقد اشتهرت دير الزور بإنتاج السمن ورخص أثمانه

(1) الجِرم: هو الكيس، وكان يسمى عكة، مصنوع من جلد الصخل أو الغنم بعد دبغه وربه بالتمر (انظر ص 23).

(2) المرتق: الخراز، وهو صانع المنتجات الجلدية كالأحذية والنعال. (الرشيد، خالد عبد القادر، موسوعة اللهجة الكويتية، ط 1، 2009م، د.ن. ص 135).

(3) داوتي، ترحال في صحراء الجزيرة العربية، ج 2، مجلد 2، ص 188.

عن بقية المدن السورية، ونرى أن العقيلات هم الذين يعملون في هذه المهنة. «وعن سعر رطل السمن البلدي من دير الزور قرأنا في إحدى الوثائق ما يلي: أرسل عبد العزيز العمر من أهالي دير الزور إلى دمشق بواسطة الجمال (العقيلي) إبراهيم الهميلي ست تنكات⁽¹⁾ سمن ديري البالغ وزنها أربعين رطلاً⁽²⁾ ونصف الرطل، سعر كل رطل تسعة وعشرون قرشاً. وهذا يعادل اثني عشر قرشاً للكيلو غرام الواحد. أما سعر رطل السمن في قرية أبطع (لواء حوران) فقد كان ثلاثين قرشاً⁽³⁾».

الاستيراد:

قام العقيلات بدور كبير في استيراد السلع على اختلاف أنواعها، والتي يحتاجها المجتمع والأسواق المحلية. وعرفت المنطقة البضاعة السورية ضمن حركة الاستيراد، فقد كانوا يستوردون من دمشق البضاعة الشامية والتي كانت تشمل الملابس، كالأقمشة الخام والعبى والملابس الرجالية وملابس النساء الحريرية والفراء والثياب والعقل والغتر والأحذية والمواد الغذائية من أرز وبهارات وقهوة، كما كانوا يستوردون ملح البارود والسجاد والأواني⁽⁴⁾ إضافة إلى السلع الشامية التي كانت تختص بها سورية مثل الحنطة والعدس وأدوات صنع القهوة، وكذلك المرايا

(1) تنكة: لفظة تركية؛ تعني وعاء من الصفيح أو القصدير محدد السعة والمقدار بما يزيد قليلاً على 18 لترًا. (العبودي، محمد ابن ناصر، معجم الكلمات الدخيلة في لغتنا الدارجة، الرياض، مكتبة الملك عبد العزيز، 1426 هـ ج 1، ص 169).

(2) الرطل يعادل في دمشق 2700 غرام (سركو، ماري دكرانو، دمشق فترة السلطان عبد الحميد الثاني، وزارة الثقافة، دمشق، 2008م، ص 303).

(3) سركو، دمشق فترة السلطان عبد الحميد الثاني، ص 303.

(4) بني يونس، مأمون أصلان، قافلة الحج الشامي في شرقي الأردن في العهد العثماني 1516 - 1918، الأردن، حمادة للنشر والتوزيع، ط 1، 2011م، ص 140.

والأواني الزجاجية والنحاسية والخزفية والنشادر والرصاص والقصدير والكبريت بألوانه الأبيض والأسود والأصفر⁽¹⁾. وبذلك كانت حركة البيع والشراء تنعش السوق المحلية وتوفر حاجات المجتمع المعيشية أو الكمالية مما لا يتوفر في الجزيرة العربية من السلع التي يقوم تجار العقيلات بجلبها إلى الأسواق وتسويقها. «وبشكل عام تسود نجد روح تجارية بشكل واسع حيث يذيع صيت التجار الأثرياء لصدقهم ونزاهتهم أكثر من معظم التجار الشرقيين»⁽²⁾.

4- نقل الحجاج:

تعرض حجاج بيت الله الحرام القادمون من أصقاع الأرض خلال العهود السابقة للكثير من المشاكل على طريق الحج، كما نُكبوا بنكبات مؤلمة على أيدي قطاع الطرق من الأعراب، ولطالما توقف الحج من العراق أو بلاد ما وراء النهر مخافة الطريق وما يجري عليها من سلب ونهب⁽³⁾.

وقد ساهم العقيلات مساهمة فعالة في دفع تلك الكوارث التي تحل بالحجاج على أيدي البشر مقابل نفقات محددة لضمان سلامة الأرواح من القتل أو الضياع في مهالك الصحراء والطرق التي يسلكها الحجاج، وذلك لما اشتهر عن هؤلاء العقيلات من معرفة جيدة بالطرق وموارد المياه المنتشرة في الصحراء، إضافة إلى معرفتهم بالقبائل المنتشرة على الطرق، وضمان سلامة القوافل المارة بهم سواء بالمعرفة الشخصية بأمراء القبائل، أو بدفع مبالغ مالية تعتبر كرسوم مرور لهؤلاء الأمراء.

(1) السويداء، عقيلات الجبل، ص 64.

(2) بوركهارت، رحلات إلى شبه الجزيرة العربية، ص 389.

(3) السويداء، عقيلات الجبل، ص 44 - 46.

نظم العقيلات قوافلهم التي تتولى نقل الحجاج على ثلاثة مستويات:

1- قافلة كبيرة يملكها شخص واحد، مجهزة على مستوى جيد من الاستعداد والتأهيل، تتولاها السلطات الحاكمة في الأقاليم، ويكون حجم مثل هذه القافلة كبيراً جداً إذ تضم عشرات الآلاف من الحجاج.

2- قافلة متوسطة؛ ويقوم بتجهيزها شخص واحد أو عدة أشخاص، ويتولى قيادتها واحد منهم أو أكثر، وتكون مثل هذه القافلة أكثر مرونة من سابقتها وذلك لعناية أصحابها بإبلهم ومعداتهم، واستبدال ما هزل منها أو تلف من معدات الحمل وغير ذلك مما يستلزم سرعة التغيير من أجل راحة الحجاج.

3- قافلة صغيرة نسبياً يملكها العديد من الأشخاص، كل واحد يساهم في مجموعة من الإبل بمعداتنا، وهم من صغار الملاك، وتكون قيادتها لواحد يختارونه منهم، ومثل هذه القافلة تمتاز بالمرونة والعناية كسابقتها لأن الأفراد الذين يملكونها مازالوا في طور النمو، ويحرصون على العناية بإبلهم وصيانة معدات النقل في سبيل راحة الحجاج⁽¹⁾. وقد اعتنى العقيلات بتنظيم القافلة نتيجة خبرتهم الطويلة بالقوافل والطرق، فكل قافلة يختارون علماً أو أعلاماً بألوان محددة تميزاً للقافلة عن غيرها ليهتدي بها الحاج ويتبع العلم المخصص لقافلته فارقاً لرفقته من بين آلاف الحجاج، كما تتكون القافلة من عدد من المجموعات تُسمى (خُبر) وكل (خُبرة) تتكون من ستة إلى اثني عشر شخصاً⁽²⁾.

(1) السابق، ص 47.

(2) نظام الخبر نظام متعارف موروث في نجد، وهو نظام يعود إلى تقسيم الجند إلى فرق صغيرة يسمونها (خُبرة) بضم الخاء وسكون الباء ويجمعونها على (خُبر) بضم ففتح، ويصل عدد الخُبرة إلى اثني عشر شخصاً، ويكون لهذه الخبرة رئيس يسمونه أمير الخبرة وشرع =

كان لهذا النقل عائد مادي كبير وتأثير سياسي. وقد تمكن مهتّا الصالح أبا الخيل من أهل القصيم، من اكتساب ثقة الولاة في بغداد والبصرة والشام، وتمكن أن يترأس قوافل الحجاج منافساً لآل رشيد في حائل، وكانت قوافله عام 1265هـ/ 1849م تضمّ عددًا من الإبل يصل إلى خمسين ألف جمل، وحرسًا يصل عددهم إلى عشرين ألف رجل أغلبهم من العقيلات⁽¹⁾ ينقسمون إلى أربع مجموعات، المجموعة الأولى من الحرس تسير في مقدمة القافلة، ومن خلفها أمير الحج الذي تُعيّنه الدولة، ثم حرسه الخاص، والمجموعتان الثانية والثالثة على يمين القافلة ويسرتهما، والرابعة تسير في المؤخرة، وعند استراحة القافلة في وقت المَضْحَى (تناول طعام الغداء) والمَعْشَى (تناول طعام العشاء) تقوم مجموعتان من الأربع مجموعات بحراسة الإبل وهي ترعى، وتستريح المجموعتان الأخريان لتقوموا في الحراسة لاحقًا عند وقت المعشى⁽²⁾.

قافلة الحج الشامي:

كانت دمشق مركزًا لتجمع الحجاج القادمين إليها من جميع أطراف بلاد الشام والأناضول وبلاد فارس وغيرها من البلدان. وباعتبار أن الطريق إلى الأماكن المقدسة برًّا فيه مشقة كبيرة، كان على السلاطين العثمانيين الاهتمام بتنظيم أمور الحج. فكانت مهمة والي دمشق قيادة هذه القافلة والحفاظ على أمنها وسلامتها حتى الحرمين الشريفين ذهابًا وإيابًا.

= (خيمة صغيرة) ويكون لهم قسطهم أيضًا المقرر من الطعام والقهوة وما يتبع ذلك، وهم يطبخون لأنفسهم ويقومون بشؤون أنفسهم، ومرجع أمر كل جماعة أميرها. (باسين، يوميات الدببة، ص 143).

(1) داوتي، ترحال في صحراء الجزيرة العربية، ج 1، مجلد 1، ص 102.

(2) السويداء، عقيلات الجبل، ص 47-48.

وقد استفادت أسر نجدية كانت مقيمة بدمشق من موسم الحج، حيث كانت مهمتها دلالة هذه القوافل على الطريق والحفاظ على أمنها، كأسرة الرواف⁽¹⁾.

اعتُبرت قافلة الحج الشامي بمثابة سوق تجاري دائم. فاستفادت منها كذلك أسر نجدية أخرى، كأسرة البسام، فكانت الفائدة من الحركة التجارية في الإبل والخيل، حيث كان أكثر الحجاج الواصلين إلى دمشق من البلاد الأخرى ليرافقوا القافلة، يمتطون الجياد فيبيعونها في دمشق، ويشتررون عوضاً عنها إبلًا من أجل السير في الصحراء لتحمل مشاقها. ولهذا تكون الجياد حينها رخيصة بسبب الإقبال على شراء الجمال التي يرتفع سعرها. ويقصد دمشق في هذا الوقت من يريد شراء الجياد لرخصتها وتنوعها⁽²⁾. وإزاء ذلك النشاط التجاري المتعدد، توسعت بعض أحياء دمشق، كحي الميدان المؤدي إلى حوران ومنها إلى الحجاز. وسمّيت البوابة الجنوبية من حي الميدان بـ (بوابة الله، أي باب الله) وهو المكان الذي يغادر فيه الحجاج دمشق متوجهين شطر البيت الحرام، وعلى مقربة من حي الميدان سوق تخدم الحجاج وتقدم لهم ما يلزمهم من إبل يشترونها ويعدونها للسفر⁽³⁾، ولعلها سوق الزفتية التي كانت ملتقى العقيلات⁽⁴⁾.

استفاد البدو على طول طريق الحج من موسم الحج حيث كان أمير

(1) العبودي، معجم أسر بريدة، ج8، ص 210 - الطنطاوي، ذكريات، ج1، ص 206، ج3، ص 55.

(2) السوسي، قافلة الحج الشامي، ص 64.

(3) السابق، ص 66.

(4) الرواف، صفحات مطوية من تاريخنا العربي الحديث، ص 28.

القافلة يتفق معهم على أمن وسلامة القافلة فيدفع لهم مبلغًا معينًا، ومنهم من يتفق مع أمير القافلة على تقديم الإبل من أجل الذهاب والإياب، وكل ذلك يعود على هؤلاء البدو بالربح الوفير⁽¹⁾.

وعند إنشاء سكة حديد الحجاز سنة 1326هـ/ 1908م بين دمشق والمدينة انتهى طريق القوافل، وانتهى التنقل على الإبل إلى الأماكن المقدسة لأداء فريضة الحج لحلول القطار مكانها⁽²⁾، ما أدى لتأثر مصالح القبائل البدوية على طول خط السكة الحديدية وصولًا إلى المدينة المنورة، فعارضته وقاومته، وشنت غارات عنيفة ضده، لأن مد الخط ألحق خسائر مادية كبيرة بالبدو حيث كانوا يؤجرون في كل سنة آلاف الجمال لنقل الحجاج مقابل مبالغ كبيرة من الأموال⁽³⁾، ولا يبعد أن يكون بعض العقيلات من هؤلاء المهاجمين نظرًا لتأثر مصالحهم في الإفادة من الحراسة والدلالة وتأجير الإبل.

استمرت سكة حديد الحجاز بالعمل ما يقرب من تسع سنوات نقلت خلالها التجار والحجاج والعساكر والإمدادات إلى منطقة الحجاز. وعند نشوب الحرب العالمية الأولى في رمضان 1332هـ/ أغسطس 1914م، واشتعال ما يسمى بالثورة العربية سنة 1334هـ/ 1916م التي قادها الشريف حسين بن علي، تبين مدى استفادة الجيش العثماني من سكة الحديد سواء في النقل العسكري والإمدادات العسكرية العثمانية، أو في جهود الشريف

(1) السوسي، قافلة الحج الشامي، ص 65.

(2) السابق، ص 141.

(3) الشريعة، إبراهيم فاعور، موقف القبائل البدوية من قافلة الحج الشامي والخط الحديدي الحجازي، مجلة دارة الملك عبد العزيز، 4، السنة 31، 1426هـ ص 43-45. السعدون، خالد حمود، مقاومة القبائل لسكة حديد الحجاز الحميدية، مجلة دارة الملك عبد العزيز، السنة 14، 1409هـ ص 49.

حسين - الذي حاول ضم المدينة المنورة - التي باءت بالفشل نظرًا لاتصال المدينة بخط السكة الحديدية ووصول الإمدادات إليها. فاستطاعت حامية المدينة العثمانية أن تستمر في المقاومة إلى ما بعد انتهاء الحرب العالمية بشهرين، لذلك لجأ الشريف حسين إلى تنفيذ مشورة ضابط الاستخبارات البريطاني لورنس⁽¹⁾ بتدمير الخط ونسف جسوره وانتزاع قضبانه في عدة أجزاء منه. وبذلك انتهت قصة سكة حديد الحجاز بكل فصولها، ولم يبق منها سوى أطلال السكة والمباني والقلاع العثمانية التي كانت شاهدة يومًا ما على مرور قطار الحجاز فيها⁽²⁾.

عادت بعد ذلك قوافل الإبل تنقل الحجاج إلى البقاع المقدسة كما كانت في السابق.

5- أعمال مختلفة :

أ - مهام البريد :

ساهم العقيلات مساهمة فعالة في أعمال نقل البريد وبالذات ما يُسمى (البريد الصحراوي)⁽³⁾. الذي ينتقل عبر الصحراء العربية، وذلك

(1) توماس إدوارد لورنس: ولد في 15 آب/أغسطس عام 1306هـ - 1888م في مقاطعة تريمادوك في ويلز، إحدى مقاطعات بريطانيا. ينتمي إلى أسرة نبيلة، اهتم بالآثار ودراساتها، وكان ذكيًا محبًا للمطالعة بشكل كبير، خاصة في مجالي التاريخ والآثار. اهتم بمنطقة الشرق الأوسط وكانت زيارته الأولى إلى الشرق عام 1327هـ/ 1909م. وبعدها قام بعدة زيارات، عمل لمصلحة الاستخبارات البريطانية، وهو من أشار على الشريف حسين بن علي بتدمير الخط الحديدي الحجازي. توفي سنة 1354هـ/ 1935م إثر حادث عندما كان يقود دراجته. (الزركلي، الأعلام، ج 2، ص 94).

(2) السوسي، قافلة الحج الشامي، ص 162.

(3) البريد الصحراوي: قامت الحكومة البريطانية عام 1867م، وحماية لمصالحها، بتأسيس البريد البري بين بغداد ودمشق وبيروت عبر الصحراء، واتفقت مع شيوخ القبائل البدوية الممتدة من جنوب الفرات والرافدين حتى عبور سورية، فدفع لهم رسومًا سنوية مقابل =

لطبيعة عملهم، فهم دائمو التنقل في الصحراء ولهم الخبرة في مجاھلها ودروبها، ويمرون سواء في التشريق - طريق الذهاب - أو التغريب - طريق العودة - بالعديد من القرى والمدن، فطبيعي أن يكونوا مراسلين وحملة بريد، سواء كان هذا البريد على شكل رسائل مكتوبة، أو مواد محمولة، أو شفهيًا بكلام وتوصيات، فكان لهم دورهم المهم في نقل البريد المحلي والأجنبي بين نجد والعراق والشام.

وفي عام 1247هـ/ 1833م ألغى البريطانيون البريد الصحراوي الذي ينتقل من نجد فالبصرة فحلب، واستبدلوه بما يُسمى بـ (بريد الإبل) الذي كان طريقه من بيروت إلى المحمرة على الخليج العربي عن طريق دمشق - فهيت - فبغداد، ولم يكن السَّعاة عبر هذه الطريق التي ازداد نشاطها إلَّا عربًا من العقيلات سكن أكثرهم البصرة والزيبر ودير الزور وحلب ودمشق، واستمروا كذلك حتى عام 1278هـ/ 1862م⁽¹⁾. وقد بقي للعقيلات دور مهم في نقل البريد بين المدن العراقية المختلفة والتي استقر فيها بعض النجديين كالبصرة وبغداد والزيبر، كما كان لهم دور غير مباشر في نقل البريد بين العراق ونجد وبالعكس، أو بين نجد والشام وفلسطين ومصر، أو حتى بين المدن النجدية نفسها.

كانت رحلة البريد من بغداد إلى دمشق تستغرق ثمانية أيام، وهو وقت

= السماح لسعاة البريد بعبور مناطقهم من دون أن يتعرضوا للمضايقة، شريطة ألا يحملوا شيئًا سوى الرسائل، وفي حال تعرض رجال البريد إلى أي حادث تقوم القبائل بتزويدهم بالجمال النشطة لمتابعة رحلتهم الرسمية. وقد تم اختيار سعاة البريد من البدو المتمرسين في الصحراء والذين يتمتعون بالشجاعة والبأس وقوة التحمل (أ. لوكر، مع الهلال والنجم رحلة من بومباي إلى اسطنبول عبر الخليج العربي عام 1868م، ترجمة رنا الصالح، أبو ظبي، دار الكتب الوطنية، ط1، 1432هـ/ 2011م، ص 292).

(1) السوياء، عقيلات الجبل، ص 94.

جيد بمقاييس ذلك الزمن، وكانوا يستخدمون الجياد القوية التي اعتادت السير في بلاد ما بين النهرين حيث تسير الرحلة بمحاذاة نهر الفرات، حتى إذا احتاج الساعي ومن معه للتزود بالماء نزلوا النهر ثم توجهوا نحو الصحراء مرة أخرى، وكانت الرحلة في الغالب تتم ليلاً، أما نهاراً فكانوا يتوقفون للراحة في بعض القرى التي سكنها بعض أقرانهم من العقيلات.

يأتي البريد لدى العقيلات على فئتين: (فئة رسمية) وهو ما يستوفون عليه أجرًا ومهمتهم الأساسية توصيل هذا البريد في الوقت المحدد وتوزيعه توزيعاً رسمياً حيث يُسَلَّم للمُرسل إليه بنفسه، و(فئة عادية) وهو بالمجان، وتكون مهمته ثانوية حيث إن العقيلات يذهبون لغير هذا الهدف، ويحملون معهم الرسائل الخاصة بين التجار والمواطنين بحيث توضع تلك الرسائل الواردة لهذه المدينة أو تلك عند أحد وكلاء العقيلات المعتمدين، ويضعها هذا العقيلي المعتمد في سلة بمكان بارز من محله، وكل من له أو لمعارفه رسالة يأخذها. أما إذا كانت الرسالة مهمة أو فيها حوالة فإن العقيلي يوصلها إلى صاحبها، وقد يأخذ عليها أجرًا، إنما غالباً ما تكون من باب المودة والمعروف⁽¹⁾.

كانت الرسائل في الغالب عبارة عن ورقة ملفوفة مكتوب اسم صاحبها على آخر طياتها، ويسهل فضها وقراءتها ثم طيها من جديد، إلا أن مروءة الناس وشهامتهم تمنعهم من الاطلاع على رسائل لا تخصهم، أما الرسائل الرسمية ففي الغالب تكون في مغلفات مختومة ولها حرز يحول دون كشف مضمونها.

لم يقتصر دور العقيلات على نقل الرسائل المكتوبة وإنما شمل ذلك

الرسائل الشفهية، وهي إما أن تكون على هيئة وصايا خاصة تنقل من شخص إلى آخر، وإما أن يكون فيها نوع من السرية ويُخشى عليها إن كُتبت أن تُقرأ وتُكشف أو تتسرب سريتها إلى غير جهتها المقصودة. كما أن الرسائل المكتوبة لم تكن تُغلف فيُخشى أن تقع في يد متطفل فيطلع على سر أصحابها. وغالبًا ما تكون الرسالة الشفهية مختصرة ومركزة أو رمزًا يفهمه المتراسلون. وقد تكون بعض الرسائل الشفهية سرية للغاية سواء في ما يتعلق بالأمن أو الأمور التجارية والأرباح أو البضائع التي يتم استيرادها، خاصة إذا كانت تلك البضائع أو السلع التي أحضرها هذا التاجر وأراد الاستزادة من هذه السلعة من دون أن يفصح عن كنهها، فإنه يوصي هذا العقيلي إلى مندوبه أو مَنْ يمثله بكلمات أو رموز هي بمثابة «الشيفرة» يفهمها ويتمشى بموجبها. ومن تلك الكلمات:

الذهب؛ يعني هدم (ثياب)، الورق والدينار؛ يعني فقح (الكماة)، الشاهي (الشاي)؛ يعني الكاز، السمن؛ يعني بعير (جمل)، البعير؛ يعني دبس، البيع بسعر الحاضر؛ يعني لا بأس، المنع عن البيع؛ يعني صحتنا تسركم، عند التوجه؛ يعني جميعنا بخير. وغير ذلك من الكلمات المتعارف عليها بينهم⁽¹⁾. وليس لمثل هذه الرسائل أجر في الأغلب، إنما هي من باب خدمة مجتمعهم، إلا بعض الحالات المهمة التي يدفع صاحبها أجرًا بطوعه لرغبته بإيصال الرسالة إلى الشخص حال الوصول. وإذا ما وصل العقيلات إلى هذا البلد أو ذاك؛ تجمع الناس حولهم وأغلبهم من أبناء الوطن يتسقطون أخبار أهليهم وديارهم، وإذا كان لأحدهم وصية أو رسالة شفهية أو لأحد معارفه، فيطلب منه الحضور إلى ذلك العقيلي ليعلم فحوى رسالته، ولعل مثل هذه الرسائل - الشفهية - وبالذات

(1) العريفي، مقامات حاثلية، ج2، ص 236-237.

الخاصة منها، لا ييوح بها أصحابها لنقلها إلا للرجال من العقيلات الذين يوثق بهم⁽¹⁾.

ب - التعاملات النقدية :

لم تكن لمناطق الجزيرة العربية عملة نقدية موحدة قبل تأسيس المملكة العربية السعودية. أما النقود التي كانت موجودة فأكثرها عملات أجنبية ذهبية وفضية وبرونزية والتي كان الناس يتعاملون بها، ولا يهتمهم إن كانت تلك النقود تنتمي إلى دولة قائمة آنذاك أو دولة كانت تحكم وانتهت.

ومن الجدير بالذكر أن عمليات البيع والشراء في الكثير من المناطق الرعوية ومناطق البادية كانت تعتمد على نظام المقايضة؛ أي تبادل البضائع والسلع (سلعة بسلعة)، وكان البدو بشكل عام يزودون الحواضر بالصوف والسمن ويتسلمون مقابل ذلك تمرًا وأقمشة وبعض الحاجيات الضرورية لحياة المخيمات التي لا يستطيعون صناعتها بأنفسهم. أما النقود ففي الغالب لم تكن معروفة، ويروي شارل هوبير (Charles Huber) عندما زار الجوف عام 1878م فيقول: «بسبب ندرة العملات تجري عمليات البيع والشراء بالمقايضة؛ لدى وصولي إلى الجوف توقفت عند المنازل الأولى لمعاينة الوقت في ساعتى وتسجيله بالقلم، كانت الساعة الثانية صباحًا، وبالرغم من أن الوقت كان مبكرًا جدًا فقد خرجت امرأة شابة من منزل مجاور وقدمت طاسة من الماء إلى الرجال الذين كانوا برفقتي، فقالوا لها تهذيبيًا بأن تقدم لي الماء أولاً، ففعلت، وبعدما شربتُ وأعطيت الطاسة لرفاقي، أعطيتها قطعة نقود بقيمة ربع مجيدية، عرفانًا لها بالجميل،

(1) السويداء، عقيلات الجبل، ص 97-99.

فأخذتها وسألت عما تكون، وعندما علمت بالأمر أبدت دهشة كبيرة. فسألها عبد الله عندئذ ما إذا كانت قد رأت نقوداً من قبل فأجابت: «أبداً»⁽¹⁾.
ومن أهم العملات التي كانت متداولة سابقاً:

- الريال الفرنسي: (التالر النمساوي) أو (دولار ماريا تيريزا) وهو من أشهر العملات التي كانت متداولة في جزيرة العرب⁽²⁾. وكان معروفاً باسم (شوشي)⁽³⁾. واستعمل هذا الريال في الجزيرة العربية منذ سنة 1166هـ/1752م وبقي حتى حلت محله العملة السعودية⁽⁴⁾.

- العملات العثمانية: وأهمها الليرة العثمانية الذهبية (النيرة العصملي)⁽⁵⁾ والريال المجيدي⁽⁶⁾ وأجزاؤه (نصف الريال وربع الريال

(1) هوبير، رحلة في الجزيرة العربية الوسطى 1878-1882، ص 32.

(2) الريال الفرنسي أو فرانسة: هو في واقع الأمر ليس فرنسياً إنما هو نمساوي الأصل منسوب إلى الإمبراطورة ماريا تيريزا، وهو كبير الحجم، سك لأول مرة من الفضة سنة 1155هـ/1741م، ثم تم سكه على نطاق واسع سنة 1195هـ/1780م، يحمل على وجهه صورة جانبية للإمبراطورة، وعلى الظهر شعار الإمبراطورية، ويبلغ وزنه الصافي أوقية، ولدقة وزنه أصبح وحدة وزن في الأسواق الشعبية لبعض السلع التي تباع بالأوقية كالأصباغ والأطياب وغيرها. (موقع مؤسسة النقد العربي السعودي، النقود المتداولة قبل سك النقد العربي السعودي، ويكيبيديا).

(3) الشوشي: وهو المنسوب إلى الشوشة، وهو الشعر المنفوش، نسبة للصورة المرسومة على الريال (العبودي، معجم الكلمات الدخيلة في لغتنا الدارجة، ج2، ص 43-45).

(4) السويداء، عقيلات الجبل، ص 72.

(5) الليرة العثمانية الذهبية: وهي المعروفة بالليرة التركية أو النيرة العصملي، مسكوكة من الذهب، وزنها (7,22) غرام وإلى جانبها كانت الليرة الرشادية الذهبية ووزنها (7) غرام. (موقع مؤسسة النقد العربي السعودي، النقود المتداولة قبل سك النقد العربي السعودي، ويكيبيديا).

(6) الريال المجيدي: سمي بذلك نسبة إلى السلطان العثماني عبد المجيد خان الثاني الذي حكم ما بين 1255-1278هـ/1839-1861 وكان يحمل في الوجه توقيع السلطان بخط الطغراء، =

والقروش والبارات النحاسية)، وكانت متداولة على نطاق واسع في جزيرة العرب حتى بعد انسحاب العثمانيين منها.

وعندما أصدر الملك عبد العزيز آل سعود نظام النقد العربي عام 1346هـ/1926م، تمّ سك الريال العربي السعودي ونصف الريال وربيع الريال من الفضة الخالصة بأوزان الريال العثماني المجيدي نفسه ليسهل على الناس إحلاله محل العملة العثمانية⁽¹⁾.

- الجنيه الإنكليزي: كان للناس ثقة كبيرة بهذه القطعة المسكوكة من الذهب لثبات وزنها ودقة عيارها، وقد عُرف بين سكان البلاد بأسماء محلية منها جنيه جورج أو جنيه أبو خيال لوجود صورة رجل يمتطي صهوة جواد على ظهر القطعة.

وتّم في عام 1370هـ/1950م سك الجنيه السعودي الذهبي الذي أصبح عملة قانونية، وهو يساوي الجنيه الذهبي الإنكليزي وزناً ونقاوة. ولذلك حلّ محله في التداول.

- العملات الهندية: تمثلت في نوعين هما: الآتة بفتاتها، والروبية بفتاتها، وكانت لها شهرة واسعة وانتشار كبير في أسواق معظم أقاليم الجزيرة العربية.

= وسنة جلوسه على العرش، ويشمل الظهر على معلومات تاريخ السك ومكانه، وهو من الفضة ووزنه (24,05) غراماً. (موقع مؤسسة النقد العربي السعودي، النقود المتداولة قبل سك النقد العربي السعودي، ويكيبيديا).

(1) حمزة، فؤاد، البلاد العربية السعودية، الرياض، مكتبة النصر الحديثة، ط2، 1388هـ/1968م، ص 175، موقع مؤسسة النقد العربي السعودي، النقود المتداولة قبل سك النقد العربي السعودي.

(2) الجنيه الإنكليزي: وهو المعروف باسم جنيه جورج، نسبة إلى الملك جورج (ملك بريطانيا =

- العملات العربية: تأتي العملة المصرية على رأس العملات العربية التي كانت متداولة في بعض أقاليم البلاد السعودية، وهي أكثر شيوعاً في المدن المطلة على البحر الأحمر ولا سيما في الحجاز لقربه من مصر، ويأتي الجنيه الذهب المصري على رأس العملة المصرية المتداولة، تليه القروش المصرية التي اكتسبت أهميتها من ارتباطها الوثيق بالريال الفرنسي، والتي اعتبرت بمثابة كسور له في أوساط المتعاملين بذلك الريال المهم.⁽¹⁾

هناك نقود عربية أخرى بعضها منسوب للعراق وكان التعامل بها مقصوراً على المناطق الشمالية الشرقية، وهي في الأصل عملة عثمانية قام بسكها الباشوات العثمانيون أثناء توليهم أمور بغداد، والعملات المنسوبة إلى اليمن، وإلى عُمان، على أن أهمها على الإطلاق النقود الهاشمية المضروبة في الحجاز، وهي تتنوع بين دنائير ذهبية وريالات فضية وقروش نحاسية⁽²⁾.

أما العقيلات فقد ساهموا مساهمات فعّالة في جلب العملات الذهبية والفضية والنحاسية المضروبة في الأقطار العربية المجاورة وخارجها، لإغناء السوق المحلية بهذه العملات، وكان أغلب تعاملهم في القطع الذهبية لثبات سعرها وقوتها داخلياً وخارجياً⁽³⁾. فقد كانوا يحضرون هذه العملات من تلك الأمصار والتي استحصلوا عليها من تجارتهم ببيع

= الذي سكت في عهده) والذي تظهر صورة رأسه على وجه القطعة النقدية متجهًا نحو اليسار، وعلى الظهر تبرز صورة فارس شاهراً سيفه وممتطياً جواده، وإلى الأسفل منه تاريخ السك، وهو من الذهب عيار 22 ووزنه (8) غرام. (موقع مؤسسة النقد العربي السعودي، النقود المتداولة قبل سك النقد العربي السعودي).

(2) موقع مؤسسة النقد العربي السعودي، النقود المتداولة قبل سك النقد العربي السعودي.

(3) المسلم، العقيلات، ص 247، 243، 227.

إبلهم أو خيلهم أو ما تنتجها جزيرة العرب، ليدخلوها بتعاملاتهم التجارية، فتكون فائدة السوق الداخلية كبيرة.

كثرت العملات المختلفة في أيدي الناس أثماناً لما يبيعونه من السلع أو الإبل أو الخيل على العقيلات وغيرهم، وكانت الليرة العثمانية الذهبية (النيرة العصملي) أشهر العملات التي تداولها العقيلات في سورية⁽¹⁾ (لمعرفتهم بأن التعامل بالذهب ليس له حدود، يلي ذلك الريال المجيدي الفضي⁽²⁾ والريال الفرنسي⁽³⁾ لاستعماله بكثرة في بلاد نجد، ثم الروبية الهندية لاستخداماتها في الأحساء وسواحل الخليج العربي، ثم جاء الجنيه الإنكليزي ليدخل السوق بكل ثبات. وكان العقيلات يطلقون⁽⁴⁾ على النقود بانواعها اسم (السلم) كما في قول الشاعر:

فرقن بالبيض رجلي وخيال مثل فرق (السلم) نيرة وريبة

كما كانوا حريصين أشد الحرص على أموالهم التي ينقلونها معهم، فهم يضعونها في حزام على بطونهم يسمونه (الكمر)⁽⁶⁾ أو حزام على الكتف والخاصرة. ونظرًا لما يلحق الأموال من مخاطر الطريق ولا سيما أن النقود ذهبية وفضية ذات حجم كبير، وثقل وخطر فادح فيما لو سلبها قطاع الطرق، أو ضاعت وفقدت خلال رحلتهم في مجاهل الصحراء، فقد اتخذ العقيلات إزاء هذه الخطوة عملية التحويل، فلجؤوا إلى القيام

(1) الرواف، صفحات مطوية من تاريخنا العربي الحديث، ص 47-49.

(2) المسلم، العقيلات، ص 257.

(3) السابق، ص 244.

(4) العريفي، مقامات حائلية، ج 2، ص 213.

(5) السلم: العملة القديمة التي أبدلت بغيرها. (العبودي، كلمات قضت، ج 1، ص 503.

(6) المسلم، العقيلات، ص 239.

بعمل ما يشبه المصارف الحالية في المراكز الرئيسة داخل الجزيرة العربية وخارجها، وذلك في عملية التحويل في كل من بريدة وعنيزة وحائل والجوف والزيير والبصرة وبغداد وحلب ودمشق والمدن المصرية، بحيث يضع التاجر ما معه من أموال في أي نقطة متعارف عليها، ويأخذ عليها حوالة إلى آخر يتعامل معه رفيقه هذا حتى لو كان من السماصرة أو الوكلاء المنتشرين في كل البلاد التي يرتادها العقيلات، ثم يسافر بهذه الحوالة ويستلم أمواله الذهبية أو الفضية من المكان المتجه إليه. وبذلك أحدث العقيلات نقلة في الحركة المالية، وساهموا في إحداث مثل هذه الشبكة المصرفية في المنطقة. بالإضافة إلى أسلوبهم بنقل الأموال في رحلاتهم إذ يحفظونها في أكياس يخفونها داخل أحمال الطعام والسلع الأخرى حتى لا تكون عرضة للسرقة، كما يمكنهم من خلال ذلك تهريبها مخافة الجمارك وغيرهم. وبذلك كان للعقيلات أثر فعال في توفير السيولة النقدية وإنعاش السوق المحلية في الوطن، وإيجاد بذرة المصارف في المنطقة بوقت مبكر، وهم بذلك شكّلوا أهم دعائم الاقتصاد في زمنهم⁽¹⁾.

وممن اشتهر بالعمل في مهنة الصرافة وتحويل العملات للعقيلات، بيت الخريجي، ومنهم عبد العزيز ومحمد الخريجي⁽²⁾، فكان العقيلات يبيعون إبلهم في الشام وفلسطين ويودعون أموالهم عند الوكلاء لتحويلها إلى الخريجي في المدينة المنورة، فإذا عادوا إلى الوطن استلموا أموالهم في بلادهم. ومن الوكلاء أصحاب مكاتب الصرافة الذين كان العقيلات

(1) السرياء، عقيلات الجبل، ص 73.

(2) عبد العزيز بن عبد الله الخريجي: (1302 - 1374هـ) عمل بالتجارة والصرافة مع ابن عمه محمد بن عبد الكريم الخريجي (1304 - 1377هـ)، كان لهما مراسلون ووكلاء في عدد من الدول العربية (المسلم، رجال من القصيم، ج 5، ص 73 - 75).

يتعاملون معهم، علي أبا الخيل⁽¹⁾ أو علاوي الكباريتي⁽²⁾، وكانت مكاتبيهما في عمّان بالأردن، فيأتي إليهما عقيلات سورية عند الانتهاء من تجارتهم لتسليمهما أموالهم بغية تحويلها إلى الخريجي في المدينة المنورة⁽³⁾.

عندما استقرت الأوضاع في نجد خلال النصف الثاني من القرن الرابع عشر الهجري، استوطن الكثير من أهل القصيم في البلاد التي كانوا يعملون فيها، كالعراق ومصر وسورية، وعملوا كوكلاء للعقيلات الذين اعتمدوا عليهم في الأسواق، فيبعثون إليهم بتجارتهم من الإبل لبيعوها في أسواق تلك البلاد، ويحولون أثمانها إلى وكلائهم من الصرافين في البلد الذي يحدده التاجر العقيلي، ومن هؤلاء الوكلاء في دمشق عبد الله عبد العزيز الحليسي⁽⁴⁾، وعبد العزيز عبد الرحمن الحجيلان⁽⁵⁾، ومنصور بن سليمان الجربوع⁽⁶⁾.

(1) علي بن عبد الله بن علي أبا الخيل: ولد في مدينة بريدة سنة 1342هـ/1924م، سافر مع العقيلات في رحلاتهم واستوطن مدينة عمّان بالأردن، كان يعمل في تجارة المواشي من الإبل والخيل، وافتتح في عمان أول محل للصرافة حتى يكون حلقة اتصال بين العقيلات والتجار وتحويلاتهم، توفي سنة 1400هـ/1980م (المسلم، رجال من القصيم، ج3، ص46).

(2) علاوي الكباريتي: أحد تجار عمان المشهورين، كانت له علاقة طيبة مع العقيلات، ارتبط بعلاقة تجارية مع الخريجي، فكان يقوم باستلام أموال العقيلات الذين يبيعون مواشيهم في الأردن أو الشام، ويعطيهم تحويلات على الخريجي (العبودي، معجم أسر بريدة، ج9، ص466).

(3) المسلم، رجال من القصيم، ج5، ص74.

(4) عبد الله بن عبد العزيز الحليسي: ولد سنة 1291هـ/1874م وتوفي سنة 1358هـ/1939م في دمشق، سكن الصالحية إحدى ضواحي دمشق، عمل بتجارة الإبل (المسلم، إبراهيم، رجال من القصيم، ج1، ص129).

(5) عبد العزيز بن عبد الرحمن الحجيلان: ولد في مدينة بريدة سنة 1306هـ/1889م، سافر هو وأخواه حجيلان وإبراهيم إلى الشام في رحلة من رحلات العقيلات، اكتسب ثقة التجار الذين تعامل معهم في التجارة، وأصبحوا من الأثرياء، توفي في الاسكندرية سنة 1371هـ/1951م. (المسلم، إبراهيم، رجال من القصيم، ج5، ص27-28).

(6) كان أميراً على عقيل في بعض الأوقات، عمل في تجارة المواشي، خالف أمر الملك عبد العزيز =

الضرائب والرسوم:

خلال فترة الحكم العثماني للبلاد العربية كان العثمانيون يستوفون من التجار رسوماً جمركية مقدارها ثمان بالمائة من قيمة البضائع، وتحسب هذه الرسوم من قيمة الصادر والوارد على حد سواء. وبعد أن تم إنشاء الحدود والمراكز الحدودية الجمركية، كان هناك تفاوتٌ في قيمة هذه الرسوم⁽¹⁾، فقد كان يُستوفى الرسم الجمركي وهو المعروف بـ (الباج)⁽²⁾ في عام 1353هـ/ 1934م على السمن والجمال والأغنام التي تُصدّر إلى خارج المملكة على الشكل التالي: خمسة ريالات على كل مائة كيلو من السمن، وأربعة ريالات على كل رأس من الجمال، ونصف ريال على كل رأس من الغنم. وفي العام نفسه صدر تخفيضٌ على رسوم الإبل ليكون ثلاثة ريالات على كل رأس من الجمال⁽³⁾.

وفي عام 1360هـ/ 1941م إبان الحرب العالمية الثانية، كان مقدار الرسوم الجمركية (الباج) أربعة ريالات على حمولة الجمل الواحد المكونة من فردين (عدلين)، زنة الواحد مائة كيلوغرام، وهي تنحصر عادةً بأكياس الأرز والطحين والتمر المعروف بالصقعي. أما المواشي كالإبل والأغنام فتُستوفى رسومها على أساس النسبة المئوية أي كل

= بالتجارة مع الشام، فهرب إلى الشام، وعاد إلى بريدة طالباً العفو من الملك عبد العزيز وعفا عنه. (العبودي، معجم أسر بريدة، ج3، ص 324).

(1) السوياء، عقيلات الجبل، ص 182 - 183.

(2) باطرفي، خالد محمد، إبراهيم المحمد الحسون يتذكر، د.ن. ط1، 1435هـ/ 2014م، ص 163 - 166. - الباج: المكس والعُشر، أي ما يسمى الآن بالجمرك (العبودي، كلمات قُضت، ج1، ص 38).

(3) وثيقة، ملحق رقم (5).

ما كان قيمته مائة ريال يستوفى عليه رسم قدره ثلاثون ريالاً⁽¹⁾. وقد بلغ الرسم الجمركي على مائتي رأس من الإبل قدم بها العقيلي يحيى الشريدة من مواطني بريدة، مبلغاً يزيد على أربعة آلاف ريال⁽²⁾ وهو مبلغ ضخم قياساً إلى ذلك التاريخ، إلا أن العقيلي كان مصطحباً معه الرسوم المستحقة عليه لأنه يعرف أنها مطلوبة منه بحكم خبرته.

ثانياً: الأدوار الاجتماعية :

بنى العقيلات ماضياً مجيداً لأهل القصيم بسبب ضربهم في الأرض لطلب الرزق الحلال، ومثلوا بلادهم خير تمثيل في الكرم والشجاعة وقول الحق والأمانة والصدق والنهي عن المنكر والوقوف مع الآخرين في محنتهم، وبنوا سمعة مشرفة في جميع البلاد التي وردوها.

وكانت لهم علاقة قوية مع أمراء القبائل التي يمرون بها في طرقهم التي يسلكونها اتسمت بالتعامل بالمثل، أمثال شيوخ عنزة أو شيوخ شمر وغيرهم من شيوخ القبائل⁽³⁾. قال الشاعر حمود بن مزيد الرويلي العنزي الذي صاحب العقيلات في أسفارهم:

تعلمت من عقيل الصبر والمرجلة وحفظ الصلاة

أهل القصيم طيبين ما مثلهم بالعقيدة

كما بنى العقيلات من مكارم الأخلاق ماضياً مجيداً مشرفاً لبلادهم في الخارج والداخل مثل الأمانة والشجاعة والصبر والتعاون والإيثار

(1) باطرفي، إبراهيم المحمد الحسون يتذكر، ص 164.

(2) السابق، ص 164.

(3) المسلم، إبراهيم، العقيلات، ص 257 - 260.

والمروءة وحب الوطن والإخلاص والصدق في المعاملة، حتى أن أهل الشام وغيرهم يقولون أثناء البيع والشراء (خلك عقيلي) يقصدون بذلك كن كالعقيلي في المعاملة من صدق وأمانة. وقد اكتسب العقيلات هذه الصفات من خلال تربيتهم الأولى، فإنهم ينشئون فتيانهم على الصبر والاحتمال والتجربة العملية، فإذا بلغ الابن أربعة عشر عامًا أذنوا له بمصاحبتهم فيأخذ لقب (ملحق)، وهو الذي يقوم ببعض الخدمات الفرعية في القافلة، فيعمل على رعاية الإبل وتحميلها ومراقبتها حتى لا تند عن الركب، ثم يترقى في حمل المسؤولية والاعتماد عليه وهو يرقب في كل سنوات المران أعمال عقيل وتعاملهم مع الغير، والملحق يشعر أنه خادم لكل من هو أكبر منه سنًا، ويشعر كل أولئك أنه ابنهم، فأبي واحد منهم رقيب عليه، وكل واحد منهم له الحق في تأديبه ونصحه. وبذلك يكون قد اكتسب صفات الرجولة في سن مبكرة، فإذا بلغ العشرين كان أهلاً للقب (عقيلي). ولذا كان أهل البلاد على اختلاف مشاربهم وعملهم يبعثون أولادهم مع عقيل لتربيتهم على مكارم الأخلاق والرجولة⁽¹⁾. فيقولون حتى اليوم: (فلان ربوه عقيل)، ويقولون لمن ينتقدون سلوكه: (ما طبعوه عقيل أو ما غزا مع عقيل)⁽²⁾. كما كان المستشرقون والرحالة إذا أرادوا التنقل في الصحراء العربية أو من بلد إلى آخر يستعينون برجال العقيلات⁽³⁾.

(1) المسند، عبد العزيز، سفينة الصحراء، جدة، تهامة للنشر، ط1، 1406هـ-1985م، ص 98.

(2) السابق، ص 95.

(3) روسو، لوي جاك، رحلة إلى الجزيرة العربية سنة 1808م، ص 60-61. - دورتيا فون لينكة (الكونتيسة مالمينياتي، رحلة إلى المدينة المنورة عبر قلب البادية، ترجمة محمد سعيد مزهر، أبو ظبي، دار الكتب الوطنية، ط1، 1432هـ/2011م، ص 56-57 مساعدة محمود البسام للكونتيسة).

تنظيمات العقيلات:

وضع العقيلات تنظيمات هيكلية من منطلق المهمات التي يقومون بها، فكان لكل نشاط من أنشطتهم تنظيمه الخاص، وكانت هذه التنظيمات متوارثة أو متناقلة في ما بينهم يكتسبها الخلف عن السلف بالخبرة والمرافقة في الترحال، فالقافلة كان لها تنظيمها الخاص بحيث تتكوّن من:

- أمير القافلة: الذي ترجع إليه مهام قيادة القافلة كدلالة الطريق والاهتمام بفرق تحميل الأحمال وتنزيلها، يتحلى الأمير بالأخلاق الحميدة والخبرة الطويلة في رحلات العقيلات، ومعرفة الدروب وموارد المياه، ولديه القدرة على حل المشاكل التي تعترض القافلة في رحلتها⁽¹⁾. ويتم اختيار العقيلات لأمر القافلة وفق معايير ومقاييس معينة، فيجب أن تتوفر فيه الشجاعة والقوة، إضافة إلى سعة الأفق وطلاقة اللسان والقدرة على اختيار الفرسان الذين يدافعون عن القافلة، وله صلاحية في عقد الاتفاقات التجارية والأحلاف مع القبائل العربية الأخرى، ولديه الخبرة الكافية لتنظيم للبيع والشراء في السوق، وتوفر فيه صفة الكرم العربي، فيستضيف الغرباء الذين يجدونهم في مجاهل الصحراء وقد تقطعت بهم السبل، ومساعدة الفقراء منهم، ويكون هذا الأمير المختار مسؤولاً عما يترتب على القافلة من مصروفات، ودفعها من صندوق يساهم فيه جميع العقيلات قبل بداية الرحلة⁽²⁾.

وفي الغالب يتمتع أمير القافلة بالغنى ووفرة المال ومن الأثرياء ليتمكن بماله وكرمه من سرعة التصرف عند الحالات الطارئة⁽³⁾.

(1) المسلم، العقيلات، ص 166.

(2) السابق، ص 166.

(3) مذكرات ناصر عبد العزيز باشا المالك العنزي، ملحق رقم (2).

ومن أمراء العقيلات المشهورين الذين قاموا برحلات عديدة إلى الشام محمد أحمد الرواف⁽¹⁾ وعيسى الرميح⁽²⁾ وحمود عبد الله النجدي⁽³⁾ وإبراهيم علي الرشودي⁽⁴⁾ ومحمد السليمان الشويهي⁽⁵⁾ وإبراهيم وسليمان ويحيى الشريدة⁽⁶⁾ وغيرهم كثيرون⁽⁷⁾.

- الشراع: هو الخيمة أو الخيام ولكن باصطلاح العقيلات في رحلاتهم هو التاجر، يُقال سافر فلان ومعه كذا شراع، أي كذا تاجر⁽⁸⁾.

- فرقة الثاية: وهي التي يوكل إليها الاهتمام بالخيام والأمتعة وإعداد الطعام والقهوة. ويُطلق على المشرف على أعمال الثاية اسم، الأشكى.

- فرقة القُلُوط: وهي التي تتكون من طلائع القافلة أو عينها التي تسبقها لتطمئن إلى أمن الطريق.

- الرعاة: وهم الذين يهتمون بالإبل من رعي وسقاية، ويحدد عددهم

(1) محمد أحمد الرواف 1264 - 1336هـ / 1848 - 1918م، كان أميرًا للعقيلات في عدد من الرحلات (المسلم، رجال من القصيم، ج1، ص 79).

(2) كان عيسى الرميح إذا غُرب للشام فقاقلته تتكون من عدد كبير من رعايا الإبل، اشتهر بالكرم، وتحمل إطعام القافلة بذهابها وإيابها (المسلم، رجال من القصيم، ج3، ص 101).

(3) حمود عبد الله النجدي، ت 1398هـ / 1978م، عاش عمرًا مديدًا، من كبار عقيل، تاجر كثيرًا مع الشام (العبودي، محمد بن ناصر، معجم أسر بريدة، ج22، ص 23 - 28).

(4) إبراهيم علي الرشودي 1285 - 1364هـ / 1868 - 1945م، كان معروفًا بالشجاعة والكرم (العبودي، معجم أسر بريدة، ج7، ص 463).

(5) محمد السليمان الشويهي، من أهل الشقة، أطلق عليه لقب أمير العقيلات لرحلاته المتعددة إلى الشام (العبودي، معجم أسر بريدة، ج11، ص 391 - 392).

(6) إبراهيم وسليمان ويحيى الشريدة: اشتهروا بالشجاعة والكرم (العبودي، معجم أسر بريدة، ج11، ص 180 - 183).

(7) المسلم، العقيلات، ص 166.

(8) السابق، ص 122 - رحلتي مع العقيلات، ص 26.

بعدد الرعايا، فالرعية غالبًا ما تكون واحدًا وثمانين أو واحدًا وتسعين رأسًا من الإبل، والعدد الفردي يطلق عليه اسم، القعدة وهي الراحلة التي يركبها الراعي، وغالبًا ما يكون لونها مختلفًا، حيث يُطلق اسم الرعية على لون قعدتها، فيقال ملحا، أو غير ذلك.

- فرقة الملاحيق: وهي التي تسير في مؤخرة القافلة مع الرعاة لحث المتأخرين من أفراد القافلة.

- الصنّاع والنجارون والخرازون: وهم الذين يقومون بإصلاح ما يحتاج إصلاحه من الأشدة والقرب وأدوات التحميل وغير ذلك من الأشياء المستعملة في الرحلة⁽¹⁾.

- الأشكي: وهو المسؤول عن الطبخ وأحمال الثاية ومعدات الأكل والشرب، ويكون معه مساعدون كالطباخين والقهوجية، وفي الغالب يكون لكل مجموعة طبّاخ يباشر عمله مباشرة بعد توقف القافلة حيث يقوم بجمع الحطب ومن ثم طهي الطعام⁽²⁾.

- فرق الحراسة المسلحة: المسماة «خبر» والتي تنقسم إلى أربعة أقسام: قسم عن يمين القافلة، والآخر عن يسارها، وثالث أمامها، ورابع خلفها. و«خبرة» أو فرقة المعرفين أو الأخوياء من أفراد القبائل التي ستمّر القافلة من أراضيها أثناء عبور المنطقة⁽³⁾.

ولدى العقيلات تنظيم شبه قضائي يتولى النظر في الأمور موضع

(1) المسلم، العقيلات، ص 126، 138-139.

(2) آشكي: لفظة تركية مؤلفة من مقطعين (آش) بمعنى طعام و(كي) وهي كباء النسب التي تلحق بعض الأسماء لذوي المهن كالقهوجي. (العبودي، معجم الكلمات الدخيلة في لغتنا الدارجة، ج 1، ص 5-6).

(3) الصويان، الصحراء العربية ثقافتها وشعرها عبر العصور، ص 369.

الاختلاف ويحل الإشكالات التي تحدث بين العقيلات أنفسهم أو بين العقيلات والآخرين من الناس ممن يباع عليهم أو يشتري منهم، وأحكام هذا التنظيم غالباً ما تكون مستقاة من أحكام الشريعة الإسلامية، أو ما هو متعارف عليه بين القبائل العربية من العادات والأعراف والتقاليد، وغالباً ما تكون الأحكام بالتراضي بين الطرفين المختلفين، فإذا ما انتهى المجلس إلى حكم فإنه يستحيل على أحد المتخاصمين أن ينقض هذا الحكم، والمدعى عليه وكفيله أو حليفه ملزمون بإنفاذه.

ويبدأ هذا المجلس القضائي بأن يتقدم المدعي بشكواه إلى أمير القافلة مشفوعة برغبته في اختيار شخص يثق في حكمه، ليكون حكماً في قضيته، عندئذ يكون الأمير مجلساً عرفياً - هو رئيسه - بحضور الحكم وشاهدين حيث يُدلي كلا الخصمين بأدلتهم ودفاعه، فإذا انتهى النقاش بتقديم الأدلة والبراهين لكلا المتداعيين يُصدر الحكم حكمه وتنتهي المشكلة. وقد لا تنتهي القضية في جلسة واحدة، وتبقى الجلسة مفتوحة ليقدم المتداعيان الشهود والدفع حتى يعلن الأمير انتهاء الجلسة. وإذا انقضى المجلس بعد صدور الحكم لا يحق للمحكوم عليه أن يتظلم من هذا الحكم.

ومن العادة أن لا يُكتب بين المتخاصمين مخالصة، وإنما يُكتفى بشهادة الشهود وحضور أمير القافلة⁽¹⁾، ونظرًا لما لهذه الأحكام من مصداقية، إذ تمثل حكماً متخصصاً، نجد أن قاضي الشرع في بريدة يتفق مع الحكم الصادر في مثل هذه الحالات⁽²⁾ ونادراً ما كان العقيلات يتدعون قضائياً، فلا يحتاجون لهذه الدعاوى إلا عند استعصائها على

(1) المسلم، العقيلات، ص 177 - 178.

(2) الرواف، صفحات مطوية من تاريخنا العربي الحديث، ص 45.

مجلسهم الذي لا يُسمى مجلس قضاء وإنما يسمى المجلس العرفي الذي يختص في القضايا البسيطة والتي تتعلق بأعمالهم أو رحلاتهم التجارية فقط أو شأن من شؤونهم⁽¹⁾.

في كل منطقة يحلّ فيها العقيلات كان لهم رئيس، وأمراء قوافلهم ورؤساؤهم يرجعون إليه في شؤونهم، وهو بدوره يمثلهم لدى السلطات الحاكمة في البلد الذي يحلون فيه ويحل مشاكلهم أو يحصل لهم حقوقهم لدى تلك السلطات ويتكلم باسمهم عندما يكون الأمر متعلقاً بالعقيلات، وقد ذكر ابن عيسى في حوادث عام 1258هـ أنه كان لعقيل رؤساء متعددون بحسب مناطقهم التي نزحوا منها، فهناك سليمان الغنام من أهل العارض في بغداد وهو من أهل ثادق، ورئيس عقيل أهل القصيم علي السليمان الخالدي وهو من آل جناح من بني خالد⁽²⁾.

وقد تمسك العقيلات بهذه التنظيمات المختلفة أشد التمسك وإن لم تكن مكتوبة، وصارت تسري بينهم مسرى الأحكام الشرعية أو النظام والقانون المدون في كل أمر من الأمور. وكانت هذه الأحكام مرنة تخضع للظروف الراهنة التي تمر بها الجماعة، سواء كانت هذه الظروف أمنية أو سياسية أو تجارية لتحقيق المصلحة المشتركة⁽³⁾.

إقامة العقيلات:

اعتاد أهالي نجد بصفة عامة وأهل القصيم بصفة خاصة على الهجرة إلى البلدان المجاورة، واختلفت أسباب هجراتهم أو رحلاتهم بين

(1) السويداء، عقيلات الجبل، ص 30.

(2) ابن عيسى، تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد، ص 166.

(3) السويداء، عقيلات الجبل، ص 30.

البحث عن لقمة العيش الكريمة ومحاربين مع الجيوش العثمانية، وأدلاء للقوافل وحراساً عليها وتجاراً يمارسون تجارة الإبل والخيول، واستوطنوا هذه البلاد مكونين أسراً بمصاهرتهم لأهلها لهم آثار وأعقاب فيها. وفي سورية كان أكثر استيطانهم في (ضاحية الميدان بدمشق - وغوطة دمشق - وحمص - وحماة - وحلب - ودير الزور). وفي المكان الذي يحلون فيه يكونون لأنفسهم مجتمعاً يلتقون فيه للسكن أو لسماع ومعرفة أخبار الوطن، فكانت عاداتهم في بلدهم تنتقل إلى البلدان التي يقطنون فيها فيتمسكون بها ويتفاخرون بصلتهم لوطنهم⁽¹⁾ ويحافظون على ما اكتسبوه من عادات أصيلة.

ارتبط العقيلات في سورية بالنسب مع البدو والحضر على السواء وكونوا مجتمعات خاصة بهم، لهم عاداتهم وتقاليدهم الخاصة التي ورثوها عن أسلافهم في موطنهم الأصلي، تجمعهم كلمة (عقيل) التي تدفعهم للمشاركة في قوافل التجارة، وقوافل الحج، وتجارة المواشي من الإبل والخيول مع أقرانهم من العقيلات، ودخلوا في شتى ميادين الحياة، فأقاموا المحال التجارية وعملوا في مجال الصرافة وتربية الخيول، ووكلاء، وسماسرة، وأصحاب عقارات⁽²⁾.

لم ينس العقيلات الذين استقروا في بلاد الغربة موطنهم الأصلي، فكانوا على صلة دائمة بأبناء وطنهم⁽³⁾ يتلقون أخبار الوطن من القادمين من بني جلدتهم.

(1) الرواف، صفحات مطوية من تاريخنا العربي الحديث، ص 27 - 28.

(2) المسلم، العقيلات، ص 206.

(3) ملحق (5) رسائل لجدّ الباحثة.

نشأ أبناؤهم النشأة الأخلاقية نفسها، وتوارث الآباء مهنة الأجداد، والأبناء مهنة الآباء، وعاد الكثير منهم إلى حضن الوطن الأم بعد أن نهلوا من ينابيع العلم والمعرفة، فشاركوا أبناء وطنهم في العمل على رفعة بلادهم ونهوضها، ووصل الكثير منهم إلى مناصب مرموقة كوزراء وسفراء وضباط ذوي مراتب عليا في الجيش أو الشرطة وفي مختلف الإدارات الحكومية⁽¹⁾.

ثالثاً: الأدوار العسكرية والسياسية:

النظام العسكري عند العقيلات:

كان النظام العسكري في الدولة السعودية الثانية مشابهاً للنظام الذي كان متبعاً في الأولى من حيث دعوة المقاتل للحرب والغزو، وتجهيزه بالعدة العسكرية، وطريقة القتال والأسلحة المستخدمة في القتال، وكيفية توزيع المكافآت المادية والعينية التي كانت توزع على المقاتلين من الغنائم التي يحصلون عليها من حملاتهم العسكرية.

لم يكن لدى الدولة جيش نظامي أو نظام عسكري محدد، وكانت تعتبر جميع أتباعها جنوداً يدافعون عن بلادهم عند دعوتهم، فاعتمدت نظام النفير عند تعرضها لخطر خارجي يهدد أمنها، أو عند رغبتها بخوض حرب ضد بعض القبائل والإمارات الخارجة على السلطة المركزية⁽²⁾، فيصدر الأمير أو امره إلى أمراء بعض المناطق وشيوخ القبائل لتجهيز عدد المقاتلين المطلوب منهم. وكانت كل منطقة تعرف عدد مقاتليها الذين

(1) الرواف، صفحات مطوية من تاريخنا العربي الحديث، ص 29.

(2) الركابي، كريم طلال، التطورات السياسية الداخلية في نجد، بيروت، الدار العربية للموسوعات، ط 1، 1425هـ، 2004م، ص 215 - 216.

سيشاركون في الحرب. وفي مكان التجمع تشكل كل قبيلة أو منطقة وحدة عسكرية منفصلة عن بقية القبائل والمناطق الأخرى المشاركة في الغزو أو المعركة، ويميزها في ذلك علمها الخاص، وصنف السلاح الذي تقاتل به، وذلك لإبراز مكانتها بين القبائل لكسب ثقة الأمير. وتبقى تلك القوات المقاتلة في حالة استعداد إلى أن يصدر الأمير أو امره بانصراف المقاتلين والعودة لممارسة أعمالهم الاعتيادية.

لم يكن الجيش مدرّباً تدريباً حديثاً على فنون القتال، على الرغم من احتكاكه لأكثر من مرة بقوات نظامية كالقوات المصرية والعثمانية، كما لم يكن يمتلك الخبرة القتالية في حالة مواجهة جيش نظامي. وكانت أسلحتهم بسيطة وتقليدية وهي السيف والرمح والبندقية وبعض المدافع القديمة التي غمّوها أثناء حروبهم السابقة⁽¹⁾.

وحيث إن الجيش يُستدعى عند الضرورة، أو في الحالات الطارئة التي تمرّ بها البلاد، ويُحلّ عند انتهائها، فلم تكن هناك مقرّات ثابتة (معسكرات)، كما لم يكن للمقاتلين رواتب محدّدة، بل كانت تُوزّع عليهم الغنائم⁽²⁾ التي يحصلون عليها في الحرب طبقاً للواجب الذي يؤديه المقاتل في المعركة، فحصة راكبي الجمال والمشاة تختلف عن حصة الفرسان. ولم تكن هناك مسافة بين دعوة المقاتل وبين أن يخوض المعركة للقتال إلا ريشما يدعى للقتال ويتقلد بندقيته، ويركب ناقته، ويؤمر بخوض غمار الحرب، لأن كل فرد في نجد خاصة محارب بطبيعته وهو منذ نشأته الأولى يحمل السلاح ويتمرن على الرمي ومنازلة الأقران،

(1) أبو علي، تاريخ الدولة السعودية الثانية، ص 236.

(2) موزل، شمال نجد، مختارات حمد الجاسر، ص 20 - 21.

وعلى هذا فأهل نجد جميعهم على استعداد في كل وقت لدخول المعارك التي يدعون إليها في كل وقت⁽¹⁾.

كان للعقيلات دور في الأعمال العسكرية بشكل عام، فقد قاموا بتوريد وبيع السلاح الذي يحصلون عليه من وكلاء بيع السلاح في الشام أو العراق أو مصر، ونقله معهم كسلعة رائجة، وكانوا يبيعونه للأفراد بالنقد أو المقايضة بالإبل⁽²⁾.

إضافة إلى توريد السلاح كانوا يقومون بتأمين الإبل للجيش سواء كانت إبلاً حربية أو للطعام، وكذلك تأمين خيول القتال والحرب. ولعل من المهام العسكرية التي كان يقوم بها العقيلات (حراسة القوافل)، فقد كان لهم باع طويل في قيادة القوافل التجارية وخفارتها وحراستها نظراً لما توفر لديهم من ترتيب عسكري استطاعوا استخدامه وهو نظام (الخُبر) وتقسيماته، عمل به العقيلات؛ وهو تنظيم موروث في نجد منذ القدم، متعارف عليه عسكرياً، يعود إلى تقسيم الجند إلى فرق صغيرة يسمونها خُبرة ويصل عدد أفرادها ما بين ستة واثني عشر شخصاً، ويكون لهذه الخبرة رئيس يسمونه أمير الخبرة، وشرع (خيمة صغيرة)، ويُعطى لكل نفر بندقية مع الرصاص إذا لم تتوفر لديهم، ويكون لهم قسطهم من الطعام والقهوة وما يتبع ذلك، وهم يطبخون لأنفسهم ويقومون بشؤون أنفسهم، ومرجع أمر كل جماعة أميرها⁽³⁾. إضافة لما توفر لديهم من شجاعة وخبرة في استخدام السلاح على أنواعه.

(1) ياسين، يوميات الدبدبة، ص 70.

(2) السويداء، عقيلات الجبل، ص 87.

(3) ياسين، يوميات الدبدبة، ص 143 - حسني، مذكرات ضابط عثماني في نجد، ص 64.

المعارك التي شارك فيها العقيلات:

تمتع العقيلات، كتجار وناقلين، بسمعة واسعة تعدت المجال التجاري إلى السياسي والعسكري والاجتماعي، عبر قرون من التاريخ، ولم يقتصر دور العقيلات على النشاط التجاري، ولم يكن لهم ذلك ممكنًا حتى ولو أرادوا، فالظروف المحيطة أجبرتهم على التورط في أنشطة ومواقف سياسية وعسكرية، فانخرطوا فيها لدوافع إنسانية، أو دوافع اقتصادية أحيانًا أخرى. فكان أن شاركوا في المعارك التالية:

1- معركة الصريف، 26 ذي القعدة 1318هـ/ 17 مارس 1901م

وهي معركة حدثت بين قوات الشيخ مبارك الصباح ومعه الإمام عبد الرحمن الفيصل آل سعود، ضد قوات عبد العزيز بن متعب بن رشيد أمير حائل وشمر، في الصريف شمال شرق بريدة، انتهت بانتصار ابن رشيد. وتمثل دور العقيلات بتلك المعركة في طبيعة الخدمات التي كانوا يقدمونها إلى جانب مهمتهم الأساسية كتجار، فمهمتهم الأساسية كانت تصدير الإبل بالدرجة الأولى والغنم بالدرجة الثانية من جزيرة العرب إلى بلاد العرب الشمالية، كالعراق والشام، وإلى جانب ذلك مارسوا مهمة النقل التجاري، فنقلوا البضائع والبريد إلى تلك الأقطار التي يتعاملون مع أسواقها.

ونظرًا لتمييزهم بالقيادة والدراية بالطرق الصحراوية، من حيث الأمان وتوفر المياه، وأيضًا لديهم الشجاعة والقدرة على تأمين الحراسة للعابرين، فقد كانوا خيارًا مناسبًا للدول والإمارات لنقل جيوشها عبر جبالهم، بالإيجار أو البيع، وقد مارسوا هذا الدور عبر فترات طويلة من الزمن. وتم توفير تلك الإبل لنقل تلك الجيوش وأسلحتها بطريقتين: مباشرة، وغير مباشرة؛ أما الطريقة المباشرة، فتكون بالتعاقد بين تلك

الجيش وتجار العقيلات مباشرة لتوفير الإبل بالشراء أو الإيجار لنقل الجنود إلى هدفهم. أما الطريقة غير المباشرة، فهي أن تقوم قيادات تلك الجيوش بشراء حاجتها من الإبل من الأسواق المشهورة التي يجلب العقيلات إليها عادة في الشام أو العراق.

ولا يقتصر دور العقيلات على توفير الإبل، بل يتبع ذلك توفير الحراسات والخفارات لحماية قوافل الإبل الناقلة للجنود والأسلحة، وكل ذلك في مقابل مالي. كما كان للعقيلات، باعتبارهم ناقلين تجاريين وموردين للإبل، مساهمة في توريد السلاح من أسواقه في مناطق النزاعات، وقد ساهم عقيلات القصيم في نقل السلاح إلى مواطنهم مدفوعين بالواجب الوطني، لتسليح أهليهم لمقاومة خصومهم ورفع الظلم عنهم⁽¹⁾.

وكان للعقيلات مشاركة في معركة الصريف كمقاتلين مع أهل بريدة، وناقلين، يشهد بذلك مشاركة أمير بريدة صالح الحسن المهنا الذي كان من قيادات العقيلات على مستوى نجد كلها، وكان من قيادات هذه المعركة الكبار، وبعد الهزيمة استمر يؤدي دورًا سياسيًا بالغ الأهمية والأثر في مصر والشام للتأليب ضد خصمه عبد العزيز بن رشيد. وكان للأمير صالح الحسن المهنا نشاط ملحوظ في دمشق بعد الصريف مباشرة، فاستجاب لدعوته رجال العقيلات ونهضوا معه، وكان يقدر عددهم بثلاثمائة رجل، فوصلوا في شهر شعبان عام 1319هـ إلى الكويت والتحقوا بجيش الكويت الذي عسكر بالجهراء لصد تقدم ابن رشيد.

كان لصالح الحسن المهنا نشاط آخر في القاهرة بعد الشام، حيث

(1) الخويطر، خالد بن سليمان بن علي، كون الصريف، لبنان، جداول للنشر، ط2، 2014م، ص 458-459.

استثار عقيلات مصر ضد عبد العزيز بن رشيد للمسير لمحاربته⁽¹⁾. كما كان لأسرة البسام - وهي أكبر أسرة تجارية في القصيم، ومن رؤساء العقيلات وأمرائهم - مساهمة في توفير الإبل لنقل العساكر العثمانيين الموالين لابن رشيد⁽²⁾، ومن العقيلات الذين ساهموا في معركة الصريف، الشاعر علي بن محمد الحميدة الذي دفع ثمن مساهمته بعد الهزيمة من مطاردة وتضييق حتى هاجر من بلده بريدة⁽³⁾.

اشتدت وطأة عبد العزيز بن رشيد على أهل القصيم بعد معركة الصريف، واستمر بقتل من يقبض عليه لمدة ثلاثة أيام⁽⁴⁾. فقد قتل أحد كبار تجار بريدة وهو عبد الرحمن بن محمد الربدي⁽⁵⁾، وابنه سليمان، ومجموعة كبيرة من الأسرى داخل مدينة بريدة، حيث إن عبد العزيز ابن رشيد أقام ببريدة أياماً يأمر فيها بقتل طائفة من الأسرى بين يديه في كل يوم بعد صلاة العصر، كما فرض على التجار ضرائب باهظة وألزمهم بدفعها⁽⁶⁾.

وعلى صعيد آخر لعلاقة العقيلات بمعركة الصريف، فقد أصاب العقيلات ضرر كبير، كغيرهم من التجار، تمثل بتعطل قوافلهم وانقطاع

(1) السابق، ص 462.

(2) السابق، ص 460.

(3) السابق، ص 461.

(4) العبودي، معجم أسر بريدة، ج 7، ص 117.

(5) عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن الربدي: كانت أسرة الربدي - بكسر الراء وإسكان الباء - أغنى أسرة في بريدة على الإطلاق، اشتهر عبد الرحمن عند الناس باسم دحيم، ودحيم في العامية هو تصغير عبد الرحمن، كان فارساً شجاعاً ووجيهاً نادراً في الرجال. أما ابنه سليمان المعروف باسم سليم بلفظ التصغير، فقد أصيب في المعركة، وأجهز عليه أعوان ابن رشيد، فقتلوه بعد انتهاء المعركة فيمن قتلوه من المصابين. (العبودي، معجم أسر بريدة، ج 7، ص 55، 116، 122).

(6) العبودي، معجم أسر بريدة، ج 7، ص 117.

طرق التجارة بسبب انعدام الأمن وارتفاع نسبة المخاطرة في النقل والحراسات.

2- معركة الفيضة: 28 ذي القعدة 1321هـ/ 14 فبراير 1904م⁽¹⁾

جرت هذه المعركة بين الملك عبد العزيز وحسين بن جراد التميمي، وكان ابن رشيد قد أرسل سرية كبيرة إلى عنيزة وسرية أخرى إلى الوشم مع حسين بن جراد، ثم ذهب إلى أطراف العراق يستجد شمر، فلما علم الملك عبد العزيز بذهاب ابن رشيد إلى العراق خرج من الرياض مسرعاً وهجم على ابن جراد ومن معه في نفوذ السر فقتله في أربعمئة من أتباعه، وقد أرسل الملك عبد العزيز راية ابن جراد إلى الكويت يبشرهم بالنصر، وغنم في هذه الواقعة غنائم كبيرة.

كانت موقعة الفيضة ذات أثر بالغ بالنسبة للملك عبد العزيز لأنها كانت فاتحة انتصاراته في القصيم على ابن رشيد، وكانت بداية سلسلة هزائم متلاحقة لغريمه. وقد اشترك في هذه المعركة فريق من العقيلات والكثير من أهل القصيم⁽²⁾.

3- معركة البكيرية: 1 ربيع الثاني 1322هـ/ 15 يونيو 1904

لم يمض وقت طويل على انتصار معركة الفيضة حتى سار الملك عبد العزيز إلى عنيزة وبريدة ترافقه جماعات من البلدين مع رؤسائهم كانوا قد غادروا المنطقة سابقاً فراراً من ابن رشيد. وشعر عبد العزيز بن رشيد بالخوف من تعاظم قوة الملك عبد العزيز، فتحرك لقمع القصيم

(1) العثيمين، عبد الله الصالح، معارك الملك عبد العزيز المشهورة لتوحيد البلاد، مكتبة الملك فهد الوطنية، ط3، 1419هـ/ 1998م، ص 84.

(2) إبراهيم، نجليون وراء الحدود، ص 222، أمراء وغزاة، بيروت، دار الساق، ط4، 2014م، ص 182.

وإعادتها إلى سلطته، وأمدته الدولة العثمانية بالجنود والمدافع لتحقيق هدفه، ومن الجدير بالذكر بأن من بقي من العقيلات في العراق أو الشام كانوا يتبعون أخبار أهلهم في القصيم وقلوبهم حاقدة على عبد العزيز بن رشيد وسياسته التي أذلت أهل القصيم ودمرت اقتصادهم، خصوصاً أنه لم يفتأ يتعرض لهم ويؤذيهم، فقد صادر من إبل العقيلات وسخرها لخدمة أهدافه الحربية ونقل إمدادات الدولة العثمانية من سلاح وعتاد⁽¹⁾، فكان هذا دافعاً لمن تخلف عن مؤازرة جيش الملك عبد العزيز أن يبادر إلى الانضمام إليه، لأن الصراع بات حتمياً لحماية الأهل والمال. وانطلق عبد العزيز بن رشيد نحو القصيم ومعه قوة من الجنود العثمانيين ومئات من حاضرة قومه وفئات كبيرة من البادية أغلبها من شمر⁽²⁾، وتكون لديه الآلاف من المحاربين.

بدأ الملك عبد العزيز يستعد للمعركة الحاسمة، وكان للعقيلات دور هام في هذه المعركة بعد أن وصلتهم قصيدة الخلوج للعوني يستثير نخوتهم للدفاع عن أهلهم وتسوية حساباتهم مع خصمهم. وانتهت المعركة بانتصار الملك عبد العزيز على خصمه عبد العزيز بن رشيد.

4 - معركة الشنانة وقصر ابن عُقَيْل: 18 رجب 1322هـ / 27 أكتوبر 1904م

اتخذ عبد العزيز بن رشيد الشنانة معسكراً له، بينما اتخذ الملك عبد العزيز الرس مركزاً له. وبقي الطرفان يتناوشان حوالى شهرين، ويمرور الوقت دب الملل في نفوس أتباع الطرفين، ولذلك بعث الملك عبد

(1) العبد المحسن، تذكرة أولي النهي والعرفان، ج2، ص 23 - إبراهيم، نجديون وراء الحدود، ص 223 - الحميدة، علي الحميدة، ص 54 - 55.

(2) العثيمين، معارك الملك عبد العزيز المشهورة، ص 89.

العزیز أحد وجهاء بريدة، العقيلي فهد الرشودي، إلى ابن رشيد يعرض عليه الهدنة، لكن الأخير سخر بالعرض⁽¹⁾ وحاول الرحيل، وعندما بدأ هو وجيشه بالتحرك فاجأهم الملك عبد العزيز وأتباعه بالهجوم، وتقاتل الطرفان وجه النهار. ثم عاد الملك عبد العزيز وجيشه إلى الرس.

لم يتمكن عبد العزيز بن رشيد وجيشه من الانسحاب إلى حائل لأن جيش الملك عبد العزيز يعسكر إلى الشرق من الشنانة ويغلق على قوات ابن رشيد الطريق إلى عنيزة وبريدة، أما الطريق إلى الشمال فيغلقه العقيلات الذين بلغ عددهم خمسمائة مقاتل⁽²⁾.

تحرك ابن رشيد يوم 16 رجب من الشنانة وتوجه إلى قصر ابن عَقِيل وضربه بالمدافع، وفاجأه الملك عبد العزيز وأتباعه حيث وقعت معركة كبيرة بين الطرفين انجلت بانهزام قوات ابن رشيد مخلفة وراءها المدافع والكثير من الأسلحة وصناديق الذهب، وبقي الملك عبد العزيز وجيشه في المنطقة ليومين ينقلون الغنائم التي أصابوها من قوات ابن رشيد⁽³⁾. وخلصت القصيم منذ تلك المعركة للملك عبد العزيز.

ومن مشاهير العقيلات الذين شاركوا في معركة البكيرية وفي معركة الشنانة: علي بن محمد الحميدة؛ ويقال إنه كان يحمل «البيرق» وقد لحقت به إصابة⁽⁴⁾. وفهد العلي الرشودي⁽⁵⁾ الذي قام بسفارته إلى عبد العزيز بن رشيد كما تقدم. وإبراهيم العلي الرشودي⁽⁶⁾ وسليمان بن محمد

(1) السابق، ص 95.

(2) إبراهيم، أمراء وغزاة، ص 194.

(3) السابق، ص 195 - العنيمين، معارك الملك عبد العزيز المشهورة، ص 96.

(4) الحميدة، علي الحميدة، ص 54.

(5) العبودي، معجم أسر بريدة، ج 7، ص 402 - 403.

(6) إبراهيم بن علي بن عبد الله الرشودي: (1292 - 1364هـ) سافر مع عمه محمد الرشودي =

الطامي⁽¹⁾ وعبد العزيز بن عبد الله الرميان⁽²⁾. وغيرهم من رجال القصيم، من العقيلات الذين قاتلوا دفاعاً عن أوطانهم، وأهلهم في نجد.

5- معركة روضة مهنا: 17 صفر 1324هـ / 11 أبريل 1906م

تابع أهل القصيم حربهم ضد عبد العزيز بن رشيد، إلى جانب الملك عبد العزيز، فشاركوه في معركة روضة مهنا التي انتهت بمصرع عبد العزيز ابن رشيد⁽³⁾، وانهزم أتباعه، فتعقب أهل القصيم فلولهم حتى ضحى يوم المعركة، ثم عادوا إلى الميدان وأخذوا خاتم ابن رشيد وسيفه إلى الملك عبد العزيز⁽⁴⁾. وكان العقيلات من المقاتلين في تلك المعركة، ومنهم (سالم السولي)⁽⁵⁾ الذي كان يحمل راية بريدة في عدد من المعارك مع ابن رشيد⁽⁶⁾.

بقوافل العقيلات إلى بغداد ثم إلى الشام حيث كان والده يقيم في دمشق، درس في الجامع الأموي، سافر مع والده في رحلة من رحلات العقيلات إلى مصر ودرس في الجامع الأزهر (المسلم، رجال من القصيم، ج1، ص 213).

(1) سليمان بن محمد الطامي: ولد في مدينة بريدة سنة 1304هـ سافر إلى الشام مع قافلة من قوافل العقيلات تحت إمرة محمد بن أحمد الرواف، وعندما قرئت قصيدة الخلود على الموجودين في سوق الميدان ترك سليمان الطامي دكانه مفتوحاً وأودعه أمانة لدى أحد أصدقائه السوريين وخرج ملبياً نداء الوطن، قتل في معركة السبلة سنة 1347هـ (المسلم، رجال من القصيم، ج6، ص 128 - 129).

(2) عبد العزيز بن عبد الله بن عثمان الرميان: من الوداعين من الدواسر، ولد سنة 1303هـ شارك في معركة البكيرية وموقعة الشنانة وموقعة روضة مهنا وكان كريماً حسن الخلق، وفي سنة 1394هـ (العبودي، معجم أسر بريدة، ج8، ص 107، 104).

(3) العثيمين، معارك الملك عبد العزيز المشهورة، ص 112.

(4) السابق، ص 112

(5) سالم بن محمد السولي: كان طويل القامة، أبيض اللون بهيئة لافتة للنظر، وكان من المشتغلين بالسياسة أيام الحروب بين آل سعود وآل رشيد، وقيل إنه حمل راية أهل بريدة في وقعة من الوقعات، توفي في الرياض عام 1351هـ (العبودي، معجم أسر بريدة، ج5، ص 441، ج10، ص 425).

(6) المسلم، العقيلات، ص 78 - 79.

دور العقيلات العسكري في سورية

لم يعرف العقيلات حدودًا لرحلاتهم، فأرض العرب ديارهم والوطن العربي وطنهم، فوقفوا مع أبناء الوطن العربي بكل بلادهم في ثوراتهم وحروبهم، ولم يغيبوا عن الأحداث الكبرى خارج جزيرة العرب أو على تخومها، فشاركوا في الأحداث السياسية والعسكرية، وعندما خرجت جيوش فيصل بن الحسين إلى الشام كان العقيلات قوام تلك الجيوش، وكان فيصل بن الحسين يستأنس برأي شيوخهم، وشاركوا مع لورنس بعدة مواقع قتالية، وشارك أحد أبطال العقيلات في تلك المعارك وهو (ناصر بن دغيث)⁽¹⁾. وسار العقيلات تحت لواء فيصل بن الحسين ومساعدته لورنس⁽³⁾. ومن الجدير بالذكر أن جيش الهجانة الذي كان برفقة فيصل بن الحسين جُلّه من نجد ومنطقة القصيم بالذات لثقته الكبيرة بهم⁽⁴⁾. دخل الجيش العربي دمشق في أواخر ذي الحجة 1336هـ/ أول أكتوبر 1918م ورُفعت الرايات العربية فوق المباني، وتمّ الإعلان عن تشكيل حكومة دستورية مستقلة تشمل جميع البلاد السورية، وتمكن العقيلات

(1) ناصر بن دغيث: التحق بمعسكر فيصل بن الحسين قرب المدينة المنورة، وعندما بدأ الشريف حسين بن علي يعد للثورة على العثمانيين، تم اختيار صالح بن دخيل ومعه ابن دغيث ليكونا حلقة اتصال بين لورنس، وقوة تم اختيارها من العقيلات. قام ابن دغيث وفرقته بتفجير الخط الحديدي العثماني. كما قام مع فرقته من العقيلات بمساندة جيش الشريف بقتاله مع الجنود العثمانيين في الطريق إلى العقبة، وتمكنوا من إجبار العثمانيين على وقف إطلاق النار والاستسلام. (المسلم، إبراهيم، رجال من القصيم، ج1، ص 16 - 17 - إبراهيم، نجديون وراء الحدود، ص 232 - 233).

(2) لورنس، توماس إدوارد، أعمدة الحكمة السبعة، ترجمة محمد نجار، عمان، الأهلية للنشر، ط1، 1998م، ص 102 - 114.

(3) السابق، ص 102، 173، 179، 204، 212، 214.

(4) إبراهيم، نجديون وراء الحدود، ص 229 - 230.

بعدئذ من دير الزور⁽¹⁾. ونودي بفيصل بن الحسين ملكًا دستوريًا على البلاد في مارس 1920م، إلا أن عُمر الاستقلال كان قصيرًا، فقد احتل الجيش الفرنسي سورية في 24 تموز/ يوليو 1920م.

كفاح الميدان

كان الميدان وسط دمشق يشكل واحة للنجديين الذين تجمعوا فيه مع جاليات أخرى تربطهم أعمال تجارية مع مناطق أخرى، وحي الميدان كباقى أحياء دمشق لم يرحب بالاحتلال الفرنسي، وكان لهيب الثورة السورية عارمًا، فعمل الفرنسيون على إخماد الثورة بشراسة فأعملوا قتلاً بالمسلمين وتركوا النصارى، وخلال هذه الفترة خشي الفرنسيون من تدخل الملك عبد العزيز آل سعود، وذلك لوجود عدد كبير من العقيلات في المنطقة. وانتشرت في دمشق إشاعة تفيد بأن هناك تحركات عسكرية سعودية قوامها ستة آلاف رجل يقودها رجل اسمه ابن نهير في منطقة الأزرق وقرى الملح، وأن تلك القوة توالي اتصالها مع جبل الدروز حيث ثورة سلطان باشا الأطرش، بالرغم من أن سليمان المشيقح⁽²⁾ أحد العقيلات البارزين وممثل سلطان نجد في سورية، قد صرّح بأن تلك التحركات النجدية حول قرى الملح غير مرتبطة بما يحدث في سورية. عندما شارك أهالي الميدان وساكنوه من الجاليات العربية بالثورة ضد الانتداب الفرنسي، فرضت السلطات الفرنسية غرامة مالية كبيرة

(1) السابق، ص 233 - عثمان، هاشم، تاريخ سورية الحديث، بيروت، دار الريس، ط1، 2012م، ص 20 - 21.

(2) سليمان بن علي المشيقح: كان رئيسًا من رؤساء عقيل، عينه الملك عبد العزيز معتمدًا له في الشام (قتصل) وله كافة الصلاحيات بإصدار التصاريح أو جوازات السفر للعقيلات الموجودين في سورية (العبودي، معجم أسر بريدة، ج12، ص 149).

ألزمت أهل الميدان بها وإن لم يدفعوا فستقطع إمدادات المياه عنهم، ثم قامت الطائرات الفرنسية في يوم 25 شوال 1344هـ/ 7 مايو 1926م، بقصف الميدان بالقذائف، وما إن توقف القصف حتى دخلت الدبابات والعربات المصفحة أرض المعركة، واشتبك المجاهدون - وكان عددهم سبعة وتسعين مجاهدًا -⁽¹⁾ مع القوات الفرنسية في معركة ضارية استمرت زهاء خمس ساعات ونصف، فأحرق الجند الفرنسيون المنازل عمدًا، واستمرت الحرائق لمدة ثلاثة أيام حتى أتت على كل شيء. والحقيقة أن هذا الإجراء لم يكن سوى إجراء انتقامي من أهل الميدان الذي كان يسكنه الكثير من العراقيين وعدد غفير من النجديين وأهل شرق الأردن إضافة إلى أهل دمشق الأصلاء.⁽²⁾

معركة ميسلون: 8 ذي القعدة 1338هـ/ 24 يوليو 1920م.

وقعت هذه المعركة في سهل ميسلون على مشارف دمشق، بين القوات السورية بقيادة وزير الحرية يوسف العظمة⁽³⁾، والقوات الفرنسية بقيادة الجنرال غوابيه، بعد أن أصدر الجنرال غورو أوامره للقوات الفرنسية بالتحرك نحو دمشق في 14 تموز/ يوليو 1920م⁽⁴⁾. خرج يوسف العظمة

(1) بوبس، حي الميدان اللدمشقي تاريخه وتطوره، ص 196.

(2) إبراهيم، نجديون وراء الحدود، ص 234.

(3) يوسف بن إبراهيم بن عبد الرحمن العظمة: ولد سنة 1884م في دمشق، درس العلوم العسكرية في إستانبول 1906م، تخرج من مدرسة أركان الجيش بألمانيا، عاد بعد الحرب العالمية الأولى إلى دمشق، واختاره فيصل بن الحسين مرافقًا له، ثم عينه معتمدًا في بيروت فترأسًا لأركان الحرب، عُيّن إبان اقتراب الخطر الفرنسي وزيرًا للحرية، استشهد في معركة ميسلون 24 يوليو 1920م (صالح، نبيل، مجموعة من الباحثين، رواية اسمها سورية، د. ن ط 2 1428هـ/ 2007م، ج 1، ص 25).

(4) صالح، مجموعة من الباحثين، رواية اسمها سورية، ج 1، ص 24.

بحوالي ثلاثة آلاف جندي وعدد من الهجانة وبعض البدو والأهالي، إلى ميسلون مسلحين ببنادق إنكليزية، ولم تضم قواته دبابات أو طائرات أو أسلحة ثقيلة، واشتبك مع القوات الفرنسية صباح 8 ذي القعدة 1338 هـ في معركة غير متكافئة استمرت ثمان ساعات، واشتركت فيها الطائرات الفرنسية والدبابات والمدافع الثقيلة، وجيش حديث مكتمل العدة والعتاد، وعلى الرغم من ذلك، فقد استبسل المجاهدون في الدفاع، واستشهد يوسف العظمة في المعركة التي كانت نتيجتها متوقعة⁽¹⁾.

لم يكن من الممكن أن ينتصر الجيش العربي بلا ذخيرة ولا سلاح سوى من بطولات فردية وفداء في سبيل الوطن. وقد شاركت في المعركة مجموعة تقدر بحوالي خمسمائة رجل من أبناء نجد من العقيلات⁽²⁾ الذين حاربوا تحت قيادة الرجل الشجاع (ناصر بن دغيث) الذي حارب أيضاً في صفوف الثورة العربية وصحب لورنس، وقد أثبت العقيلات بطولات نادرة في تلك المعركة وسقط عدد منهم شهيداً⁽³⁾.

غادر فيصل بن الحسين دمشق بعد ظهر يوم ميسلون، متوجّهاً إلى قرية الكسوة على طريق درعا، مع وزرائه. وفي 1 آب/أغسطس 1920م، غادر درعا في القطار متوجّهاً إلى حيفا، بعد أن وجّه إليه الجنرال غورو إنذاراً بمغادرة سورية، وكان يرافقه ثلاثمائة جندي من الهجانة (العقيلات)⁽⁴⁾.

(1) العمري، صبحي، ميسلون نهاية عهد، لندن، رياض الريس للنشر، ط1، 1991م، ص 165 -

167 - إبراهيم، نجديون وراء الحدود، ص 234.

(2) المسلم، رجال من القصيم، ج1، ص 17.

(3) الرواف، مقابلة في جريدة الجزيرة، في 5/6/1406هـ.

(4) العمري، ميسلون نهاية عهد، ص 194، 196.

العقيلات والتمثيل الخارجي:

تمكن الملك عبد العزيز من ضم الحجاز سنة 1344هـ/ 1924م، وعقد المعاهدات مع الحكومة البريطانية بشأن الحدود، أعقبتها معاهدات مع الحكومة الفرنسية واعترافات من أكثرية الدول الأجنبية بملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها. ونتيجة لهذه المعاهدات أصبح دخول العقيلات إلى البلاد العربية التي جزّأها الاستعماران البريطاني والفرنسي بتصاريح خروج يحصلون عليها من الحدود. وإذا دخلوا إلى عمّان وأرادوا السفر إلى سورية فإنهم يذهبون إلى القنصلية الفرنسية للحصول على تصريح للتجول داخل سورية ولبنان. وبعد أن تم تعيين وكلاء⁽¹⁾ للملك عبد العزيز في البلاد العربية، أصبحت التصاريح تصدر باسم معتمد مملكة الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها، ومكتوب فيها: يسهل لحامل هذا التصريح بحرية التنقل والأسفار⁽²⁾.

بدأت قصة الوكلاء، أو المعتمدين في بداية تأسيس المملكة وتوحيدها، إذ لم تكن المؤسسات السياسية قد تشكّلت، وأُخذت سفارات للمملكة في الخارج، فقبل ضم الحجاز لم يكن للملك عبد العزيز قناصل رسميون أو ممثلون دبلوماسيون في الدول الأجنبية، وكان بعض التجار النجديين المستقرين في تلك الدول يعملون بصفتهم وكلاء له، وكان جلالته يختار من هؤلاء من أمضوا فترة طويلة في مكان معين واشتهروا بالأمانة والصدق والنزاهة الأخلاقية.

(1) المعتمد والوكيل: ينحصر عمله في تسهيل أشغال تجار نجد الذين يتاجرون بالإبل بين نجد والشام ومصر (وهبة، حافظ، خمسون عامًا في جزيرة العرب، دار الآفاق العربية، ط1، 1421هـ/ 2001م، ص 225).

(2) العبودي، معجم أسر بريدة، الرياض، ج 20، ص 150.

وكان مَنْ يختارهم لا يستلمون أجورًا على ما يقومون به من خدمات، لكنهم كانوا يكسبون - بصفتهم وكلاء للملك - رفعة في مكانتهم الاجتماعية، ومزايا في تعاملهم التجاري⁽¹⁾.

المعتمدون والقناصل في سورية:

1- فوزان السابق (1275 - 1373هـ / 1858 - 1953م)

وُلد في مدينة بريدة، سافر إلى الزبير والكويت. اتصل بالملك عبد العزيز بعد استرداد الرياض عام 1319هـ / 1902م، واشترك في معركة جراب عام 1333هـ / 1915م. وأثناء ضم حائل عام 1340هـ / 1921م كان موجودًا في الشام، وسورية تحت الانتداب الفرنسي، فاختاره الملك عبد العزيز وكيلًا له في منطقة الشام، وعُرف في ذلك الوقت بوكيل عظمة سلطان نجد. وبعد ضم الحجاز عام 1344هـ / 1925م كلفه الملك عبد العزيز بالسفر من الشام إلى مصر، واستلام أعمال وكالة مملكة الحجاز وسلطنة نجد وملحقاتها. كانت السنة الناس بالشام تمدح الشيخ فوزان السابق لدماثة أخلاقه، وصفاء سيرته، ولعلمه بأخلاق البداوة والحضر. وقد عمل على تسهيل أشغال تجار نجد في الشام ورعاية مصالحهم⁽²⁾.

2- سليمان بن علي المشيقيح

كان رئيسًا من رؤساء عقيل أهل القصيم، وكانوا يرجعون إليه في الكثير من الأمور، ولذلك عينه الملك عبد العزيز معتمدًا له في الشام

(1) المانع، محمد، توحيد المملكة العربية السعودية، ترجمة عبد الله الصالح العثيمين، ط2، 1415هـ د.ن. ص 246.

(2) القشعبي، محمد عبد الرزاق، معتمدو الملك عبد العزيز في الخارج، بيروت، الانتشار العربي، ط1، 2015م، ص 162 - 163 - وهبة، حافظ، خمسون عامًا في جزيرة العرب، ص 225.

لرعاية مصالح العقيلات والنجديين ممن استوطنوا تلك البلاد، بعد أن وجه كتاباً إلى أهل بريدة بتاريخ 29 ذو القعدة 1340هـ/ 24 يوليو 1922م يطلب إليهم ترشيح اثنين من العقيلات الذين يقيمون في سورية ومصر لتعيينهما وكيلين له معتمدين لرعاية مصالح الدولة التي بدأت تزدهر، ثم رعاية مصالح البجاليات الموجودة في هذه البلدان، وليكونوا أداة اتصال بين الملك عبد العزيز والحكومتين الفرنسية والبريطانية.

وقد اقترح جماعة أهل بريدة على الملك عبد العزيز تعيين سليمان العلي المشيقيح في دمشق وفوزان السابق في مصر، وهما من كبار تجار العقيلات المقيمين في هذه البلدان⁽¹⁾.

3- ياسين بن إبراهيم الروّاف

كان والده يُعرف بأمير الحج في الشام، ولعله كان أميراً من أمراء حرس الحج الذين يحرسون مؤخرة قافلة الحج الشامي في ذهابها وعودتها، ويسميه العقيلات (دندار) أي الذين يكونون حرساً وغيوناً وراء الإبل. إذا غرّب عقيل، يكون معه قوة جيش من العقيلات الذين يسكنون العراق وحلب ودمشق. وقد بقي - إبراهيم الروّاف - مدة سبع وعشرين سنة يقوم بهذا العمل ومعه نحو مائة وخمسون من عقيل الذين هم في الأصل من تجار المواشي من أهل القصيم الذين كانوا يتاجرون بها ما بين القصيم والشام بالدرجة الأولى، وأنه كان رئيس أولئك ولذلك كانوا يسمونه في الشام (شيخ العقيلات)⁽²⁾ لهذا السبب.

عين الملك عبد العزيز؛ ياسين الرواف قنصلاً في دمشق⁽³⁾ سنة

(1) العبودي، معجم أسر بريدة، ج 20، ص 149.

(2) السابق، ج 8، ص 210.

(3) الطنطاوي، ذكريات، ج 3، ص 136، 55.

1345هـ/ 1926م، وكان يسمى وكيل الحجاز ونجد في الديار السورية، كما عيّن أخاه محمد عيد نائباً له في القنصلية، ثم نُقل ياسين إلى المدينة سنة 1352هـ/ 1933م معاوناً للأمير محمد بن عبد العزيز، ثم معاوناً للملك فيصل عندما كان نائباً على الحجاز. وحلّ محمد عيد محله كقنصل في دمشق⁽¹⁾.

4- رُشيد بن ليلي (1294 - 1362هـ/ 1877 - 1943م)

هو رُشيد بن ناصر بن رشيد بن ليلي، ويُقال: الليلاً⁽²⁾. ولد بمدينة حائل وتلقى تعليمه في كتابيها. عُرف بالفطنة والذكاء الحاد، عمل ممثلاً لعبد العزيز بن متعب بن رشيد في استانبول حيث مكث في عمله ما يقارب عشر سنوات، فأُنعمت عليه الدولة العثمانية بلقب باشا، وهذا اللقب لا يُمنح إلا لمن تميّز من الرجال. قال عنه الطنطاوي «كان يفتح الكلام الشيخ ياسين الرواف، أول ممثل لجلالة الملك عبد العزيز في دمشق، ولم تكن للمملكة سفارة ولا مفوضية بل كانت تسمى المعتمدة، ثم عيّن في الوظيفة أخاه الشيخ عيد، ثم رشيد باشا، وأظن أنه كان في الأصل من جماعة ابن رشيد أمير حائل، ولكن الملك عبد العزيز على طريقته في تألف أعدائه يوليهم الثقة فيعطونه الإخلاص، وكذلك خلفه الشيخ عبد العزيز بن زيد كان أيضاً من جماعة ابن رشيد». ثم يقول «ولقد كف بصر رشيد باشا في أواخر أيامه، ولم يعد يرى»⁽³⁾.

عيّن رشيد بن ليلي قنصلاً للمملكة في دمشق في 16 محرم 1352هـ/ 11

(1) المسلم، رجال من القصيم، ج 1، ص 87.

(2) الرشيد الليلا في لبدة فرع من أسرة الليلا التي كانت قديماً تسكن مغيزة في حائل. (القشعري، معتمدو الملك عبد العزيز في الخارج، ص 27).

(3) الطنطاوي، ذكريات، ج 3، ص 136.

مايو 1933م وبقي في منصبه إلى أن توفي بدمشق. استطاع خلال السنوات التي قضاها معتمداً للملك في دمشق تقوية أواصر الصداقة والعلاقات المتينة بين البلاد السعودية والسورية، وشعبيهما، حتى تنامت التجارة بين الدولتين، وكان العقيلات يعتبرون فترة رشيد باشا في القنصلية هي العصر الذهبي لتجارته، وخاصة في تجارة الإبل والخيول⁽¹⁾.

(1) القشعبي، معتمدو الملك عبد العزيز في الخارج، ص 37.

الفصل الثالث

ثقافة العقيلات وخصائصهم

المظاهر الثقافية في نجد منذ عام 1256هـ / 1840م

تميز عهد الإمام فيصل بن تركي خلال فترة حكمه الثانية التي امتدت من ربيع الآخر 1259هـ / 1843م، حتى وفاته في رجب 1282هـ / 1865م، بحالة من الاستقرار النسبي⁽¹⁾ عاش خلالها أهل نجد عيشاً رغيداً⁽²⁾، كما تميز هذا العهد بالأمان، فكانت القوافل تجتاز القصيم وسدير والوشم، وأقاليم نجد، وهي آمنة شر البدو وتعدياتهم⁽³⁾. وكان الإمام فيصل محباً للعلم والعلماء، كثير الإكرام لهم، حريصاً على مشاركة هؤلاء العلماء مجالسهم العلمية التي كانت وسيلة لنشر العلم والثقافة⁽⁴⁾. إلا أن ذلك الاهتمام لم يمنح البلاد الدفع العلمي المطلوب، فبقيت نجد مفتقرة إلى الحركات الثقافية التي كانت في حواضر البلاد العربية كدمشق وبغداد والقاهرة. وبعد وفاة الإمام فيصل دخلت البلاد بحرب أهلية منذ سنة

(1) السلطان، محمد بن عبد الله، الأحوال السياسية في القصيم في عهد الدولة السعودية الثانية 1238 - 1309هـ / 1823 - 1891م، مكتبة الملك فهد، ط2، 1420هـ / 1999م، ص 151.

(2) الرشيد، نبذة تاريخية عن نجد، ص 99.

(3) بالجريف، وسط الجزيرة العربية وشرقها، ج1، ص 413.

(4) ابن بشر، عنوان المجد، ج2، ص 235 - 236.

1283هـ/ 1865م⁽¹⁾ أخذ يزداد أوارها حتى عام 1308هـ/ 1891م، حيث ضاعت الدولة السعودية ولم يعد لها وجود للمرة الثانية⁽²⁾، واستمرت الحروب الداخلية والصراعات بين بلدان نجد. وازداد الوضع السياسي سوءاً، وفُقد الاستقرار، فتدهورت الحياة الثقافية، وانحصرت في قليل من العلوم الدينية، وعلى نطاق ضيق جداً، وكانت معدومة عند البدو⁽³⁾.

ولم تكن منطقة القصيم بمنأى عن التدهور الثقافي الذي أصاب نجدًا إلا أنها تمكنت من تحصيل قليل من العلوم لكونها أكثر البلاد النجدية اتصالاً ببلدان خارج الجزيرة العربية عن طريق التجارة التي كان يزاولها أبناءها مع البلدان الأخرى⁽⁴⁾، أو عن طريق القوافل التجارية وقوافل الحج التي تمر بها. كل ذلك أعطاها دفعة ثقافية لا بأس بها بالنسبة لغيرها من المناطق، بالرغم من صعوبة المعيشة آنذاك وعدم وجود من يتولى التعليم برعاية مالية كافية، وكانت هناك محاولات لنشر العلم حسب الإمكانيات المتوفرة حينذاك، وذلك عن طريق كتاتيب محدودة العدد لتعليم بعض الأطفال القراءة والكتابة، كما كان هناك بعض العلماء الذين كانوا يبذلون ما في وسعهم للتعليم في المساجد من دون انتظار أجر مادي⁽⁵⁾.

وكان لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب أثرٌ في دفع الحركة العلمية

(1) الحربي، مبارك محمد المعبد، محاضرات في تاريخ المملكة العربية السعودية، جامعة الملك عبد العزيز، ط1، 1429هـ/ 2008م، ص 121.

(2) وايندر، المملكة العربية السعودية في القرن التاسع عشر الميلادي، ص 393 - لوريير، دليل الخليج، القسم التاريخي، ج1، ص 569 - 571.

(3) داوتي، ترحال في صحراء الجزيرة العربية، ج2، مجلد1، ص 64.

(4) الدخيل، سليمان، مجلة لغة العرب، السنة الأولى، ج1، ص 24 - 25.

(5) العثيمين، عبد الله الصالح، الشيخ محمد بن عبد الوهاب حياته وفكره، الرياض، دار العلوم، د.ت، ص 17.

الدينية في المنطقة إلى الأمام⁽¹⁾، وخاصة في مجال دراسة العقيدة، وكانت القوة السياسية عضدًا قويًا لسياسة تلك الدعوة من الناحية الثقافية. وقد تمثلت الحياة الثقافية بعدة مظاهر أهمها:

1 - الكتاتيب: كان من عادة أهل نجد أنه إذا بلغ الصبي السادسة أو السابعة من عمره ألحقه بالكتاب لتعلم مبادئ القراءة والكتابة، ويُركّز فيها بالدرجة الأولى على تعلّم قراءة القرآن الكريم، وبعض أحاديث رسول الهدى - ﷺ - وكان مكان هذه الكتاتيب إما في جزء من المسجد، أو منزل المدرّس الذي يسمى (المطوع أو الشيخ).

أما أجره المدرّس فلم يكن له راتب معين، بل كان على أولياء أمور الطلاب أن يدفعوا أجورًا رمزية، إما نقدًا، أو عينًا من المنتجات الزراعية أو الحيوانية. ولم تكن تلك الكتاتيب مقصورة على الذكور بل كانت هناك كتاتيب مخصصة لتعليم البنات تقوم بالتدريس فيها امرأة متعلمة على طريقة تعليم الذكور. وقد ذكر لوريمر في حديثه عن سكان بريدة أنه كانت توجد «في المدينة سبع مدارس يتعلم فيها الطلاب معالم السنّة النبويّة وأحكام القرآن. ويوجد أيضًا عدد من المدارس الابتدائية، كما توجد خمس مدارس للبنات لتعليم القراءة والكتابة وأشغال الإبرة، ويقوم بتدريس القرآن مدرّسات من النساء»⁽²⁾، وذكر في موقع آخر أنه يوجد في عنيزة أربع مدارس منها واحدة للبنات⁽³⁾، وكان ذلك في حدود عام 1298هـ/ 1880م⁽⁴⁾. وكانت تلك الكتاتيب الوسيلة الوحيدة لنشر

(1) آل بسام، عبد الله بن عبد الرحمن بن صالح، علماء نجد خلال ثمانية قرون، الرياض، دار العاصمة، ط2، 1419هـ ج1، ص 148.

(2) لوريمر، دليل الخليج، القسم الجغرافي، ج1، ص 414.

(3) السابق، القسم الجغرافي، ج1، ص 96-97.

(4) السلطان، الأحوال السياسية في القصيم، ص 364.

التعليم، واستمرت في أداء دورها التعليمي حتى بداية النصف الثاني من القرن الرابع عشر الهجري (بداية الثلث الثاني من القرن العشرين) حيث أخذت تظهر المدارس النظامية في المنطقة، وكان بعضها أهلياً في البداية ثم صارت حكومية فيما بعد⁽¹⁾.

2 - حلقات التعليم على المشايخ: وهي المرحلة التالية لمرحلة الكتاتيب، ويقوم بالتدريس فيها علماء أفاضل، أخذوا علمهم من مشايخ قبلهم أو سافروا خارج الجزيرة العربية لطلب العلم. وغالباً ما تُعقد تلك الحلقات في أحد جوانب المسجد الجامع الكبير في البلد، ويُطلق على طلاب هذه الحلقات (طلبة العلم)، وتتراوح مدة دراسة طالب العلم في هذه الحلقات بين أربع وست سنوات⁽²⁾، وتتركز الدراسة فيها على العلوم الشرعية واللغوية، فيخرج الطلبة منها ليكونوا قضاة، أو أئمة مساجد، أو خطباء، أو كتاباً⁽³⁾.

3 - الثقافة العامة: وتعتبر أحد المظاهر الثقافية، ويقصد بها اكتساب الشخص ثقافته وتنميتها بجهوده الشخصية، ويتمثل ذلك في قيام طالب العلم بالاستزادة من العلوم المختلفة بمفرده أو مع زميل له يتدارسان العلوم⁽⁴⁾. ومن المظاهر الثقافية عند أهل القصيم انتشار المكتبات المنزلية في بيوت بعض المثقفين، وهي مكتبات صغيرة ومحدودة،

(1) السابق، ص 366 - الجاسر، حمد، من ذكريات الرحلات، مجلة العرب، س 13، ج 5 و6، 1398هـ ص 328 - 331.

(2) أبو علي، عبد الفتاح حسن، الإصلاح الاجتماعي في عهد الملك عبد العزيز، الرياض، دار المريخ للنشر، 1418هـ / 1997م، ص 29.

(3) الدخيل، مجلة لغة العرب، السنة الأولى، ج 1، ص 25.

(4) السابق، ج 1، ص 25.

إلا أنها كانت تعتبر ذات أهمية تعليمية⁽¹⁾ لأهل المنزل ومعارفهم بما تحويه من كتب مختلفة في علوم متنوعة، ونتيجة لعدم وجود المطابع في نجد⁽²⁾ إلا في وقت متأخر، فقد كان طلبة العلم يلجؤون إلى نسخ الكتب، وقد وُجد أناس تفرغوا لهذا العمل وجعلوه مصدر رزقهم واستفادوا مادياً وثقافياً باطلاعهم وحفظهم لما يقومون بنسخه⁽³⁾. ولم يكن علم التاريخ أو السياسة بعيد عن حياة المثقفين أو طلبة العلم، فكانوا على اتصال مع البلدان المجاورة ليصلهم جديد العلم، وكانت تصلهم بعض الصحف والمجلات خصوصاً صحف بلاد الشام التي كانت تصدر حينذاك⁽⁴⁾.

4 - السفر لطلب العلم: كان من عادة طلاب العلم في عموم نجد السفر إلى البلدان المجاورة للتزود بالعلم والتفقه بالعلوم الشرعية، وازدادت هذه الرحلات بعد أن خلت كثير من المناطق النجدية من علمائها عقب سقوط الدرعية 1233هـ/ 1818م واضطراب أمر نجد، ما دفع بعض طلاب العلم للسفر خارجها لنهل العلم والعودة إلى الوطن لتولي مهامهم العلمية من تعليم، أو فتاوى، أو قضاء، وقد يتجه بعض الطلاب إلى السفر للتزود بالعلم بعد أن أخذوا من علماء منطقتهم، ورغبة منهم في رفع مستواهم الثقافي وفي تحصيل المزيد من العلوم لانفتاح البلدان المجاورة على العلوم المتنوعة وتقدمها في المجال الثقافي، فقد

(1) داوتي، ترحال في صحراء الجزيرة العربية، ج2، مجلد2، ص 166.

(2) السابق، ج 2، مجلد1، ص 67، دخلت المطبعة إلى الحجاز في العهد العثماني سنة 1882م/ 1300هـ ولم يكن هذا متيسراً في نجد (أبو علي، عبد الفتاح حسن، الإصلاح الاجتماعي في عهد الملك عبد العزيز، ص 29).

(3) آل بسام، عبد الله بن عبد الرحمن بن صالح، علماء نجد خلال ثمانية قرون، ترجمة عبد الله بن عايض، ج4، ص 188 - داوتي، ترحال في صحراء الجزيرة العربية، ج2، مجلد2، ص 45.

(4) داوتي، ترحال في صحراء الجزيرة العربية، ج2، مجلد2، ص 66.

قام علي الرشودي - وهو أحد العقيلات - بالاعتناء بتعليم ولده إبراهيم، فعلمه القراءة والكتابة، ثم سافر به إلى الشام حيث واصل تعليمه الأولي، وقرأ في الجامع الأموي⁽¹⁾.

ومن العلماء الذين رحلوا من نجد إلى الشام وبعض البلاد المجاورة للتزود بالعلم:

- الشيخ محمد بن إبراهيم السناني: رحل إلى الشام وقرأ على علمائها، وتوفي في عنيزة سنة 1269هـ / 1853م⁽²⁾.

- الشيخ سليمان بن علي مقبل: ولد في بلدة البصر سنة 1220هـ. طلب العلم عند عدد من المشايخ، وسافر إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج، فقرأ على علماء المسجد الحرام. سافر إلى الشام سنة 1241هـ، وجاور في المسجد الأموي بدمشق حيث قرأ على الشيخ حسن بن عمر الشطّي، مفتي الحنابلة، واستمر ملازمًا له قرابة عشر سنوات، فاستفاد منه فائدة عظيمة، وصار ينسخ بخطه بعض الكتب العلمية وكتب الحديث، كما يشتري المخطوطات ويقتبسها، ولما عاد من رحلته العلمية إلى القصيم سنة 1251هـ، أحضر معه حمل بعيرين من الكتب. وعندما رأى والده ما يحمله على البعيرين، قال: الله يخلف يا سليمان، الناس يأتون بالهدايا والتحف وأنت هداياك (قراطيس)، قال لوالده: يا أبا سليمان، لقد جئتك بالدنيا والدين. تولى القضاء سنة 1252هـ، وكان نزيها كريما ومثار إعجاب ومحبة الجميع، واستمر قاضيا حتى سنة 1291هـ، حيث عزل نفسه، وتوفي رحمه الله سنة 1306هـ⁽³⁾.

(1) العبودي، معجم أسر بريدة، ج7، ص 463.

(2) آل بسام، علماء نجد خلال ثمانية قرون، ج5، ص 472.

(3) المسلم، رجال من القصيم، ج7، ص 205.

- الشيخ علي بن محمد آل راشد: رحل إلى الزبير ودرس على علمائها وتولى قضاء عنيزة حتى توفي بها سنة 1303هـ/ 1886م⁽¹⁾.
- عبد العزيز محمد السناني: سافر لطلب العلم إلى دمشق وبغداد، وأخذ عن علمائهم، وتوفي في عنيزة عام 1327هـ/ 1909م⁽²⁾.
- الشيخ صالح بن عثمان القاضي: ولد عام 1282هـ/ 1865م، سافر إلى مصر ودرس في الأزهر، تولى قضاء عنيزة حتى توفي بها سنة 1351هـ/ 1932م⁽³⁾.
- عبد الله بن أحمد آل رواف: ولد سنة 1292هـ/ 1875م. سافر إلى دمشق وأخذ عن علمائها واغتتم إقامته فيها، فنسخ الكثير من كتب المكتبة الظاهرية، وصارت لديه أكبر مكتبة خاصة في نجد. قتل غدراً في عُمان سنة 1359هـ⁽⁴⁾.

(1) القاضي، محمد بن عثمان بن صالح، روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين، الرياض، دار الثلوثة، ط4، 1424هـ/ 2013م، ص 137 - 141.

(2) آل بسام، علماء نجد خلال ثمانية قرون، ج3، ص 573.

(3) السابق، ج2، ص 517.

(4) السابق، ج3، ص 28 - المعارك، إبراهيم عبد العزيز، أعلام القصيم، الرياض، ط1، 1415هـ ج1، ص 28.

لمحة عن الحياة الثقافية في سورية :

1 - شهدت دمشق خلال فترة حكم الأيوبيين (570 - 658هـ/ 1174 - 1260م) نهضة عمرانية وأدبية وعسكرية، ويُعدّ عصر نور الدين محمود زنكي الشهيد⁽¹⁾ بداية العصر الذهبي الثاني لدمشق بعد العصر الأموي، فقد قام نور الدين ببناء العديد من المدارس وترميمها⁽²⁾، أما في العصر المملوكي (658 - 923هـ/ 1260 - 1517م)، فقد ارتفع عدد المدارس، وأغلب هذه المدارس كانت لتعليم القرآن الكريم والحديث والفقه⁽³⁾، ولذلك تنامت العلوم والثقافات وأصبحت دمشق مقصدًا لطلاب العلم، ومن أسباب تنامي العلوم وازدياد عدد المدارس؛ ازدهار الوقف العلمي ومساهمة أهل المدينة بذلك بوقف بيوتهم بعد مماتهم لتكون مدارس علمية، كما خُصص من الأوقاف مبالغ مالية أُجريت على المدرّسين أو طلبة العلم، فكان لذلك أثره في ظهور الإبداعات والمؤلفات في الفنون المختلفة⁽⁴⁾.

2 - شهدت سورية خلال فترة الحكم المصري للشام (1247 - 1256هـ/ 1831 - 1840م) إصلاحات هامة في التعليم، وذلك بفضل

(1) نور الدين محمود زنكي (516 - 570هـ/ 1118 - 1174م) الملقب بالملك العادل؛ ولد في حلب، وانتقلت إليه إمارتها بعد وفاة أبيه أفسنقر، ضم دمشق إلى ملكه، وامتد ملكه حتى شمل أغلب مناطق سورية ومصر، حصّن قلاع الشام وبنى مدارس كثيرة منها العادلية ودار الحديث، وبنى المساجد والخانات في الطرق والخوانق للصوفية، سمي بالشهيد لأنه كان يتمنى أن يموت شهيدًا، مات بعلّة (الخوانيق) وقبره في المدرسة النورية (الزركلي، خير الدين، الأعلام، ج7، ص170).

(2) النعيمي الدمشقي، عبد القادر، الدارس في تاريخ المدارس، إعداد وتقديم: عماد محمد النهار، دمشق، وزارة الثقافة، الهيئة العامة السورية للكتاب، ط1، 2014، ص 9-10.

(3) السابق، ص 13.

(4) السابق، ص 16-19.

المدارس التي أنشأها إبراهيم باشا، وتطبيقه برنامجًا واسعًا للتعليم على نمط النظام الذي جرى تطبيقه في مصر⁽¹⁾.

اتجه النشاط إلى مجال التعليم منذ قدوم الحكم المصري، وبدأت دورة الحياة التعليمية بالمدارس الأولية - الكتاتيب - لتعليم الأطفال المسلمين ذكورًا وإناثًا القراءة والكتابة والقرآن الكريم، وانتشرت الأخطاط والمساجد والزوايا، وقام الأئمة بالتدريس فيها.

منذ سنة 1251هـ/ 1835م وُضعت خطة خاصة بإنشاء مدارس حكومية في المدن الرئيسة وفقًا للنظام المتبع في مصر، وهدفت الإدارة المصرية من إنشاء تلك المدارس إلى إعداد الشباب للأغراض الحربية، فوجدت العوائق إذ أحجم الأهالي عن إلحاق أبنائهم بها لخشيتهن من السلك العسكري. لكن ذلك لم يمنع أن أثبتت تلك المدارس نجاحًا ملحوظًا.

أنشئت مدرسة نظامية - كلية حكومية - في دمشق احتوت على ستمائة طالب مسلم، كما أنشئت مدرسة أخرى مماثلة في حلب ضمت بين أربعمئة وأربعمئة وخمسين طالبًا، وفدوا من المدن والقرى المجاورة. وتلقى الطلبة اللغات العربية والتركية والفارسية وآدابها، والرياضيات والتاريخ، بالإضافة إلى التدريبات العسكرية، وأُعطي الطالب الزي الرسمي، ومكافأة شهرية، وحصل على لقب (أفندي). وزاد الإقبال على تلك المدارس، وأعلنت الرغبة في أن يتعلموا ويدرسوا الفنون الحربية.

لم يكن في الشام خلال تلك الفترة مكاتب عامة أو مطبعة لطباعة

(1) عوض، عبد العزيز محمد، الإدارة العثمانية في ولاية سورية 1864 - 1914م، مصر، دار المعارف، 1969م، ص 252.

الكتب، فاعتمد في وجودها على جلبها من مصر، وقد شملت الكتب الواردة من مصر مختلف العلوم والآداب⁽¹⁾.

3 - خلال فترة الحكم العثماني (922 - 1336هـ/ 1516 - 1918م) لم يكن هناك تقدم في العلوم الثقافية لعدم اهتمام الدولة بالتعليم، حتى بدأ عصر التنظيمات، حيث شهدت سورية تطوراً فكرياً وثقافياً سريعاً.

بدأت سنوات الإصلاح (عصر التنظيمات) في بداية عهد السلطان عبد المجيد (1255 - 1277هـ/ 1839 - 1861م) من خلال منشور الكلخانة⁽²⁾، وخط همايون⁽³⁾؛ الذي صدر في جمادى الآخرة 1272هـ/ فبراير 1856م، حيث شهدت هذه السنوات توسعاً في التعليم.

وفي إنشاء المدارس⁽⁴⁾. وأصبح للدولة سياسة تعليمية ذات أهداف، فسنت الأنظمة اللازمة التي استهدفت تنظيم إدارة التعليم في الولايات، وصدر نظام توجيه الأوقاف في 1286هـ/ 1870م الذي نص على توجيه مناصب التدريس والإمامة على حساب الوقف⁽⁵⁾.

أما أنماط التعليم فكانت تدرج تحت ثلاثة أنواع:

- (1) السالم، الحكم المصري للشام، ص 208 - 209.
- (2) خط شريف كلخانة: نسبة لقصر كلخانة (قصر الزهور) الذي قرأ فيه مصطفى رشيد باشا فرمان السلطان عبد المجيد المشهور، والذي أعلن فيه رسمياً البدء بإجراء تغييرات جذرية في جميع مؤسسات الدولة، وعدم التفرقة بين المواطنين في الحقوق. (صابان، سهيل، الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية، 1421هـ/ 2000م، ص 101 - 102.
- (3) الخط الهمايوني (خطي همايون): الاسم العام الذي يطلق على الأوامر الصادرة من السلاطين، وكتابة أيديهم، أو ما حرره الكتاب، وأمضاه السلطان، ويسمى بالخط الشريف أيضاً. (المرجع السابق، صابان، ص 101).
- (4) عمر، تاريخ المشرق العربي، ص 274 - 279.
- (5) عرض، الإدارة العثمانية في ولاية سورية، ص 260.

أولاً - الكتابات: وهو نمط من التعليم قديم جداً، وتبدأ الدراسة في الكتابات في سن مبكرة، تتولى التعليم فيها في بعض الأحيان امرأة تُسمى «خوجة»⁽¹⁾، وتضم هذه الكتابات أحياناً أطفالاً من الجنسين. ولم تكن حجرة الدراسة سوى غرفة صغيرة يجلس فيها الأطفال على أثاث بسيط من الصباح حتى المساء، وكان الطالب يختم القرآن الكريم في هذه المرحلة، ويُجرى بهذه المناسبة احتفال خاص يتناسب والإمكانات المادية لعائلة الطالب⁽²⁾. ثم ينتقل الطالب إلى كتاب آخر أعلى مرحلة يتولى التعليم فيه شيخ (مثلاً) يتقاضى أجراً أسبوعياً - كل يوم خميس - ولذلك سُميت هذه الأجرة (خُميسية)⁽³⁾. أما مواد الدراسة فكانت: تعليم مبادئ القراءة والكتابة، وحفظ القرآن الكريم، والحساب.

ثانياً - المدارس الحكومية: نُظمت المدارس الحكومية بموجب نظام المعارف الصادر في 24 جمادى الأولى 1286هـ/ 1869م، حيث تم تقسيم الدراسة إلى خمس مراحل:

1 - المدارس الابتدائية: تتضمن الدراسة فيها العلوم الدينية والقراءة والكتابة والعلوم والجغرافيا والتاريخ.

2 - المدارس الرشدية: وتزيد مناهجها على المرحلة الابتدائية بإضافة اللغتين التركية والفارسية للاستعانة بهما في دروس الأدب العثماني.

3 - المدارس الإعدادية: ومناهجها متطورة عن المدارس الرشدية ويتعلم الطلبة فيها لغة أوروبية وهي اللغة الفرنسية.

(1) خوجة: كلمة تركية أصلها خواجه، واستُعملت لتدل على المعلمة. (ضناوي، سعدي، المعجم المفصل في المعرب والدخيل، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 2004م- 1424هـ ص 197.

(2) شوحان، أحمد، تاريخ دير الزور، دير الزور، مكتبة التراث، ط1، 1410هـ - 1989م، ص 225- 231.

(3) عوض، الإدارة العثمانية في ولاية سورية، ص 253.

4- المدارس السلطانية: والدراسة فيها قسمان (القسم العالي، والقسم المعتاد) وهذه المرحلة أعلى مراحل التعليم، أما مَنْ أراد متابعة دراسته فيلتحق بمدارس إستانبول.

5 - المدارس العالية: وتشمل دار المعلمين، دار المعلمات، دار الفنون، الصنائع المختلفة، وموقعها إستانبول⁽¹⁾.

ثالثاً: المدارس الخاصة:⁽²⁾ ويقصد بها المدارس التي كانت تؤسس من قبل الجمعيات أو الأفراد وهي قسمان:

1 - المدارس الوطنية: تنشئها الجمعيات الوطنية أو الأفراد من أبناء الوطن.

2 - المدارس التبشيرية: تنشئها الإرساليات الأجنبية، وهي قديمة ومتطورة.

من الملاحظ أن أنماط الدراسة التي تم ذكرها كانت مقتصرة على المدن الكبيرة مثل دمشق وحلب وحمص، أما باقي المدن والكثير من القرى فكان حظها ضئيلاً في التعليم، وكانت المدارس تعتمد في استمرارها على تبرعات المحسنين الذين أنشؤوها وحسبوا عليها الأوقاف الكافية.

مثال ذلك مدينة دير الزور التي كانت موهلاً للكثير من أسر العقيلات⁽³⁾، التي كان حظ التعليم فيها قليلاً وعلى مستوى الكتاتيب والمشايع إذ تم إنشاء أول مدرسة ابتدائية للذكور عام 1283هـ/ 1866م،

(1) السابق، ص 254-257.

(2) السابق، ص 263-269.

(3) السويداء، عقيلات الجبل، ص 161-163.

وبنيت فيها أول مدرسة للبنات في عام 1300هـ/ 1883م⁽¹⁾، ولم تعرف المدينة التعليم المتوسط أو الثانوي حتى الربع الثاني من القرن العشرين حيث تأسست أول مدرسة في عام 1343هـ/ 1925م إبان الاحتلال الفرنسي لسورية⁽²⁾.

ذكر الطنطاوي في ذكرياته⁽³⁾ بأنه كان مدرّساً في دير الزور سنة 1360هـ/ 1940م وكان من ضمن طلابه الشيخ جميل الحجيلان⁽⁴⁾ وزير الإعلام السابق.

يقول الطنطاوي: «لا أذكر من تلاميذي في هذه المدرسة أحداً لقصر مدتي فيها، فما أقمت في دير الزور إلا أشهراً معدودة، إلا أنني كنت مرة أسجل في جدة حديثاً للإذاعة وكان وزير الإعلام يومئذ فيها، وكان الوزير هو الشيخ جميل الحجيلان، فقابلته فرحب بي وأكرمني، وجعل يصفني

(1) الشاهين، مازن محمد فايز، أحداث خالدة في تاريخ دير الزور، دير الزور، ط1، 2007م، ص 28، 23.

(2) الشاهين، مازن محمد فايز، تاريخ محافظة دير الزور، دير الزور، دار صائب للنشر والتوزيع، ط1، 2008م، ص 505.

(3) الطنطاوي، ذكريات، ج 4، ص 158.

(4) جميل بن إبراهيم الحجيلان: ولد في مدينة دير الزور سنة 1347هـ/ 1929م، وقد كتب إبراهيم المسلم في ترجمته أنه من مواليد دمشق، أما الشيخ العبودي فيقول إنه من مواليد بريدة. لكن الصحيح والمؤكد بأنه مولود في دير الزور، كما أكد ذلك مؤرخ الإعلام السعودي الدكتور عبد الرحمن الشيبلي الذي عمل مع الشيخ جميل الحجيلان سنوات طويلة وتربط به صداقة قوية. تلقى الشيخ جميل تعليمه في دير الزور ودمشق وتخرج من كلية الحقوق بجامعة فؤاد الأول بالقاهرة سنة 1950م. تسلم عدة مناصب حكومية هامة. بدأ في وزارة الإعلام وتدرج في وظائفها حتى تم اختياره ليكون أول وزير للإعلام سنة 1382 - 1390هـ/ 1963 - 1970م، ثم كان وزيراً للصحة سنة 1390 - 1393هـ كما كان أول سفير للمملكة لدى الكويت سنة 1387هـ/ 1961م، ثم سفيراً للمملكة في ألمانيا وباريس، ثم أميناً عاماً لمجلس التعاون الخليجي. (المسلم، رجال من القصيم، ج 5، ص 50 - 52. العبودي، معجم أسر بريدة، ج 4، ص 53 - 55)

بأنني أستاذة، فأخذت ذلك على أنه تواضع منه وتكّرم وشكرته عليه، قال: لا بل كنت أستاذنا حقيقة، قلت: أين ومتى؟ قال: في دير الزور سنة 1940م، ثم ذهب يقرأ عليّ بعض ما كنت أشرحه من قصائد ومقطوعات في درس الأدب العربي⁽¹⁾.

المعرفة عند العقيلات:

تمكن العقيلات من تحصيل قدر من الثقافة في حدود المعارف التي تجاري وقتهم، والتي كانت سائدة آنذاك، كدرس القرآن الكريم، وبعض العلوم الشرعية، ونظرًا لاحتكاكهم بسكان الحواضر الكبرى في الأقطار التي يرتادونها للتجارة أو العمل، تمكن بعضهم من الاستفادة من الثقافات العامة، فاستطاعوا التعامل مع أولئك الأقوام الذين احتكوا بهم، فتمكنوا من تعلّم اللغات المختلفة - في حدود المحادثة، ومتطلبات الأعمال - أو اللهجات المحلية الدارجة، فكانت هذه الحصيلة كافية لأن يتفاوض التاجر العقيلي مع التجار الآخرين بلغتهم ولهجتهم، سواء في مجال التجارة أو النقل العام أو نقل الحجاج، فتعلموا على قدر المفاهمة لغة حجاج السند والهند وفارس القادمين إلى الجزيرة العربية عن طريق البر، والذين يمرون عبر العراق مع طريق الحجّ البصري أو الكوفي الذي يمرّ بحائل أو القصيم. كما اكتسب العقيلات الذين عملوا مع الحكام العثمانيين اللغة التركية وأتقنوها أثناء عملهم معهم والذي استمر طويلاً في البلاد العربية، وقد أتقن الكثير منهم هذه اللغة تحدثًا وربما كتابةً بحكم عمله.

وربما كان وجود بعض الكلمات الفارسية والتركية في اللهجة

(1) الطنطاوي، ذكريات، ج4، ص158.

النجدية ما جلبه العقيلات معهم من تلك الأقطار⁽¹⁾، ومثال ذلك من اللغة الفارسية: «الدروازة، والدريشة، وخوش، وخوب، وخوب دري»⁽²⁾ ومن اللغة التركية: «التفق، والتفاق، والقهوجي، والسفرجي»⁽³⁾، وغير هذه الكلمات كثير، ولم يكن ذلك على حساب لغتهم العربية، أو لهجاتهم المحلية، فكانوا يصطحبون معهم شيوفاً يؤمونهم في الصلاة، ويقرؤون عليهم القرآن والحديث، ويرشدونهم في أمور دينهم، ويفتونهم في الأمور الشرعية، ويحلون شؤونهم القضائية وفق الشريعة الإسلامية، وكان الكتاب رفيق بعضهم في السفر، ليقرؤوا أثناء استراحاتهم الطويلة، أو على ظهر المطية.

وعلى الرغم من أن طباعة الكتب لم تكن منتشرة في ذلك الوقت إلا أنهم كانوا يعتمدون على ما يُطبع في المدن التي يرتادونها، بالإضافة لما يشترونه من مخطوطات من وراقي دمشق أو بغداد أو القاهرة، ولا شك أن تداولهم للكتاب كان فيه منفعة بعيدة المدى لنقل الثقافات إلى موطنهم عن طريق استجلاب هذه الكتب أو وسائل الثقيف الأخرى، كالمجلات والجرائد⁽⁴⁾.

كان العقيلات على درجة مقبولة من الثقافة العامة مقارنة مع غيرهم

(1) السويداء، عقيلات الجبل، ص: 211 - 212 - الدخيل، سليمان، مجلة لغة العرب، السنة الأولى، ج1، ص 24.

(2) ومعناها: البوابة أو بداية الدرب، والشباك، ولذيذ أو طيب، وجيد، وجيد جداً. (شبر، السيد أدي، الألفاظ الفارسية المعربة، القاهرة، دار العرب، ط2، 1987، ص 62، 54).

(3) ومعناها: البندقية أو الذخيرة، والرامي، وعامل القهوة، والذي يقدم الطعام. (الجنيدل، سعد بن عبد الله، معجم التراث، السلاح، دار الملك عبد العزيز، 1417، ص 105، 56 - صابان، سهيل، المعجم الموسوعي للمصطلحات العشائية، ص 180).

(4) داوتي، ترحال في صحراء الجزيرة العربية، ج2، مجلد2، ص 166.

من أبناء موطنهم بحكم احتكاكهم بالآخرين في الأقطار العربية من ذوي الثقافات المختلفة بالرغم من عدم ظهور مثقف بارز - من الرعيل الأول - أو شاعر بالفصحى، أما شعرهم العامي وهو المعروف بالشعر النبطي فكثير⁽¹⁾. وفي حياة العقيلات ورجالاتهم الكثير من الشعراء، مثل الشاعر علي بن محمد الحميدة⁽²⁾، والشاعر محمد بن سليمان الضعير⁽³⁾، والشاعر عطا الله الخزيم⁽⁴⁾ والشاعر فهد الشريدة⁽⁵⁾. إضافة إلى ذلك، ساهم ميسورو الحال من العقيلات بنشر العلم، كما فعل عيسى بن رميح الرميح⁽⁶⁾، فهو أول من طبع كتاباً علمياً على نفقته، ووزع نسخه على أهل بريدة من طلبة العلم مجاناً حيث جعله وقفاً لله تعالى ويعرف بـ (مجموع ابن رميح) وهو كتاب مفيد لا يطبع مثله إلا طالب علم أو محب

(1) الشعر النبطي: يُطلق هذا المسمى على الشعر الذي يتناقله جمهور الناس من العامة، والخاصة، وينظمونه باللهجة العامية، وقد نزح هذا الفن الشعري مع من نزح من القبائل العربية من الجزيرة العربية لتستقر في بلاد الشام والرافدين، أما أوزانه فلا تأتي ضمن أوزان الشعر العربي الفصيح، وله أوزان خاصة ومتعددة. (الصويان، سعد عبد الله، الشعر النبطي وجذوره الفصيحة، الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية، ط1، 1421هـ ص 67. - الظاهري، أبو عبد الرحمن بن عقيل، الشعر النبطي؛ أوزان الشعر العامي، الرياض، مازن للطباعة، 1412هـ ص 132).

(2) علي بن محمد بن أحمد الحميدة: تقدّمت ترجمته.

(3) محمد بن سليمان بن عبد العزيز الضعير: بإسكان الصاد فعين مفتوحة فياء مشددة، من أهل بريدة، شعره حماسي، وهو ما يسمى شعر العريضة، وقد طرق أكثر بحور هذا الشعر، توفي في ربيع الأول 1326هـ. (العبودي، معجم أسر بريدة، ج12، ص 153 - 168 - المسلم، رجال من القصيم، ج5، ص 208).

(4) المسلم، العقيلات، ص 303 - رجال من القصيم، ج5، ص 195.

(5) فهد بن عبد الرحمن الشريدة: كان والده غنياً يَضَع العقيلات، أي يعطيهم مالا يستثمرونه، اشتهر بالشجاعة والإقدام والكرم ما أهله أن يكون أميراً على عدد من القوافل. نظم الشعر في شبابه (العبودي، معجم أسر بريدة، ج11، ص 161 - 167).

(6) عيسى الرميح: تقدّمت ترجمته.

للعلماء⁽¹⁾، كما قام بعضهم بالاعتناء بأبنائهم ودفعهم للتعليم ومواصلة التعليم في الشام، كما فعل علي الرشودي مع ولده إبراهيم⁽²⁾.

التحصيل العلمي عند العقيلات:

عندما استوطن العقيلات ربوع البلاد التي عملوا بالتجارة فيها مثل سورية، تواصلوا مع أهلها وتعاملوا معهم في الأمور التجارية غير غافلين عن العلوم المعروفة والمتداولة في تلك البلاد، كما اعتنوا بالتاريخ، وزاولوا الأعمال السياسية، بحكم اجتماعاتهم وجلساتهم ومجتمعهم الذي بنوه في تلك الأصقاع⁽³⁾. وأخذوا يدفعون بأولادهم للتعليم في مدارس سورية التي كانت منتشرة في تلك الفترة⁽⁴⁾، فحصل الأبناء على مستويات جيدة من الدراسة، ونال بعضهم الشهادات العليا، فكان منهم الطبيب والمهندس والشاعر والأديب، كما انخرطوا في السياسة فكان منهم السفراء، وشاركوا في الحياة الخاصة والعامة في سورية فتدرجوا في الوظائف والأعمال المختلفة لتلك البلاد.

كان لبعض الأسر بروز متميز في الثقافة أو في التكوين الاجتماعي، فحصل الأبناء على الشهادات العليا والثقافات العالية، فدمشق كانت تقطعها عائلات كثيرة من النجديين العقيلات⁽⁵⁾، منهم الرواف والنجيدي والرميح والعصيمي، وكان يسكنها كذلك عبد الله الحليسي، التاجر

(1) العبودي، معجم أسر بريدة، ج 8، ص 186.

(2) السابق، ج 7، ص 463.

(3) الدخيل، مجلة لغة العرب، السنة الأولى، ج 1، ص 24.

(4) الرواف، صفحات مطوية من تاريخنا العربي الحديث، ص 44.

(5) الطنطاوي، ذكريات، ج 1، ص 206، ج 3، ص 55.

المحترم وصاحب المواقف الجليلة في الكرم، ونفر من آل الشبل، والردي وأسرة أبا الخيل والكحيمي والشعبي. وكان لأسرة البسام حضور قوي في الشأن الثقافي، والسياسي والاجتماعي⁽¹⁾، فسمي شارع من شوارع دمشق باسمها⁽²⁾، كما سُميت منطقة باسم الشعلان - وهم أمراء قبيلة الرولة - وما زالت هذه الأسماء قائمة حتى الوقت الحاضر.

ومن العقيلات الذين تمكنوا من التحصيل العلمي بسورية وتسنموا مراكز هامة في المجتمع:

- عبد الله بن عبد العزيز الحليسي: ولد في بريدة سنة 1291هـ/ 1874م، كان يسكن الصالحية، إحدى ضواحي دمشق. قضى زهرة شبابه وكهولته في دمشق حتى توفاه الله فيها سنة 1358هـ/ 1939م. كان يعمل في تجارة الإبل مع العقيلات، وجمع ثروته من هذه التجارة. كان كريماً، ساهم في أعمال الخير وبناء المساجد في دمشق⁽³⁾.

- حمود بن عبد الله بن حمود النجدي: من عقيلات سورية المعروفين، كان يلقب بأبي شكر، لكثرة شكره لله تعالى. ولد بالقرعاء سنة 1293هـ/ 1876م، سافر في أولى رحلاته مع العقيلات سنة 1327هـ/ 1909م، وفقه الله بتجارته، سكن قسم من أسرة النجدي في حي الميدان بدمشق، وتعلموا في مدارسها⁽⁴⁾.

- ماضي بن عبد الرحمن بن عبد العزيز الخميس: ولد في قرية القصيبة إحدى قرى بريدة سنة 1311هـ/ 1894م، ودرس على علمائها،

(1) لينكة، دوروتيا فون، رحلة إلى المدينة المنورة عبر قلب البادية، ص 49.

(2) أسرة البسام، ملحق رقم (4).

(3) المسلم، رجال من القصيم، ج 1، ص 129.

(4) الطويان، رجال في الذاكرة، ج 3، ص 137.

وحفظ ما تيسر له من القرآن الكريم والأحاديث وعلوم الفقه والتوحيد. بدأ مبكراً في أعمال التجارة، فعمل في تجهيزات الإبل والخيول، مثل الأشدة والموارك والأرسان، ونحو ذلك. سافر مع العقيلات، وكان فطناً لمستقبل البلاد الزراعي، لذا حول معظم تجارته إلى استيراد المكائن الزراعية من الشام. وفي سنة 1381هـ/ 1961م انتقل هذا المكافح إلى جوار ربه⁽¹⁾.

- خليل بن إبراهيم بن محمد الرواف⁽²⁾: كان والده المتوفى سنة 1346هـ/ 1927م قد تزوج من أسرة شامية من حي الميدان في دمشق الشهير بالمقيمين النجديين. وُلد (خليل) في حي الميدان سنة 1314هـ/ 1896م. تلقى تعليمه الابتدائي والثانوي في دمشق، ودرس الفقه والحديث على العلامة محمد بهجة البيطار، كما درس الإنكليزية على أساتذة مختصين. قضى فترة ريعان شبابه في تجارة العقيلات والتجوال في جزيرة العرب وبلاد الشام والعراق، التي امتدت من حدود سنة 1335هـ/ 1917م حتى سنة 1354هـ/ 1935م⁽³⁾. أرسله والده إلى مدينة بريدة عندما كان عمره اثني عشر عاماً، مع قافلة العقيلات المسافرة من الشام إلى القصيم عن طريق العراق وكانت تضم أكثر من مائة وخمسين تاجرًا، أميرهم عمه محمد بن أحمد الرواف. وقد اتخذت القافلة طريقها من حلب إلى الجزيرة بالعراق

(1) السابق، ج1، ص 182.

(2) جده (محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد الرواف). غادر نجد في سنة 1230هـ/ 1815م تقريباً وتزوج بدمشق، وولد له إبراهيم وعمر. وهو الثاني من الرواف من أهالي بريدة الذين اشتغلوا مع العقيلات بين بغداد والشام وقبله محمد بن عبد الرحمن بن محمد الذي سافر إلى العراق في أواخر القرن الثاني عشر الهجري وسكن بغداد، وله وقف لا يزال يعرف باسم وقف الرواف، وحديقة الرواف كانت معروفة ببغداد. وإبراهيم بن محمد هذا كان يُعرف بأمر الحج في قافلة الحج الشامي. (العبودي، معجم أسر بريدة، ج8، ص 210).

(3) العبودي، معجم أسر بريدة، ج8، ص 224.

ثم الخروج من النجف، لأن الطريق من الشام إلى القصيم مرورًا بالحماة ووادي السرحان - الجوف - حائل، كان محفوفًا بالمخاطر، بسبب الحروب التي كانت قائمة بين آل سعود وآل رشيد. وبعد الحرب العالمية الأولى استقر خليل الرواف في مدينة معان (جنوب الأردن) التي غدت محطة القوافل النجدية لتجارة الإبل والخيول والأغنام، والانطلاق بها إلى مصر وفلسطين. كما يأتي تجار هذه البلاد إليها لشراء المواشي. وقد بدأت هذه المدينة تزدهر بسبب ظروف الثورة السورية ضد الفرنسيين التي دفعت تجار العقيلات الذين كانوا يتاجرون مع سورية إلى تحويل تجارتهم إلى فلسطين ومصر مارّين بمدينة معان، وكان خط حديد الحجاز ينتهي في ذلك الوقت فيها بعد تعطيل الجزء الحجازي منه إبان الحرب العالمية الأولى؛ فكان - خليل - وكيلاً فيها لعدد من العقيلات والتجار النجديين، يهتم بشؤونهم ويدفع الرسوم نيابة عنهم ويبيع ماشيتهم ويرسل لهم أثمانها، ويتابع لهم ما يرغبون من بضاعة. وعندما استقرت الأحوال، وعادت القوافل التجارية إلى طرقها، رجع خليل إلى دمشق واستقر فيها بعض الوقت، حيث عمل بالتجارة وانشغل بالبحث عن أملاك الأسرة في الشام والعراق. واقرن في نهاية هذه الفترة بزوجه الأولى (الأميركية) التي شجعته على الهجرة إلى أميركا. أتيح له أن يقوم بخدمات لجلالة الملك عبد العزيز ويتعرف عليه عن قرب، وشمل جلالته هذه الأسرة بعطفه، فعين أخوي خليل؛ ياسين ومحمد عيد في مناصب هامة. نشر العديد من المقالات في الصحف والمجلات، وارتبط بعلاقات صداقة مع عدد من الأمراء السعوديين، وكان مترجمًا للملك فيصل بن عبد العزيز وعدد من الأمراء⁽¹⁾.

(1) المسلم، رجال من القصيم، ج 1، ص 85 - العبودي، معجم أسر بريدة، ج 8، ص 227 - 228 - الرواف، صفحات مطوية من تاريخنا العربي الحديث، ص 133.

- صالح عبد الكريم الطويان: واحد من كبار العقيلات، ولد بمدينة بريدة سنة 1317هـ / 1899م، وتعلم القراءة والكتابة على يد علمائها. سافر إلى الشام في بداية شبابه ودرس هناك لوجود أخيه (سالم) مقيمًا بدمشق، وكانت لهم دار كبيرة معروفة بالميدان. استفاد من دراسته في الشام. رجع إلى بريدة ودرس علوم الدين على يد المرحوم الشيخ إبراهيم بن جاسر. كان ولوعًا بالقراءة والإطلاع على كل جديد من الكتب، ملماً بمعظم العلوم، توفي في سنة 1409 هـ / 1989م بعد صراع مع المرض⁽¹⁾.

- عبد الله بن علي الربدي: ولد في دمشق سنة 1325هـ / 1907م، وتعلم في مدارسها، انتقل إلى بريدة وعمل في إدارة اللاسلكي، وكانت رغبته في العمل التجاري فاشترك مع أقاربه من الرباداة في تجارة المواشي مع العقيلات⁽²⁾.

- (طامي) واسمه الحقيقي / عبد الله بن سليمان العويد: ولد في بريدة سنة 1343هـ / 1925م، ولما قارب البلوغ شدّ الرحال مع العقيلات، وسافر مع حملاتهم، ولما وصل الشام كان الجيش الفرنسي يجند القادمين إلى الشام ويدربهم، ويصرف لهم رواتب مجزية، فانخرط طامي في صفوف الجيش وقتًا طويلاً، وفيه تعلم شيئاً من مبادئ اللاسلكي، وبعد أن انفك من الجيش استقر في دمشق ومارس بعض الصناعات الخفيفة، وعاد لبلاده ومارس الصناعة الهندسية. أنشأ إذاعة بسيطة كانت تبث برامجها على موجة قصيرة، انتهت بمباشرة البث الرسمي⁽³⁾.

(1) الطويان، رجال في الذاكرة، ج1، ص 91.

(2) المسلم، رجال من القصيم، ج1، ص 69.

(3) الطويان، رجال في الذاكرة، ج3، ص 137.

- فيصل بن عبد العزيز الحجيلان: ولد في دمشق سنة 1358هـ / 1939م. تلقى تعليمه الابتدائي والثانوي في مدارس دمشق، وأكمل دراسته الجامعية في مصر. تسلم عدة مناصب حكومية هامة، منها وزارة الصحة⁽¹⁾.

أبناء العقيلات في المجتمع:

من أبناء العقيلات في دمشق من أصبح من التجار المرموقين، مثل أبناء محمد العصيمي وحمد القاضي والمنيف والكحيمي وغيرهم، ومنهم من اعتلى الوظائف الدبلوماسية والحكومية، فقد تقلد محمد عيد وياسين الرواف، منصبي قنصل معتمد المملكة العربية السعودية في سورية ولبنان أثناء الانتداب الفرنسي، وتسم محمد عيد منصب وزير مفوض في بغداد أثناء الحكم الهاشمي، ومنصب قائم مقام جدة، وعُيّن ياسين الرواف حاكمًا إداريًا للمدينة ومعاونًا للأمير فيصل بن عبد العزيز عندما كان نائبًا لوالده الملك عبد العزيز، رحمهما الله، في الحجاز، وكان لعدد آخر من أسرة الرواف شأنٌ سام، فكان منهم السفير أو القائم بأعمال السفارة بدمشق، أو الأستاذ الجامعي والكثير من المناصب الأخرى⁽²⁾.

ومن العقيلات في دمشق كذلك الشيخ عبد العزيز الكحيمي سفير المملكة سابقًا في الأردن ولبنان والعراق، والشيخ أحمد محمود الكحيمي الذي عمل سفيرًا للمملكة في الأردن والعراق وسورية، وعبد العزيز إبراهيم النجدي، وكان سافر بصحبة والده مع العقيلات وعمره عشر سنوات. وعندما استقر في المملكة عمل في السلك الحكومي⁽³⁾،

(1) المسلم، رجال من القصيم، ج5، ص 29.

(2) الرواف، صفحات مطوية من تاريخنا العربي الحديث، ص 27 - 30.

(3) عبد العزيز بن إبراهيم بن عبد الله النجدي، ولد سنة 1350هـ عمل موظفًا في السلك =

وشقيقه محمد الذي كان يشغل وظيفة وكيل إمارة الحدود الشمالية. ومن العقيلات أيضًا الشيخ جميل بن إبراهيم الحجيلان وزير الإعلام السعودي السابق وهو من عائلة الحجيلان من بريدة⁽¹⁾، كما ينحدر المذيع الذي كان يعمل في وزارة الإعلام السعودية، ماجد الشبل، من عائلة الشبل النجدية التي كانت مقيمة في دمشق⁽²⁾، ومنهم أسرة المالك العنزبة. وكان عبد العزيز باشا المالك، أحد أمراء العقيلات⁽³⁾، يمتلك العديد من المحال التجارية في دمشق. ولم يتوقف الاكتساب الثقافي بين العقيلات وأهل سورية على دمشق فقط، بل امتد إلى باقي الأماكن التي تواجد فيها العقيلات، ففي دير الزور كان لبعض الأسر النجدية التي استقرت فيها مثل أسرة التويجري، الفهّاد، الخضير، العميم، الصعب المطلق، السلامة، الجربوع، العمرو، الخويلدي، الحجيلان، الرشيد، المفلح، العثمان، الراجح، المزيّد، والدسيماي؛ حضور ثقافي، واكتسب الأبناء الشهادات العليا في العلوم المختلفة، وعملوا في التجارة والوظائف الحكومية.

وعندما عاد أبناء العقيلات إلى ربوع الوطن للعيش بين جناباته مع أهلهم وذويهم كان قسم كبير منهم يحملون الشهادات الدراسية المختلفة، فعملوا في الوظائف الحكومية موظفين، ومدرسين ومعلمين في سلك التعليم، واندمجوا في مجتمعهم⁽⁴⁾.

= الحكومي بمنطقة الحدود الشمالية، لمدة خمس وعشرين سنة، صدر له ديوان شعر النجديات بتاريخ 1424هـ وديوان شعر الأوفياء بتاريخ 1430هـ (الطويان، رجال في الذاكرة، ج3، ص 35- مقابلة النجدي، ملحق رقم (1).

(1) جميل الحجيلان: تقدمت ترجمته - الطنطاوي، ذكريات، ج4، ص 158 - المسلم، رجال من القصيم، ج5، ص 50 - 52

(2) الرواف، صفحات مطوية من تاريخنا العربي الحديث، ص 30.

(3) مذكرات ناصر عبد العزيز باشا المالك العنزي، ملحق رقم (2).

(4) مقابلة النجدي، ملحق رقم (1).

خصائص العقيلات:

يقول لورنس عندما كان برفقة الأمير فيصل بن الحسين⁽¹⁾ في سورية عام 1917م ملخّصاً بعض الصفات التي كان يمتاز بها العقيلات: «كان رجال عقيل أولئك من سكان المدن، من عنيزة وبريدة أو الرس، من الذين تعاقدوا للخدمة في الجيش النظامي كهجّانة لمدة سنة، كانوا شباباً صغاراً تبلغ أعمارهم ما بين السادسة عشرة والخامسة والعشرين سنة. وهم أتباع لطيفو المعشر، ذوو عيون كبيرة مشرقة، قليلو التعليم، متحررون، أذكاء، ورفقتهم جيدة في الطريق. ونادراً ما يكون بينهم ثقيل الدم». ثم يقول: «إن هؤلاء الشبان يظنون رائعي المظهر ووسيمين، ويتحدثون لغة عربية دقيقة ومرنة، وكانوا متألقين في سلوكهم وعاداتهم وطاعتهم وتعقلهم الفكري جعلهم يعتنون بأنفسهم وبسadtهم من دون تعليمات متكررة. مارسوا مهنة الاعتناء بالجمال منذ طفولتهم، وبالتالي كانوا يتجولون بالجمال، مثلهم مثل البدو، في حين أن النعومة المتأصلة في طبيعتهم جعلتهم طيّعين مُتسامحين إزاء القسوة والعقاب الجسدي اللذين يُعتبران في الشرق كنوع من التهذيب. ومع ذلك لديهم طبيعة الجنود ويقاتلون بشجاعة وروية مستخدمين عقولهم عندما يُقادون بشكل مألوف⁽²⁾. وقد امتاز العقيلات بعدة خصائص لعل أهمها:

(1) فيصل بن الحسين بن علي الهاشمي (1300 - 1352 هـ / 1883 - 1933 م) أبو غازي، ملك العراق، ولد في الطائف وترعرع في بادية الحجاز، دخل سورية سنة 1918 م / محرم 1337 هـ بعد جلاء العثمانيين، سافر إلى باريس وعاد إلى دمشق 1920 م / 1338 هـ فنودي به ملكاً دستورياً، وبعد وقعة ميلسون 24 / 7 / 1920 م احتل الجيش الفرنسي سورية، رحل إلى أوروبا، وتم ترشيحه لعرش العراق 1921 م / 1339 هـ عمل بعض الإصلاحات، وأصلح ما بين العراق وجيرانه، قصد سويسرة للاستجمام فتوفي بالسكتة القلبية في عاصمتها، برن (الزركلي، الأعلام، ج5، ص 165 - 166).

(2) لورنس، أعمدة الحكمة السبعة، ص 173 - 174.

1- الشجاعة:

كان العقيلات يتمتعون بقسط وافر من الشجاعة، وهو أمر فرضته عليهم رحلاتهم في مجاهل الصحراء، واحتكاكهم بالقبائل التي يمرون بها، والمشاكل التي تعترضهم في الطريق، فاكسبوا القوة والصلابة وثبات الجأش والإقدام لما قد يعترضهم أو يُعرض قوافلهم وأموالهم للخطر من الطامعين أو قطاع الطرق، فاخترقوا الصحارى الشاسعة بما فيها من المخاطر والمشاق والمتاعب والعوائق الطبيعية التي تصادفهم في الطريق، سواء كانت حرارة الشمس المهلكة أو غبار العواصف الرملية أو السيول الجارفة، وأحياناً كانت تصادفهم ضواري تلك المفازات الموحشة فيخترقونها بقلوب ثابتة الجنان وصولاً إلى الغاية التي يرتجونها. ولم تقتصر شجاعتهم على تحمل كوارث الطريق فقط، بل تمثلت بمواجهة ذوي السلطة في الصحراء كشيخ القبائل، أو المعترضين طريقهم كقطاع الطرق. وقد حفظت لنا الكتب الكثير من قصصهم وتجاربهم في تلك الخصلة⁽¹⁾، كما حفظت أسماء الذين تحلوا منهم بالشجاعة والإقدام، ومنهم حمود الشريدة، فهد محمد النصار⁽²⁾، إبراهيم بن علي الرشودي⁽³⁾،

(1) المسلم، العقيلات، ص 257 - 262. مذكرات ناصر عبد العزيز المالك العنزي، ملحق رقم (2).

(2) فهد محمد النصار من تجار عقيل الذين يذهبون إلى الشام ومصر في تجارة المواشي، كان شجاعاً وحضر عدة وقعات حربية، ثم صار صاحب دكان في جردة بريدة، صار مؤذناً في مسجد الأمير ابن مساعد شمال بريدة، كان من المعمرين، توفي عن 97 سنة في 5 شعبان 1392هـ. (العبودي، معجم أسر بريدة، ج 22، ص 59).

(3) إبراهيم بن علي الرشودي 1285 - 1364هـ: اعتنى والده بتعليمه فتعلم القراءة والكتابة، وواصل تعليمه الأولي في الشام، وقرأ في الأموي. سافر مع عقيل بالتجارة برفقة شقيقه فهد. كان إبراهيم معروفاً بالشجاعة والكرم، وله مواقف مع الملك عبد العزيز حيث شارك معه بنفسه وماله بعدد من المواقع الحربية، في البكيرية والشنانة وجراب. (العبودي، معجم أسر بريدة، ج 7، ص 463).

صالح بن سليمان المطوع⁽¹⁾، وغيرهم كثيرون.

2- الكرم:

الكرم خصلة من الخصال الحميدة التي فرضتها الصحراء على مرتاديها، وكان الكرم أحد أهم الخصال التي تمتع بها العقيلات، فبرز عدد منهم نالوا الشهرة الواسعة في كرمهم، منهم عيسى بن رميح الرميح - أحد أمراء العقيلات - فقد كان إذا خرج على رأس القافلة مهما كان عددها، نادى المنادي بأن (المضيف) مفتوح وغير مسموح لأحد بأن يوقد ناراً⁽²⁾. كما اشتهر بالكرم محمد بن عبد الرحمن الشريدة، وكان إذا سافر إلى الشام ومصر حرص رجال العقيلات على أن يرافقه، فمثله الذي يحتاجون لمساعدته في أمور كثيرة⁽³⁾.

اشتهر كذلك بالكرم، محمد العبد الله البسام - من أمراء العقيلات - وكان يوماً ما زاً بحائل إبان حكم محمد بن عبد الله بن رشيد، فذهب للسلام عليه، وبدأ ابن رشيد يداعب ابن بسام قائلاً: يا محمد أنت (تدور حكم) في كرمك وعطاياك، فأجابه قائلاً: يا طويل العمر الحكم يبي أهله، وأنا رجل تاجر أدور المكسب، ولما تربح تجارتي العشر عشرين نجود من فضله على الناس، وهذا مكسبنا من التجارة، ما ندور حكم إلا دعاية

(1) صالح سليمان إبراهيم المطوع: كان من مشاهير تجار عقيل ووجهائها بل من وجهاء بريدة، كما كان والده كذلك يتاجر بالخيول إلى الشام، وكان أبناؤه كذلك من رجال عقيل، توفي عام 1360هـ وله قصص تروى في الشجاعة والإقدام (العبودي، معجم أسر بريدة، ج 20، ص 404-408).

(2) المسلم، العقيلات، ص: 233 - العبودي، محمد بن ناصر، معجم أسر بريدة، ج 8، ص 181-186.

(3) قتله الحويطات سنة 1349هـ قرب الأردن متجهين إلى القصيم، وكان معه عدد من العقيلات، وقد بكاه رفاقه من العقيلات. (العبودي، معجم أسر بريدة، ج 11، ص 136).

لبلدنا وسمعته⁽¹⁾.

أما حمود البراك⁽²⁾، فيُروى بأن وباءً حصل في الشام عام 1922م/ 1340هـ أصاب الكثير من الناس وأصيب ثمانون شخصاً من العقيلات، فخاف حمود عليهم، فما كان منه إلا أن ذهب إلى أحد النجارين، وطلب إليه أن يعمل (كوايج) هواذج عددها أربعون، واشترى خمسين جملاً ووضع الهواذج على أربعين منها، وحمل كل شخصين على جمل، وجهاز باقي الإبل بالأمتعة والطعام، وخرج بهم من الشام إلى بلادهم يعولهم وهم مرضى، وما إن خرجوا إلى الصحراء وتنسموا هواءها العليل، حتى رفع الله عنهم الوباء، وعند ذلك أوقدوا بالهواذج، وركبوا الجمال عائدين إلى بلادهم شاكرين للبراك كرمه وسجاياه⁽³⁾.

3- الأمانة :

تعتبر الأمانة صفة بارزة لدى العقيلات وركيزة هامة من الركائز التي تقوم عليها عملياتهم التجارية الناجحة، فالعقيلي بحكم عمله في التجارة والنقل تمثل الأمانة لديه أحد عوامل نجاحه الرئيسية، إذ إنه يتعامل مع مختلف الطبقات من التجار والمواطنين، ولما لم تكن الكتابة والتدوين منتشرين في ذلك الوقت بدرجة كافية فإن أي تعامل تجاري يجب أن يتسم بالأمانة، وكان أبناء البلد يعطون التاجر العقيلي مبلغاً من المال إما ليتاجر به مع تجارته أو ليحضر لهم شيئاً معيناً يرغبونه من البلاد التي يتاجر معها

(1) المسلم، العقيلات، ص 234.

(2) حمود بن براك بن حمود الخريف العقيل البريدي، كان من كبار عقيل، اشتهر بالكرم والعطف على الفقراء، توفي عام 1352هـ (العبودي، معجم أسر بريدة، ج3، ص 97).

(3) المسلم، العقيلات، ص 234 - 235.

العقلي. وقد يكون في صندوقه الذي يحمل فيه مالا، أموالاً للعديد من أبناء بلدته، وكل شخص يودع ماله في صرة أو بدرة (كيس المال) لوحده، يتم معرفتها إما بكتابة الاسم عليها أو بعلامة مميزة، فيقوم العقيلي بإحضار ما يرغبون بكل أمانة، وقد شهد للعقيلات بالأمانة كل من رافقهم في رحلاتهم من مختلف الأجناس. وحكايات أمانة العقيلات كثيرة جداً، وتعتبر نماذج شاهدة حية تؤكد هذا التعامل الفريد لهذه الجماعة. ومن ذلك ما نقله إبراهيم الراشد الحميد⁽¹⁾ - وهو من كبار العقيلات - بقوله: كنا في بغداد نودع لدى الصرافين الدينار الورق، ونستبدله بجنيهاً ذهبية، وكان (البدو) لا يقبلون من الذهب إلا الجديد فيقوم الصراف بفتح أكياس الذهب في متجره، ويتركنا الساعة والساعتين نفرز ما نحتاجه من الذهب، ونعيبه في أكياس، ولم يكن الصراف معنا بل يتركنا لأمانتنا وضميرنا⁽²⁾.

4- معرفة الدروب:

اعتمد العقيلات الأوائل في أسفارهم على رجل كان يُطلق عليه اسم (الدليلة) كانت تتوفر لديه المعرفة والخبرة في الدروب ومجاهل الصحراء. يختارونه ليسير في مقدمة القافلة يدلهم على الطريق خاصة في الصحراء التي لا توجد فيها معالم واضحة، أو في رمال النفود التي تنعدم فيها الجبال والتلال الصخرية، خاصة في السرى ليلاً عندما تكون السماء ملبدة بالغيوم، أو يكون هناك غبار وعواصف رملية تحجب رؤية النجوم التي يستدل بها سُراة القوافل تحت جناح الظلام، ويقع على

(1) إبراهيم الراشد الحميد: من أسرة الحميد، كان وإخوانه من كبار التجار ورجال المال في بريدة، وكانوا قد اشتغلوا بالصرافة. (العبودي، معجم أسر بريدة، ج 4، ص 534).

(2) المسلم، العقيلات، ص 243.

عائق الدليل مسؤولية القافلة بكاملها، فقيادها بيديه ليهديها ويدلها على الطريق الصحيح، ويوصلها إلى موارد المياه. وقد تعترض القافلة أوضاع غير الظروف الطبيعية، كأن يكون هناك خطر قطاع الطرق، أو غزو قد كمنوا للقافلة، فيضطر أمير القافلة إلى تغيير مسارها إلى طريق آخر تجنباً للخطر، وهنا تأتي أهمية الدليل الذي تكونت لديه بالخبرة معرفة البدائل والخيارات لسلوك أكثر من طريق يوصل القافلة إلى الطريق الآمن.

اشتهر بعض الأدلاء بمعرفة الأرض بأعلامها من الجبال والهضاب، والحزون والحزوم والأودية وعلاماتها الفارقة التي توضع على الطريق للاستدلال بها، ومعرفة تراب الأرض التي يمرون بها باللمس والرائحة فيأخذ قبضة في يده من تراب الأرض ويفركه بكفه ثم يشم رائحته ويقول: نحن في الأرض الفلانية، أو يستدل بالنبت والشجيرات التي تنبتها تلك الأرض. وعرفوا وجهة السير ليلاً ونهاراً، ففي النهار يسترشدون بالشمس، أما في الليل فيستدلون بالنجوم والكواكب، وفي مقدمة هذه النجوم، النجم القطبي أو الجدي وبنات نعش، أو ما يُسمى بالنجم الشمالي، بالإضافة إلى النجوم الأخرى كالثرثرا، والجُوزاء، والشعرى. أما في الصيف فيستدلون بالإضافة إلى الجدي بالسماكين، وخاصة السماك الرامح أو الرقيب، والنسرين، والعقرب، وغير ذلك من النجوم⁽¹⁾. ومع كثرة السفر والترحال للعقيلات تعلم الكثير من أبنائهم معرفة الدروب، وبذلك استغنى المتأخرون منهم عن الدليل في السفر وكانوا هم الأدلاء لقوافلهم⁽²⁾ مثل: إبراهيم العلي الرشودي⁽³⁾، إبراهيم

(1) السوياء، عقيلات الجبل، ص 134.

(2) المسلم، العقيلات، ص 265.

(3) العبودي، معجم أسر بريدة، ج 7، ص 463.

سليمان الجربوع⁽¹⁾، عبد العزيز صالح الحماد⁽²⁾، محمد عبد العزيز المديفر⁽³⁾، مسلم إبراهيم الفرج⁽⁴⁾، سليمان عبد الله الصبيحي⁽⁵⁾، صالح سليمان المطوع⁽⁶⁾، وغيرهم.

لم تكن تلك الصفات هي كل ما تميز به العقيلات بل كانت هناك أيضًا صفات أخرى تميزوا بها كالصدق، والإيثار، والمروءة، وحسن النية، والثقة بالنفس، والحذر، وحسن التعامل⁽⁷⁾، حافظوا عليها على مر السنين فتناقلتها كتب التاريخ والأعلام والقصص والأمثال لتكون عبرًا للأجيال القادمة.

(1) من كبار تجار عقيل، أمره مرافقوه عليهم وكان موضع احترام الجميع. (السابق، ج 3، ص 326)

(2) من كبار عقيل، انتقل إلى المدينة المنورة مع أولاده (السابق، ج 4، ص 403)

(3) السابق، ج 19، ص 331.

(4) كان من رجال عقيل المعروفين، توفي 1402 هـ (السابق، ج 17، ص 357)

(5) السابق، ج 12، ص 106.

(6) السابق، ج 20، ص 404 - 408

(7) السويداء، عقيلات الجبل، ص 195 - 210.

الخاتمة

بدأ ظهور جماعة العقيلات وتكويناتهم منذ بدايات القرن الحادي عشر الهجري وبعد نشوء بلدة الزبير، حيث يعتبر نشوء هذه البلدة مؤشراً على تاريخ بدايات العقيلات. فقد شكلت بموقعها مكاناً مناسباً لتجمع القوافل التجارية التي تنطلق منها إلى مدن العراق وبلاد الشام. كما كانت مؤثلاً لأهل نجد، سواء الباحثين عن الرزق أو الهاربين من الجوع أو من الاضطرابات السياسية وانعدام الأمن التي سادت نجد خلال تلك الفترة. لأصل تسمية العقيلات، عدة آراء:

- منها أن التسمية لحقت بهم نسبة لبني عُقيل الذين اشتهروا منذ القديم بتجارة الإبل والخيول، ودخل العقيلات تحت هذا الاسم بنسبة المهنة نفسها. وهو الرأي المرجح.

- ومنها نسبة للعقال الذي يعصبون به رؤوسهم، والذي ميّزهم عن غيرهم من سكان البلاد الأخرى وهو رأي جانب الصواب نظرًا إلى أن أهل العراق وسورية وفلسطين والأردن وغيرهم يلبسون العقال وهم ليسوا من العقيلات.

- وثمة رأي آخر يذهب إلى أن مدلول التسمية يرجع إلى أنهم كانوا يعقلون الإبل بالعقال، وهو رأي بعيد إذ إن الإبل يعقلها بالعقال أهل نجد وغيرهم.

ومن الجدير بالذكر أن اسم العقيلات صار علماً على كل النجديين الذين رحلوا إلى البلاد الأخرى سواء للتجارة أو للإقامة بسبب ظروف معينة.

كان اسم العقيلات تمييزاً لهذه الجماعة عن بعض المهن الأخرى التي كانت معروفة في نجد، كالجَمَامِيل والزَّحِيلِيَّة، والحَدَرَات.

أما أسباب الهجرة من نجد فيمكن حصرها في عاملين أساسيين:

1- العامل الاقتصادي وتحسين أحوال المعيشة نتيجة لسنوات الجفاف التي كانت تمر بنجد، وكانت تؤدي إلى القحط والجوع والكوارث البشرية، ما اضطر بعض السكان للهجرة إلى بلاد أخرى تتمتع بالرخاء الاقتصادي لوفرة أمطارها، ومياه أنهارها.

2 - العامل الأمني والسياسي كالأضطرابات والحروب الداخلية التي حدثت خلال فترة الدولة السعودية الأولى والثانية والمتغيرات السياسية التي خضعت لها بلدان نجد.

بدأت رحلات قوافل العقيلات إلى سورية بعد أن تعذر وصولها إلى العراق بسبب الحروب المتواصلة التي قام بها نادر شاه أفشار التي بدأت منذ عام 1139هـ/ 1727م. حيث أدت هذه الحروب المتواصلة إلى كساد التجارة في الخليج وفي العراق وطرقه وإيقاف طريق الزبير والبصرة إلى حلب ودمشق، الذي عاقته الصعاب الأمنية. كما تعذر وصول القوافل إلى مصر بسبب إنشاء ممر قناة السويس الذي قطع الطريق الصحراوي حيث كانت تسلكه القوافل المنطلقة من نجد فالأردن مروراً بفلسطين فالمدن المصرية عبر العريش والنقب.

بعد استقرار العقيلات في سورية وبلداتها المتعددة حصل تمازج

اجتماعي بينهم وبين الأسر السورية، فساهموا مساهمات فعالة في الأحداث السياسية والعسكرية إبان الحكم العثماني، كما ساهموا بتسيير عصب الحياة يوم ذاك وهو التجارة، فربطوا الشرق الآسيوي بالغرب الأوروبي عبر الأراضي السورية، وكان لهم دور مهم في الحياة الاقتصادية السورية حيث بلغ نشاطهم التجاري أن كانت معظم المواشي من الإبل والخيول التي كانت تشكل عصب الحياة في عملية النقل، بأيديهم، إضافة لما يتمتعون به من سمعة جيدة في النقل العام عبر الصحراء العربية.

انتشر العقيلات في عدد من المدن السورية، كدمشق وحلب ودير الزور.

حدد العقيلات مواعيد رحلاتهم والطرق التي يسلكونها صيفاً أو شتاءً، وقد عرّفوا بخبرتهم في الصحراء موارد المياه وأماكن تواجدها.

تعددت مناحي الاقتصاد التجارية لدى العقيلات، فمنها تجارة الإبل وتجارة الخيل أو التجارة العامة، وساهموا بنقل حجاج بيت الله الحرام القادمين من أصقاع الأرض، لما اشتهر عنهم من معرفة جيدة بالطرق أو موارد المياه إضافة لمعرفتهم بالقبائل المنتشرة على الطرقات، وضمان سلامة القوافل المارة بهم، سواء بالمعرفة الشخصية بأمراء القبائل، أو بدفع مبالغ مالية تعتبر كرسوم مرور لهؤلاء الأمراء.

قام العقيلات بمهام البريد بنقله عبر الصحراء بين نجد والعراق والشام. وساهموا بإغناء السوق المحلية بالعملات المختلفة، الذهبية والفضية.

للعقيلات تنظيمات خاصة بالقافلة فرضتها عليهم المهمات التي يقومون بها، وكانت هذه التنظيمات متوارثة أو متناقلة في ما بينهم،

فللقافلة أميرٌ يقودها، ورجالٌ يحرسونها ويذبون عنها مطامع الأعداء، ومجلس قضائي مصغر للنظر في الأمور موضع الاختلاف، وآخرون غيرهم لهم مهمات وأعمال يقومون بها.

ساهم العقيلات في الأحداث السياسية التي حدثت في نجد أو في سورية، كما ساهموا في الأعمال العسكرية. ففي نجد شاركوا بعدة معارك كمعركة الصريف، ومعركة الشنانة، والفيضة، والبكيرية، وروضة مهنا، وكان لهم دور بتوفير السلاح أو الإبل أو نقل الجنود. أما في سورية، فقد شاركوا في معركة ميسلون ضد الفرنسيين وكانوا مع الشعب السوري في أحداث الميدان بدمشق.

تمكن العقيلات من تحصيل قدر من الثقافة في حدود المعارف التي تجاري وقتهم، واستفادوا من الأقوام الذين احتكوا بهم في تعاملاتهم التجارية، فتعلموا بعض لغات المحادثة أو اللهجات المحلية، وعندما استوطن بعضهم في سورية، وشكلوا مجتمعًا سكانيًا، دفعوا بأولادهم للتعلم في مدارسها التي كانت منتشرة في تلك الفترة، فحصل الأبناء على مستويات جيدة من الدراسة، وكان لبعض الأسر بروز متميز في الثقافة أو المستويات التعليمية، وبعودتهم إلى أرض الوطن اعتلى عدد منهم الوظائف الدبلوماسية، وتعين عدد منهم في الوظائف الحكومية، وساهموا في الحياة الاجتماعية والثقافية.

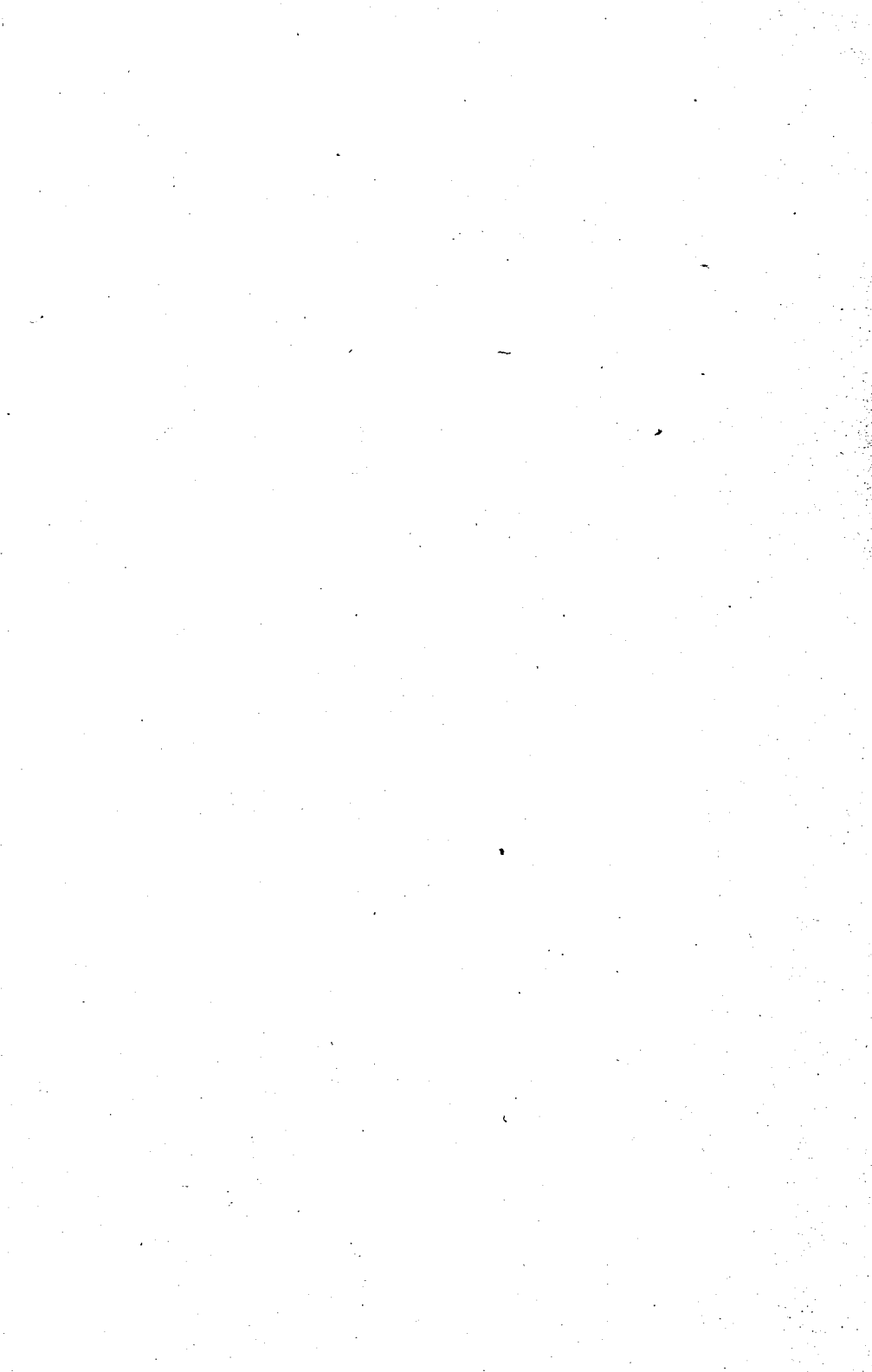
تميز العقيلات بعدة خصائص فرضتها عليهم طبيعة الصحراء، فكانوا يتمتعون بقسط وافر من الشجاعة لمجابهة الأخطار التي تعترضهم في طريق قوافلهم، كما تحلوا بخصلة الكرم حيث برز عدد منهم نالوا الشهرة الواسعة في كرمهم. والعقيلي بحكم عمله بالتجارة كانت الأمانة تمثل

لديه أحد عوامل نجاحه الرئيسية. ومن الصفات التي تميز بها العقيلات، معرفة الدروب، وصفات أخرى كالصدق والإيثار والمروءة، وكلها صفات تميز بها العربي الأصيل في كل مكان.

هذا وأصلي وأسلم على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وعلى آله وصحبه والحمد لله رب العالمين.



الملاحق



ملحق رقم (1)

مقابلة مع رجلين من العقيلات من أسرة النجدي

أجرت المقابلة الباحثة/ حنان خالد الخضيرى مع عبد العزيز إبراهيم النجدي في منزله بمدينة الرياض، وكان برفقته أخوه محمد النجدي، وتمت المقابلة بتسجيل حديث الأخوين في يوم الأربعاء الموافق 1433/2/24هـ / 2012/1/18م.

- محمد بن إبراهيم بن عبد الله النجدي (أبو يحيى): مواليد دمشق - حي الميدان، سنة 1348هـ كان يعمل وكيلاً لإمارة الحدود الشمالية، قمة في المروءة والإخلاص للوطن الغالي، شاعر مناسبات.

- عبد العزيز بن إبراهيم النجدي (أبو قاهر): مواليد دمشق - حي الميدان، سنة 1350هـ من رجالات الوطن، عمل في عدة أعمال هامة منها مديراً لجوازات عرعر لمدة خمس وعشرين سنة، له اطلاع واسع على الأدب والتاريخ، صدر له ديوان شعر النجديات بتاريخ 1424هـ وديوان شعر الأوفياء بتاريخ 1430هـ.

- س. حنان: هل المعلومات التي لديك تمت روايتها لك؟ أو قرأتها من كتب؟ حدثني عن نفسك وعمما تعرفه عن العقيلات.

- محمد (أبو يحيى): أنا كنت أعمل في أمانة الحدود الشمالية وتقاعدت قبل خمس سنوات، ولدت في دمشق بسورية بحي الميدان بتاريخ 1/ 9/ 1348هـ/ مايو 1930م.

معرفتي بالعقيلات مروية أبا عن جدّ، أنا أعتقد أن العقيلات بداية هجرتهم من نجد باتجاه العراق وسورية وفلسطين وشرق الأردن ومصر، كانت بأسباب القحط والمجاعة وقلة العمل في نجد، وكان الشاب مثل الطير بالعش، وإذا صار له جنحان طار، راح يدور على الرزق، هذي بداية هجرتهم، الواحد منهم غادر بلاده وترك وراءه عائلته من أب وأم وأقارب كبار في السن، بنظره أنه يجب أن يعمل ويجمع لهم حصيلة هجرته وسفره، وكان الواحد منهم يحرص على القيم والأخلاق والأمانة والثقة، هذي الأمور والصفات هي التي اكسبتهم ثقة التجار في العراق وسورية، فكان الواحد منهم إذا هاجر من نجد ما معاه شيء بعضهم يمشي على رجله حتى ما معه بعير يركبه؛ فإذا وصل هناك فيه تجار يحبون يوظفون أموالهم مع أشخاص ثقة يعملون فيها، فكان في العراق خالنا عبد العزيز عبد الله الصقير، فهذا كان يعرف تجار عراقيين إلهي يهاجرون إلى العراق.

من أبرز التجار العراقيين إلهي كان يمولون النجديين، الحاج عبد الرزاق القدوري. كان هذا الرجل بتعريف من عبد العزيز الصقير إذا قدم عليه أحد النجديين أعطاه مبلغاً من المال على أساس على أنه يتاجر فيه (مرايحة) والمربح بالنص، نص لرأس المال، ونص للعامل النجدي هذا.

فكان النجدي يأخذ المال مثلاً يعطيه ألفين دينار، يذهب البادية المتواجدة في العراق من عنزة، من شمر، عندهم مواشي وإبل يشتري منهم، فطريقة الشراء من البادية.. أنه إذا شاف أعداد من الإبل معروضة

للبيع يقدم جزءًا من المال يسمونه (عربون) وهو معه جبل يسمونه (العيار) يقولّه مثلاً إن شريت البعارين هذي على خمس دنائير كل بعير، وإذا أعطاه الموافقة على البيع منحه الدراهم وعقل يد البعير، وإذا عقل يد البعير معناها ثبت البيع والشراء فيجلس عندهم مدة إلى أن يجمع مائة، مائتي بعير، ويمشي فيها مع الصحاري إلى أن يصل إلى أسواق سورية، ومن سورية، إذا ما انتهى مبيعه في سورية يذهب إلى الأردن، بقي معه شيء يذهب إلى فلسطين، من فلسطين إذا بقي معه شيء يكون آخر شيء مصر، فانظري إلى هذا العمل الشاق!

هذا اللي يعطي مثلاً للعزيمة والإرادة والإقدام متسلحين بالأمانة والثقة والأخلاق الطيبة الحسنة وصاروا مضرب مثل في أخلاقهم وفي صفاتهم وفي أمانتهم، فلذلك يقول لك الإنسان في أمانته يشارك الرجال في أمواله يعني يعطونه أموالهم على أساس الثقة، ولذلك تجددين النجدي يقعد هناك حوالي سنة سنتين، بعضهم يجلس عشر سنوات إذا حصل، وبعضهم يرجع إلى أهله ليقدم لهم حصيلته ويرفع من وضعهم ويحسن أوضاعهم.

هذي بداية هجرة العقيلات إلى العراق وسورية وكانت بأعداد كبيرة؛ تعدّين اللي يتواجد من العقيلات - أهالي نجد - في العراق بالآلاف، وفي سورية بالمثل، والكثير منهم صاروا من مشاهير الرجال لأسباب عملهم ومثابرتهم وثقة الناس فيهم وتحصيلهم على أموال، فكانوا مثلاً ينقلون البضائع من سورية إلى العراق يأخذون على حمل البعير جنيه ذهب فإذا صار معه خمسين حمل، بخمسين جنيه ذهب، بس.. يوصل البضاعة من الشام إلى العراق.

كانت هذه تجارة رابحة لهم لأن البعير يبقى هو رأس المال، ما يفقد قيمته وهم كسبوا أجرة حمل البعير، فكل طرشة: يسمونه طرشة.. يعني سفرة، يحصلون خمسين جنيه ذهب، مائة جنيه ذهب، هذه فائدة كبيرة في هذا الوقت.

- عبد العزيز (أبو قاهر): ولكن يدفعون على الطريق للقبائل يسمونها خاوة (حماية).

- محمد (أبو يحيى): بقت هذه التجارة قائمة إلى أن وردت السيارات، قبل ما فيه سيارات، لما وردت السيارات صارت السيارة تشيل حمل خمسين بعير، تقدرين تقولين أن الجدوى الاقتصادية توقفت بالنسبة لنقل البضائع.

بقي عندهم تجارة بالمواشي، يشترون مثلاً الإبل من العراق ويكلفهم البعير مثلاً خمسة دنانير وإذا وصلوا الأردن أو سورية أو مصر أو فلسطين باعوه بستة دنانير، بسبعة دنانير معناها كسبوا دينارين في البعير، مائتي بعير فيهم أربعمائة دينار، هذولي موقليات في هذا الوقت. في بعض الأحيان ما يكسب شيء، يبيع برأس ماله، يعني يحافظ على رأس ماله، يعني يحرص على أن رأس المال لا يضيع ولا ينقص، عشان تبقى ثقة التاجر صاحب رأس المال قائمة.

وكانوا يحافظون على الصلوات ويحافظون على الدين ويحافظون على الأخلاق، تجد منهم مثال للأخلاق الفاضلة، يعني تقدرين تعتبرينهم سفراء بمعنى الوقت هذا - سفراء لبلادهم وأهلهم - لذلك تجددين الناس يحترمونهم احترام زائد ويتمنون التعامل معهم ويتمنون القرب لهم ويتمنون الكسب من أخلاقهم ومن صفاتهم.

وبالتالي عند ما تحسنت الأحوال بعد توحيد المملكة وظهور البترول عادوا إلى بلادهم، فالكثير منهم صاروا من تجار المملكة.. وهذه بداية العقيلات.

- س. حنان: هل كانوا كلهم يتمون لطبقة واحدة، يعني ما في أحد أعلى من الثاني في الغنى والفقر؟

- محمد (أبو يحيى): هم كانوا عندك تقدرين تقولين صاروا تجار يعني عندهم رأس مال لكنهم يلقي عليهم من جماعتهم، من أقاربهم، من هم في بداية الطريق، فلذلك ما يتعالون عليهم يحسبونهم منهم. ألحين تجدين مثلاً التاجر معه رأس مال ألف جنيه ذهب أو ألفين جنيه ذهب، هو والراعي أو العامل الذي يعمل معه يسمونه في الوقت الحاضر عامل، لكن في ذلك الوقت يسمونه (ملحاق، أو طباخ، أو قهوجي) هو وباهم واحد، تجدينهم يأكلون في قدر واحد، تعاملهم ما فيه تعالي أبدأ، بعدين يحافظون على أنه اللي يعمل معهم، يمشي معهم، أن يكون منضبط في أخلاقه، وإذا وجدوا منه أي زلة يحاسبونه عليها، لأجل أن هذه تسيء إلى سمعة الجميع فلذلك يحافظون على القيم الأخلاقية.

- عبد العزيز (أبو قاهر): أنتِ سألتِ عن سبب تسميتهم العقيلات ولا لا؟ هو أصلاً (العقال هذا) لَمْ سُمِّي العقال؟ أصله عقال البعير، حتى الرسول ﷺ في الحديث قال: «اعقلها وتوكل»، والأصل هو عقال البعير، والأعرابي كان يلبس عمامة ويربطها بعقال البعير فُسِمِي العقال عقال، من عقال البعير، فالعقيلات بما أن تجارتهم كانت البعير والمواشي، فكل ما نباع بعير قالوا: أعقلوه.. وين عقاله، أو فك عقاله، إذا إنباع البعير قالوا كقوله، وإذا طولت البيعة قالوا فك عقاله، فسموا العقيلات لهذا السبب.

ولّا.. موضوع العقال كون أنهم يلبسون عقال! سورية والأردن وفلسطين؛ كلهم كانوا يلبسون عقل! فسموا العقيلات من أجل تجارتهم بالجمال وعقال الجمل.

- محمد (أبو يحيى): العقال كان صفة مميزة لهم هو أن لما تقدمين على تجمعهم في الشام في (الميدان) تجدين السواد الأعظم كلهم عليهم عقال فغلبت عليهم كلمة العقيلات، لأنهم متعقلين بالعقال، فبرضو هناك احتمال.. إنه في سورية كان يلبسون طربوش على رؤوسهم في الدولة العثمانية.

- عبد العزيز (أبو قاهر): أضف إلى ذلك الدولة العثمانية كانت بسيطرتها على المدن، أما الصحراء مالها سيطرة عليها، ولذلك ازدهرت تجارتهم بين المدن، وبين العراق والشام وفلسطين ومصر والأردن لأنهم هم يتعاملون مع البادية بالعراء، وما في حكومة في الصحراء. فكانت كل قبيلة لها حدود معينة يأخذون منها خوي، الخوي هذا عبارة عن هم في حمايته، في وجهه، فالقبيلة ما تقدر تقطع وجه الخوي، لماذا؟ لأن أقاربه وجماعته يزعلون، هذا قانون القبائل في هذه الأيام، يعني إذا صاروا هؤلاء في وجه فلان من الناس ما في أحد يقدر يقطع وجهه.

- محمد (أبو يحيى): عادات وعُرف قبليّ.

- س. حنان: ما هي أكثر المناطق اللي كانوا يسكنون فيها غير الميدان؟

- عبد العزيز (أبو قاهر): فيه بدير الزور، ضمير فيه عوائل كثيرة، بدير الزور ما زالت موجودة إلى الآن، مثل الرميان، التواجر.

- محمد (أبو يحيى): لما رحلت الحكومة الفرنسية إلى سورية شكلوا

جيش يسمونه الهجانة. فهم حرصوا على أنهم أكثر ما يجندون النجدين..
ليش؟ لأنهم يثقون فيهم.

- عبد العزيز (أبو قاهر): على طارئ الحكومة الفرنسية، السوريون
يعتزون بمعركة ميسلون - معركة ميسلون نصف المحاربين فيها من
آل نجد كانوا بقيادة العصيمي، وقتل منهم الكثير في معركة ميسلون،
العصيمي هذا من أهل الزلفي.

- س. حنان: عندما كنتم مع العائلة هل كان الوالد هو الأساس هناك؟

- محمد (أبو يحيى): نعم نحن أمنا بنت عم أبونا خوالنا، عمامنا،
يرجعون للنجدي، هم الصقير الذي يرجعون للنجدي يعني عيال عم. ف
أمنا من صقير وأمنا ولدت في سورية ونحن ولدنا في دمشق، ولكن الوالد
رحمة الله عليه هو والعم حمود هم الذين هاجروا من نجد في أول شبابهم
كان الواحد عمره خمس عشرة سنة لما هاجروا أو أقل. فبالأمانة والثقة
صاروا من كبار التجار.

- س. حنان: كيف كانت ثقافة العقيلات؟ كانوا يتعلمون، ولا كانوا
على الفطرة؟

- محمد (أبو يحيى): كانوا تقديرين تصفهم بأنهم خريجين المجتمع
الذي يتمسك بالأخلاق والصفات الحميدة والتمسك بالدين، يعني
تجدينهم في البر في الصحراء يقيمون الصلاة ويؤذنون.

فبهذه الصفات اللي اكتسبوا ثقة الناس فيها، ويحرصون على حضور
مجالس العلماء، فأبونا رحمة الله عليه، ما درس لكن كان مجالس العلماء
والصالحين تصدقين أنه ما عمره طلع من لسانه كلمة نابية أو كلمة تدل
على أنه يعني كلمة ما هي في مكانها. إذا شاف معنا شيء ما يرضيه يقول

الله يصلحنا، يعني ما يقول أنت سويت أو عملت، يقول الله يهدينا فحنا نرتج لما يسمعها يعني أنه شاف شيء ما أرضاه. هذه اكتسبها من المجتمع ومن مجالسة الصالحين.

- عبد العزيز (أبو قاهر): نحن نفتخر أن أبونا عاش أربع وثمانين سنة ما طلعت من لسانه كلمة نابية أبداً.

- س. حنان: الطريق الذي كان يسلكه العقيلات عندما يخرجون من نجد؟

- محمد (أبو يحيى): كانوا مثلاً إذا مشوا من القصيم، على صحراء حائل، على النفود، على الوديان، من الوديان إلى بادية الشام، أو إلى الفرات من جهة العراق، هذي الطريق يعني يأخذ معهم الطريق من القصيم إلى سورية عشرين يوم.. شهر، لأنهم ما يمشون ممشى مستمر، إذا أنهم وجدوا أرض فيها مرعى يوقفون عشان أباعرهم ترعى، وتنشط. فيه قصة لأبوي رحمة الله عليه، يقول أنا وآبا الخيل ابن عمنا، آبا الخيل يقول على بعيرين ذلولين من بريدة حتى إذا وصلنا ابن هذال في الوديان على حدود العراق، يقول.. يوم شفتنا بيت ابن هذال قلنا ما حنا متعدين إلأنبي نسلم على الشيخ، شيخ عنزة، يقول.. جينا ودخلنا وسلمنا عليه، قال منين يا نجيدي أنت وآبا خويك قلت من القصيم، قال من القصيم أنت وخويك لحالكما ما اعترضكم أحد؟ قلت.. نعم العصا سيف، العصا اللي معانا كأنها سيف تحمينا، كان يقول رد ابن هذال حكم ابن سعود، يعني آمن البلاد.

- عبد العزيز (أبو قاهر): يعني الحمد لله كانت البلاد أمان، كان هذا في الدولة السعودية الثالثة.

- س. حنان: مَنْ صاحب الفكرة؟ مَنْ أول مَنْ قال تخرج لما صار قحط؟

- محمد (أبو يحيى): بدون فكرة، الجوع هو اللي خلاهم يخرجون مثل ألحين، مثل ما يجون البنغاليين والفيتناميين كان الجوع هو اللي يخليهم يغادرون بلادهم ويطلبون العيش.

- عبد العزيز (أبو قاهر): وبينك تقدر تأخذ الهجرات العربية.

العرب نشأوا في اليمن وبما أنه الجزيرة العربية محاطة بالبحار هم ما يعرفون يركبون بالبحر اتجهوا شمال إلى سورية، إلى العراق، إلى مصر، إلى المغرب إلى آخر موريتانيا.

- محمد (أبو يحيى): بعدين البوادي الموجودة في العراق موجودة في سورية، كلها أصلها من نجد، هاجرت من نجد، عنيزة وشمر وتميم وعتيبة.

- عبد العزيز (أبو قاهر): تميم ألحين نجد هذولي أكثرهم من تميم، لكنهم حضر بس بدو العرب نصهم حضر.

- س. حنان: ما هي أبرز العوائل التي راحت إلى سورية؟

- محمد (أبو يحيى): أبا الخيل، النجدي، الكحيمي، الصقير، الجربوع، من أهل بريدة، القرعاوي، المديفر، والخضيري.

- س. حنان: تذكر لهم مواقف تاريخية أو أساسية أو غيره من المواقف؟

- محمد (أبو يحيى): كان الملك عبد العزيز رحمة الله عليه يعتمد عليهم ويعتبرهم السفراء في تلك البلاد، فلذلك خالنا عبد العزيز الصقير كان معتمد للملك عبد العزيز.

- عبد العزيز (أبو قاهر): آل رميح في مصر، وفوزان السابق في مصر كان معتمد للملك عبد العزيز.

- س. حنان: عندما تاجروا، كيف أثروا في نجد؟ وكيف أنعشوا الاقتصاد؟

- محمد (أبو يحيى): أكيد، بالصفات اللي يحملونها استطاعوا أن يؤسسوا لهم مكان وتجارة، يعني بدأوا يمشون مع التطور الذي بدأ في المملكة وخصوصًا في نجد.

- عبد العزيز (أبو قاهر): في الاقتصاد يعني في العهد اللي قبل عودتهم كانوا إذا منهم راحوا يكونون مديونين، وإذا إنهم رجعوا إلّا جيوبهم مليانة قروش يسددون الديون اللي عليهم، وعلى أهلهم.

- س. حنان: بالنسبة للعادات والتقاليد كيف تأثروا وأخذوا عاداتهم وتقاليدهم؟

- محمد (أبو يحيى): هم ما تأثروا بالمجتمع السوري بل أثروا على المجتمع السوري؛ يعني المجتمع السوري اكتسب منهم صفاتهم وأخلاقهم وديانتهم وأمانتهم، بينما المجتمع السوري على وقت العثمانيين كان عندهم حاجات لا يقبلها الدين (خرافات) لكن هم بأخلاقهم وصفاتهم وتدينهم.

- عبد العزيز (أبو قاهر): أكبر دليل على أن المجتمع السوري أخذ منهم دائمًا تجي في التلفزيون (العرضات)، العرضات السورية آخذينها من أهل نجد. هي العرضة رقصة الحرباء عندنا، فحتى الوصفات اللي فيها في عهدنا هنا كانت وصفات على النت.

- س. حنان: من العوائل التي استقرت في سورية يعني ما رجعوا خلاص؟

- محمد (أبو يحيى): والله، ما تقدرين تقولين إنه فيه أحد استقر استقرار دائم، أكثرهم أو كلهم رجعوا الآن، الإنسان يعني أول شيء يحن إلى بلده ووطنه، ثاني شيء الحالة الاقتصادية اللي هنا الحمد لله، اللي في المملكة أغرتهم إنهم يرجعون، أغرتهم إنهم يرجعون بلدهم.

- عبد العزيز (أبو قاهر): حتى اللي كانوا ماخذين الجنسية السورية يعني لما صدر أمر وزير الداخلية بعودتهم وإعطاءهم مبلغ من المال رجع منهم الكثير إلا يمكن حاجات نادرة. ولكنهم كلهم رجعوا يعني حتى اللي ما قدروا يرجعون أعطوهم مبلغ من المال ساعدتهم على الرجعة.

- س. حنان: ممكن توصف لي رحلتهم لما كانوا يطلعون، إيش يأخذون معهم عدة الرحلة إلى سورية غير الإبل.

- محمد (أبو يحيى): مستلزمات الرحلة هي أدوات الطبخ وقدر وصاج للخبز وصحن لوضع الطعام فيه، وعدة القهوة والشاي، اللي هي دلال وأباريق الشاي وهذي العدة.

- س. حنان: عم أبو قاهر أنت ميلادك كم؟

- عبد العزيز (أبو قاهر): أبو قاهر ميلاده بعد أبو يحيى بستين.

- محمد (أبو يحيى): قبل ما نطلع من الشام نشترى كيس قمح ونوديه للطاحون يجرشونه جريش، ونشترى سنام بغير ويقطعونه ويطبخونه يصير دهن شحم طبعاً، وأما طالع من الشام نمر تشرب من موية (نبح الفيجة) ونمشي، وما في قدامنا إلا صحراء، ما فيه لا ثلاجة ولا علنه، فإذا نزلنا آخر النهار هلكانين من الجوع واحد يسوي القهوة والثاني

يسوي الغداء والعشاء، العشاء وش هو بالكفكير (مغرفة معدنية بها ثقب تستعمل لغرف الطعام والأرز) من ها الدهن ومن الجريش وموية وملح، موزي الجريش ألحين اللي يقعد ساعة ينطبخ، هذي عيشتنا ليش؟ لأنه طوال النهار ما في أكل تلقاه ما في ألد منه والخبز الجمرية عاد، يا سلام وهو عبارة عن عججين يعجنونه ويخلونه سميك ومستوي، طبعًا يسوونه كُبر ها الطاولة، يعني تسويه قرص أول شي يشبون النار وإذا جمرت النار افتحوها وخلو الجمر واضح وعقب جابو ها القرص وحطوه فوق الجمر ثم يلقطون جميرات صغار عليها عشان ينشف فوقها وبعدين شالوا الرماد والرمل فوقها، وحطوا فوقها شوية حطب، إذا نضجت طلعت لو تضرب فيها الكافر يسلم، وطق طق لا منها يطيح منها الرماد وها الفحم منها وعقبها دقوها بيد النجر، هذه هي الجمرية.

- س. حنان: ايش في أكالات ثانية يطبخونها في الرحلة أو هناك تعلموها؟

- محمد (أبو يحيى): أنا أتذكر إنا مرة شفنا عرب من عنزة على حدود سورية وطبعًا البدو الشيء اللي يحبونه يحبون يكرمون فيه الضيف ما في أحب من السكر، والسكر حلو طبعًا، ذبحوا لنا خروف وطبخوه وقطعوه، وبعد ما حطوا الرز فوقه اللحم، جابو طاسة سكر وحطوه فوقها، هذه من الأشياء الغريبة.

عرب اسمهم الشرارات بوادي السرحان ما كان عندهم سمن أو شحم يحطونه فوق الرز فطبخوا الرز وحطوه فوقه دبس، دبس التمر.

- س. حنان: علاقتهم في بعض على كلامكم قوية مثلاً مترابطين ولّا، كل واحد لحاله؟

- محمد (أبو يحيى): يتعاملون مع بعض وفيه حمية وبعدين يغارون على بعض وفي حاجة مهمة جدًا مثلاً يجيء الواحد منهم يجي يأكل ويشرب وينام على حساب قرايبه، لا منه لقي شغل، وإذا لقي شغل بدأ يساهم معهم بالمصروف هذي وحدة، الثانية كانوا عبارة عن تألف بين أهل القرية أو المنطقة أو المدينة، إحنا مثلاً أهل القرعة تلقانا جميع أقرب مالناها العيون، العيون اللي جنبنا وإذا منو ما لفينا، راعي القرعة، يلقي راعي العيون، وإحنا وياهم نصير أهل. أهل بريدة تلقاهم متأكفين مع بعض، أهل عنيزة متأكفين مع بعض، يعني ما تقدرين تقولين متفككين، لا.. تقدرين تقولين النجديين كتلة واحدة ومجموعة واحدة ويحامون على بعض وينصرون بعض، كما قال انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا.

- حنان: دليل كلامكم أنهم ما شاء الله بدأوا يندمجون بالمجتمع السوري على اختلاف العادات.

- محمد (أبو يحيى): أثروا في المجتمع السوري.

- س. حنان: ما هي أبرز المناطق اللي خرجوا فيها من نجد، غير القصيم؟

- عبد العزيز (أبو قاهر): تقدرين تقولين كل المناطق، فيه من أهل الزلفي، أهل شقراء، البكيرية، عنيزة، المدنب، الرس.

- س. حنان: ما فيه جزء من حائل؟

- عبد العزيز (أبو قاهر): فيه من حائل بس قليل منهم.

- س. حنان: بعهد مين لما هاجروا؟ كانوا في عهد الدولة العثمانية؟ في أي حاكم أو سلطان؟

- محمد (أبو يحيى): في عهد آخر سلاطين بني عثمان السلطان عبد الحميد.

في العراق نهر دجلة تقسم بغداد قسمين، في سوق يسمونه سوق الكرخ، سوق الكرخ كان أكثر الناس يسمونه سوق عقيل، وكان فيه القهاوي يسمونها قهاوي عقيل.

وحي الميدان بالشام كان فيه كم عائلة سورية هي أول ما بدأ التجنس صاروا سعوديين، لأن كل الحي سعوديين وها السوريين صاروا سعوديين زيهم.

- س. حنان: كيف كانوا لما يسافرون في عهد الدولة العثمانية يتعاملون معهم على الحدود، هل يتقاضون منهم أجر؟ تأشيرة؟ جواز؟.

- عبد العزيز (أبو قاهر): كان النجدي محترم من أي بلد أو أي قطر، بعضهم ما كان معه وثيقة لكن لمحبتة وأخلاقه تدل على أنه من نجد، فالنجدي محترم عندهم.

ففي أول قيام الدولة السعودية الثالثة ما كان فيه جوازات مثل الحين، فكانوا أمراء المناطق يعطون أوراق، فكان الواحد لما يجي يغرب يروح لهم يعطونه ورقة، لا صورة ولا شي، يروح فيها للأردن فلسطين، سورية، وكانوا السلطات يعتبرونها، لما كان في تسامح وثقة.

فيه قصة لأبوي تدل على الأمانة، أبوي رحمة الله عليه اشترى عند فرقة من البدو يقال لهم السلاطين، والسلاطين من عنزة في الأراضي العراقية المجاورة للسعودية. على جو يقال له البريد، الحاصل عند السلطاني محمد العجمي، قعد عنده شهر يجمع البعارين، لما جمع مائتي بعير ولما أراد يمشي شال عفشه وقشه من بيت السلطاني ومشي، ولما صار آخر

النهار جاء هذا راعي البيت للمكان الذي كان حاط من أبوي أغراضه، وجد حزام جلد ناسية ما شاله أبوي ساقط من متاعه، قال وين ألحق الحين النجيدي، وهو له حوالي عشر ساعات، ثم أخذ الحزام. وباعه بنعجة، وبعدين ربّي النعجة وتولدت وصارت غنم، فكل ما بين عشر سنوات كان يرسل لأبوي مجموعة من الدنانير قيمة هذه النعجة إلى آخرها في عام 70 هـ وجاء الرجل للعراق، وقال لأبوي والله يا نجيدي والله حنّا الحين حلالنا يمكن كنا نبيعه لك عندنا خمسين نعجة هذي اللي بقيت، ونيتك تأخذها، وقام أبوي ووزع على أولاد العنزي كل واحد نعجة من خمسين والباقي أخذها. وأحد أولاده التقينا فيه مرة وقال لنا والله إن نعجة أبوك خير وبركة وإلى الحين عندنا.... شوفي الحرص على الأمانة.

- س. حنان: من هو اللي ممكن يفيدني بمعلومات؟

- عبد العزيز (أبو قاهر): ألحين هم كبار سن لكن عندي صورة جواز سفر موجودة في عرعر الآن.

- س. حنان: حالياً كم عمرك يا عم عبد العزيز؟

- عبد العزيز (أبو قاهر): عمري 83 ومحمد عمره 85 سنة.

- محمد (أبو يحيى): أنا أرسلني أبوي وكان عمري خمس عشرة سنة من سكاكا إلى حائل، كان له فلوس عند تاجر من تجار حائل، فاستأجر لي بعير بعشرة ريالات يذهب بي إلى حائل، رافقت ساعي البريد وكان بدوي من طير محمد بن جلمود، يأخذ البريد الرسمي من الجوف على ذلول على حائل، ويعود من حائل إلى الجوف على بعير، الرحلة أخذت معنا ثمانية أيام وجلسنا في حائل ثلاثة أيام ورجعنا ثمانية أيام، يعني استغرقت رحلتنا تسعة عشر أو عشرين يوم، يعني فيه أشياء ما يصدقها العقل، حنّا

طالعين من الجوف رايعين لسورية على أساس أنه ما في طريق إلا وادي السرحان، بتنا أول ليلة، المهم قال أبوي أجل نروح من طريق الحماد، عاد طلعتنا على الحماد وما في لا ماء ولا شي، وإحنا ما معنا اللي يكفيننا، والمهم لقينا غدير ولا هو بغدير، نشف، معاد فيه إلا بول البعارين والخنافس وصراصير واحنا نبي ماء، المهم أخذو يصقّونه بغترة عشان نشرب، وأنا عطشت أبغى أشرب، وأنا يوم شفته ما طعت أشرب، ويوم شافني أبوي صب لي قهوة من الزمزية وبقينا أربعة أيام على ها الحال. الأرنب إذا صدناه، ببلاويه (بكامله) نشويه بالنار ونأكله.

- حنان: ما شاء الله دليل على ذكاءهم يوم صفّوه بالغترة.

- س. حنان: نظام بيتكم بدمشق طابع نجدي؟ ولا بيوت الشام؟

- عبد العزيز (أبو قاهر): خليط لأنه أمنا مولودة بالشام وأم أمنا مولودة بالشام.

- س. حنان: آخذين من طبائع السوريين مع عادات أهل نجد مثل ماذا؟

- عبد العزيز (أبو قاهر): مثل أنواع الأكل. مثل البيت اللي نسكن فيه كان فيه ديوان هذا مخصص للرجال، ومن بعد الديوان محرم يعني مكان للحريم. أتذكر واحد من الأحساء، من أهل العيون، كان ما فيه ثلاثا كان فيه عليه البيان تبعها من خشب وكانت الأجواء باردة في ذلك الوقت، فزعل على ولده اللي هو ابن الشامية فأصبح يعدهم أنتم عيال النملية.

- س. حنان: أنتم ساكنين في نفس الميدان؟

- عبد العزيز (أبو قاهر): نعم هناك ولسه موجود إلى ألحين. فيه

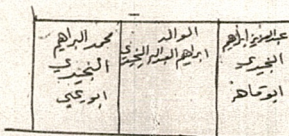
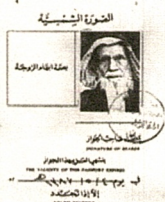
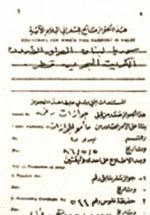
عبد الله الفوزان هذا شايب عمره حول مائة سنة، إن قدرتي توصلين له
وتسألين عنه في الاستعلامات هو يقدر يعطيك حياة العقيلات في مصر.

- س. حنان: عم أبو قاهر، أنت وش تشتغل؟

- عبد العزيز (أبو قاهر): كنت مدير جوازات.



وثائق النجدي



هذه الصورة من عام ١٢٦٥ هـ





ملحق رقم (2)

**مذكرات ناصر عبد العزيز باشا المالك
العنزي عن رحلات الأسرة بقوافل
العقيلات سنة 1294هـ**

(وهي أوراق مذكرات أعطاهها للباحثة أحد أحفاد كاتبها، وفيها وصف لأحدى رحلات العقيلات، ووصف الطريق الذي كانوا يسلكونه من العراق إلى الشام ومحطات وقوفهم بسورية، ومخاطر الطريق، كما تبين مقدار الثراء الذي كان يتمتع به بعض أمراء العقيلات).

من أهم ما مررت فيه من الحوادث، عندما كان عمري قرابة العشرين سنة، سيرت أسرة المالك العنزية أكبر قوافلها التجارية بإمارة والدي، عبد العزيز باشا المالك، في شتاء سنة 1294هـ حيث قرر والدي التجهيز لأكبر قافلة تجارية من الإبل لنقل البضائع إلى نجد.

وما أذكره عن والدي رحمه الله أنه قال يا ولدي يا ناصر أنا ناوي أشتري لي بكل ما نملكه من أموال إبل وبضائع ونبيعها بنجد بعد سبع شهور لا من دخل الخريف، وراح ترك العقار بدون ما نتصرف فيه، أما الأموال إن أراد الله بندخل فيها تجارة عظيمة وهذي يا ولدي ضربة العمر يا ينجح اللي قاعد افكر فيه ونضاعف أموالنا لأضعاف، أو تهلك القافلة ونتكبد خسارة كبيرة ويروح المال ويبقى لنا العقار.

وأنا طمنت والدي وقلت له أنا أكون عصاك اللي ما تعصاك، واللي تشوفه أنا معك فيه، وطالعني والدي وقال لي هذا خبري فيك يا ناصر. وبالفعل بعدها بفترة بدأ التجهيز للرحلة ووضع تفاصيلها بكل دقة، والتخطيط لها بحيث نتجنب وقوع اخطاء، وكان والدي يملك قرابة (1200) ألف ومائتين بعير، بعضها في أحواشنا في البصرة والباقي يطلعون فيها الرعيان اللي يشتغلون عندنا مقابل أجر بجنوب البصرة بعيد عن الناس حتى ترعى.

وأذكر مره من المرات جيت لوالدي عبد العزيز في دكان التمور الكبير مالنا اللي بالعشار وكنا نتكلم عن تجهيز القافلة، فقال لي والدي حنا يا ناصر بنشتري عدد كبير من الإبل وما نطلع ببيعارينا اللي عندنا وتراها تكفي وتزيد. قال لي يا ناصر هذي الرحلة ما هي مثل الرحلات اللي قبلها لأننا العام الجاي بنشوم (نذهب إلى الشام) يا ولدي وبنشتري بضائع واجدة من ذيك الديار وبنجيها لنجد، وهالرحلة بحط فيها كل ما أملكه من أموال وبنشتري الكثير من الإبل غير اللي عندنا لنقل البضائع.

فقلت له ما دامنا بنروح للشام، أجل لزوم نشترى الإبل لأنني كنت أحسب أننا بنقل بضائع من البصرة لنجد، ثم أخذ والدي قرابة العشرين يوم للتخطيط والحساب. كما أرسل والدي (90) تسعين رجال للشام ليشتروا الإبل من هناك لأنها تكون أرخص من نجد بسبب أن بعض التجار من العقيلات وغيرهم يبيعون بعارينهم بعد ما يبيعون بضائعهم.

وبعد أرسل والدي بعض الرجال لشراء الإبل من بادية الجوف من جموع قبيلة عنزة، وما جاورهم من عرب، واتبعهم برجال لعرب شمر، وما جاورهم من عرب في حائل، ثم أرسلني والدي مع مجموعة من الرجال والعبيد لشراء وجلب الخيام والأغطية، وكل ما تحتاجه القوافل

لتجهيزها بكل ما ينقص. وكنت أطلع من بعد صلاة الفجر ولا أرجع إلا بعد غروب الشمس وأنا متعب من المشي والحمل وقضاء الحوائج.

وبعد ما خلصنا من كل شي كان الصيف قد دخل وهو أفضل وقت لعقد الاتفاقات وتدوين طلبات التجار والاتفاق مع الرجال والتجار الراغبين بشراء بضائع من الشام وتدوين طلباتهم في مكاتيب لضمان الحقوق من قبض نصف قيمة البضائع عند التسليم واتفقنا بعد مع الرجال والقهوجية والأخويا والريعيان والحرس والطباخين اللي يطلعون معنا الرحلة.

وكان موعد تحرك القوافل بعد الفجر من ليلة طلوع سهيل، وهذا اللي صار، قعدنا نترقب نجم سهيل حتى ظهر وصلينا الفجر، ثم تحركنا بقوافل عظيمة يشاف أولها ولا يشاف آخرها، وكان عدد الإبل الخاصة بوالدي قرابة (7600) سبعة آلاف وست مائة بعير، وسمناها كلهم بوسم قرشة المصاليخ من عنزة، وتركنا قرابة (1600) الألف وست مئة بعير مع الرعيان ورجال والدي في البصرة من أجل رحلة العودة لنجد.

لأن والدي كان مخطط للذهاب من البصرة الى أسواق بغداد، ثم من بغداد إلى أسواق حلب ثم من حلب الى دمشق، ثم من دمشق نعود للبصرة لشراء بضائع البصرة التي يحضرونها العجم من سجاد وبهار وغير ذلك. أيضًا لتسليم بعض البضائع اللي بنجيها من الشام للتجار اللي طلبوها بالبصرة، ثم نتوجه من البصرة لنجد وقد حملنا بضائع من العراق والشام.

ولو اشترينا بضائع من البصرة وحملناها معنا بغداد كان دفعنا مبالغ كبيرة للضرائب بين كل ولاية وولاية لان الدولة كان تأخذ الضرائب على البضائع المنقولة من البصرة لبغداد ولباقي الولايات، حتى نصل إلى ولاية الشام، ولو اتبعنا هذا المسلك كان توجهنا لنجد بعد انتهائنا من الشام ولا اختصرنا لكن تزداد قيمة الضرائب وتقل الأرباح وهذا اللي خلا والدي

يطلع بالإبل من غير ما يشتري أي بضائع من البصرة مع أن هالخطه كانت تأخذ وقت طويل إلا أنها تقلل التكاليف.

ووقت خروجنا من البصرة كان والدي أميرًا على قافلة عددها قرابة (11500) أحد عشر ألف وخمس مئة بعير له منها (7600) سبعة آلاف وست مئة بعير موسومة بوسم القرشة من المصاليخ من عنزة، ولبقية التجار قرابة (3900) الثلاثة آلاف وتسع مئة بعير، وعدد الرجال اللي طلعو معنا قرابة (6000) ستة آلاف رجال.

وبعد أن توكلنا على الله؛ انطلقنا من ولاية البصرة وبالتحديد من العشار في لواء البصرة موجّهين يّمْ لواء بغداد في ولاية بغداد. وكان والدي عبد العزيز باشا المالك أمير القوافل يسير ببعيره الأوضح اللي يسر العين في مقدمة القوافل وحوله مجموعة كبيرة من الحرس على ظهور الإبل ومجموعة كبيرة من عبيده ومواليه يتعدون السبعين رجال غالبهم يمشون على أرجلهم، وأيضًا كان هناك مجموعة من الصنائع يلتحقون بالقوافل مثل الحدادين والحذاءين اللي يترزقون، وهذولي مالهم أصل ولا يتزوجهم أحد ولا أحد يتزوج منهم، وهالصنائع ينطبق عليهم المثل اللي يقول مصايب قوم عند قوم فوائد.

وعند غروب اليوم الأول وصلنا على ضفة نهر الفرات، وهو من أعظم الأنهار الموجودة في العراق، وقال والدي هالحين نوقف نصلي الفجر، وننقل الإبل يم الضفة الثانية للنهر، وكان حول النهر قيعان خصبة يزرعها الفلاحين من أهل المتفق، وبعد ما رقدنا في فجر اليوم التالي، بدينا نعبّر بالإبل للضفة الشمالية للفرات، وأخذت الإبل زمن طويل في صعود الفرّات، ولا انتهينا إلا بعد العصر، واستمرينا بالمسير لحين جاء الليل ثم توقفت القوافل.

وبعد التوقف ينصب الرجال الخيام ويطبخون الطعام ويسولفون، وأهل الشعر يقصدون بقصايد نبطية جزلة، وكانت عادتي إذا توقفت القافلة أجلس مع والدي وربعه اللي من أهل نجد مثل حمود التميمي وسليمان المحيمد وعبد الله العجلان وفهد الربعي وغيرهم الكثير من أهل نجد، وتكلم ونسولف ونتقهوى ونضحك، وبعد السوالف أروح أنام، وبعدها أصحى الفجر نصلي الفجر وتتحرك القوافل، واستمرت القوافل بالمشير لمدة (14) أربعة عشر يومًا حتى وصلنا لبغداد التي تعتبر من أكبر ألوية الدولة العثمانية ومن أهم مراكزها التجارية.

وبعد وصولنا لبغداد قام الرجال بتنويخ الإبل وترويتها وحراستها، وكل تاجر يقضي أشغاله، وأما والدي فقد ذهب مع عدد كبير من الرجال لأسواق بغداد لشراء البضائع ورحت معه لوجهتنا الأولى؛ سوق بالشورجة وهو سوق هائل حواله اسواق كبيرة مثل سوق الغزل، وكان والدي معروف وله شعبية في بغداد وله الكثير من المعارف والأصحاب في بغداد أغلبهم بغداديون، وأيضًا كان له علاقة ببعض الضباط العثمانيين.

وبعد ما صلينا العصر في جامع كبير بوسط السوق وقريب منه منارة قديمة معروفة، وبعدها توجه والدي لبعض دكاكينه حيث كان والدي يملك عدد من الدكاكين بالشورجة، ومما أذكره من الحوادث هو لما دخلنا لسوق الشورجة وكان عددنا قرابة السبعين رجل منهم أربعين رجل كانوا من الحرس والعبيد والموالي اللي يملكهم والدي، وبعد ما مشينا شوي بدأ العشرات من الناس في الوفود والسلام على والدي، وفي البداية حاول الحرس إبعادهم عن والدي حتى أن بعض الحرس بدءوا في إطلاق النار بالجو لإبعاد هالجموع لأنهم كانوا يحسبونهم ناوين على شر.

لكن وضع لهم والذي أنهم جو يسلمون وبدأت هالجموع يرحبون
بوالدي ويقولون يا أهلاً وسهلاً بعزیز باشا، ومن هالكلام يحاولون
هالعراقيين مع والذي لكنه كان عارف لهم، وتقابل والذي مع أصحابه
من كبار تجار بغداد مثل التاجر انور التركماني وسامي حسون من كبار
تجار الأقمشة والسجاد ببغداد، واشترى منهم والذي الكثير من البضائع
المتنوعة وكتبنا مكتوب أنهم يسلمونا البضائع بعد ثلاثة أيام ونعطيهم باقي
المال.

ولما انتهينا من الأقمشة والسجاد، ذهب والذي الى أحد دكاكينه
الكبيرة؛ فيه دكان فيها عماله وصبيانہ ولما وصلنا دكان التمور الكبير
وجنبه في دكان للحبوب هم كان لنا، وبدأ الصبيان بحساب البيع
والمشتري وتوضيح ما صرفوه ودفعوه للضرائب، وبعد ما تم الحساب
أخذ والذي الاموال.

وبعدها وصلنا لأحد خانات بغداد الكبيرة اللي كانت قريبة من نهر
دجلة وهو نهر كبير جداً وفيه الكثير من القوارب ويتفرغ لعشرات الأنهار
الصغيرة، ويوم دخلنا أجرونا (9) تسعة دور للنوم، وقال والذي لبعض
العبيد يروحون يم الإبل ينامون هناك مع بقية رجال القافلة، ويحضرون
الفجر بالخان وبقية الحراس. كل مجموعة ناموا في دار.

وفي الفجر صلينا وتقهرينا، وبعد ما أصبحنا ذهبنا مع مجموعة من
الحرس لدكاكين الذهب والقطن في بغداد واشترى والذي من الصاغة
بعض الذهب المشغول بسعر غالي وعدد من الأساور والتراحي هدية
لخواتي الصغار، وبعد ما خلصنا من الذهب شرينا بضائع متنوعة من
أسواق بغداد وشراء البضائع أخذ (8) ثمانية أيام، ولما خلصنا من الشراء،

قال والدي أبي أزور الأصدقاء قبل ما نتحرك لحلب بعد يومين، قلت له أبشر.

وأخذني والدي في آخر يومين ببغداد وزرنا عدد من أصدقاء والدي اللي ببغداد واللي أذكره منهم محمد بن نوري باشا بن إبراهيم بيك بن عبد الجليل بيك عراقي من أهل بغداد، وهم من الأسر اللي لهم نفوذ ببغداد، والحاج محمد العسافي نجدي ساكن ببغداد، وعبدالرحمن جلبي ثنيان نجدي ساكن ببغداد، والملا حمادي بن عرموش عراقي من أهل بغداد وعائش الشمري عراقي وساكن ببغداد، والحاج سليمان الصالح نجدي ساكن ببغداد، وتجارته ما بين بغداد والشام وغيرهم الكثير.

وفي اليوم العاشر، صلينا الفجر وتوكلنا على الله موجهين يم ولاية حلب وكان عددنا أقل بسبب عودة بعض التجار للبصرة بعد بغداد، وتوجه تجار آخرين لديار أخرى، وكانت القافلة تحوي قرابة (10000) عشرة آلاف بعير، لوالدي منها قرابة (7000) السبعة آلاف بعير ولبقية التجار (3000) ثلاثة آلاف بعير حيث باع والدي (600) ست مئة بعير بسبب عدم الحاجة لها، وبعد للحصول على أموال زائدة تكون معنا لشراء الأكل والشرب لأن الرحلة من بغداد لحلب أطول من الرحلة بين البصرة وبغداد.

ويوم تحركنا من بغداد لحلب، الأرض ربيع والزرع فيها على مد النظر بسبب توفر الماي من أهل هالديار واستمرينا في التحرك (21) واحد وعشرين يوم، دخلنا فيها متصرفية الزور بدون أي مشاكل، وفي ضحى اليوم الثاني والعشرين لاحظت الدرب زاد خضاره وشفّت زرع أعشاب غريبة ما مرت عليّ من قبل ولا شفّت مثله في صحارى نجد أو البصرة.

وعينت الكثير من القيعان والأراضي الزراعية يمين ويسار، ولما سألت الدولة وهو من أهل هالديار وعارف دروبها زين، قال لي هالقيعان والزرع اللي تشوفه يرتوي من نهر الخابور. وقبل غروب الشمس اليوم الثاني والعشرين قطع دربنا نهر الخابور وصار لازم نصعد الإبل للجهة المقابلة، فقال والذي نوقف الحين والفجر نعبر بالإبل يم الضفة المقابلة.

وبعد ما نمنا وصلينا الفجر بدينا في نقل الإبل، وما انتهينا من صعود نهر الخابور إلا على صلاة العصر، ثم أكملنا المسير، وبعد ثلاثة أيام من المسير جونا مجموعة عرب يسألون عن رؤساء القوافل، ويوم وصلوا لوالدي وقالوا من أنت وشلون تعبر هالديار ولا تدفع خاوة، قال لهم والذي أنا أمير هالقوافل اللي تشوفونها عبد العزيز بن ناصر بن محمد بن فيصل بن مالك العنزي وحننا نرجع لفخذ القرشة من المصاليخ من عنزة، وربعي وعيال عمي متسيدين هالبادية ولا أدفع الخوة إلا لهم إن طلبوها، وغير هالكلام ما عندي، يا تعودون أنت وربك ونكمل دربنا ولا منستमित لأجل نحمي حلالنا.

عقبها اختبصوا وبدو يتشاورون بين بعضهم، ثم جاء واحد منهم وقال إنهم من عرب العقيدات يرجعون لقحطان، وأنهم من أكبر عشائر هالمنطقة، ولأننا من عرب المصاليخ من عنزة ماراح يأخذون الخاوة لأجل ما يتصادمون معهم، ثم راحوا وكملنا بدربنا واستمرينا بالمسير ستة أيام لين وصلنا لقلعة عظيمة وقديمة تشبه الحصن معروفة بقلعة النجم عند نهر الفرات الكبير اللي قطع دربنا، ولأجل نوصل لحلب لازم نعبر بالابل للضفة الثانية لنهر الفرات.

وفي اليوم اللي بعده من أول ما أصبحنا بدينا بالعبور ونقل الإبل يم الضفة الثانية ولا خلصنا من صعود الفرات إلا بعد العصر، واستمرينا

بالمسير خمسة أيام حتى وصلنا لحلب في ولاية حلب العثمانية بعد رحلة متعبة ومجهددة خسرنا فيها قرابة (65) خمسة وستين بغير وعدد من الرجال، واستغرقت الرحلة من ولاية بغداد الى ولاية حلب قرابة الأربعين يوم عبرنا خلالها نهر الخابور ونهر الفرات.

ويوم وصلنا لحلب قام الرجال بتنويخ الإبل وكل تاجر راح يدور رزقه، وبقي الحراس والعبيد عن الإبل لأجل يحرسونها، ودخل مع والدي مجموعة صغيرة من الحرس الخاصين بالوالي داخل حلب اللي انفتنت بجمالها، فكل ما وجهت نظري لجهة أشوف هالمباني المزخرفة والنقوش والماي محاط بالمباني من كل مكان، حتى ناسها وأهلها ما شافت عيني مثلهم من قبل، لا بالعراق ولا بنجد، حتى كلامهم كان صعب علي وقتها، لكن تالي صرت أفهمه وأقدر أتكلم مثلهم إذا بنيت.

وأول مرة سمعت حلبي يحكي طالعت والدي وسألته أهل حلب عرب ولا عجم؟ ضحك والدي وقال لي أهل حلب يا ولدي عرب لكن لهجتهم دخل فيها بعض من العثمانية ومع الزمن صارت لهم لهجتهم يعرفون فيها، وأجرنا دور في خان الوزير الكبير وهالخان ما يسكنه إلا الأثرياء والتجار الكبار، لأنه على جبل وشوفته وسكنته تسر العين والخطر.

وبالخان كان في مثل المكان المخصص للأكل وكنت أتردد عليه أنا والوالي لأجل ناكل فيه لأن أهل حلب كان أكلهم طيب، وعندهم شغلوات واجدة أول مرة أكلها أو أعرف أنها توكل، واللحم يصلحون منه، طبخات عديدة، وأنا كنت متعود إن اللحم عندنا نشويه أو نطبخه.

وفي اليوم الأول بحلب، ما اشترينا أي بضاعة، ولمن في اليوم الثاني

ذهبنا إلى أسواق حلب الكبيرة التي تتميز بوجود جميع أنواع البضائع في هذه الأسواق المتلاصقة والمتفرعة وهي مثل السكك الطويلة بعضها مفتوح وبعضها مغلق بأسقف يبيع الفتحات، ومحاط بالأحجار المزخرفة والرسوم، وهالأسواق كثيرة العدد وكل سكة سوق بحالها، وكل سوق يختص ببيع بضاعة معينة وهذه الأسواق المجتمعة مع بعضها والمتلاصقة كبيرة يسهل الضياع فيها، ولازم الواحد يكون مفتاح وذكي لأجل ما ينفش.

بالبداية توجهنا لسوق الصابون؛ وهو مثل السكة الطويلة وعلى اليمين واليسار محلات تباع جميع أنواع الصابون الحلبي الزين اللي هو صابون الغار، واشترى والذي من (8) ثمانية دكاكين متنوعة عدد كبير من الصابون، قال والذي نبي نروح لسوق النحاسين وهو موجود في شمال الأسواق قريب من قلعة حلب، ومشينا مسافة طويلة لين وصلناه.

ثم تقابل والذي مع بعض تجار النحاس الكبار اللي بالسوق، وطلب صنع عدد من المشغولات النحاسية مثل الدلال والصواني وغيرها بصفات معينة لأجل تنباع بنجد، واتفقنا على التسليم بعد (7) سبعة أيام، وبعدها توجهنا للخان، وفي اليوم التالي وجهنا يم سوق الزرب وشرينا بعض حوائج الإبل وعدد من البشوت، ثم ذهبنا إلى سوق الأبارين المعروف بالروائح وكان فيه عدد من محلات العطارة والتجار اللي يبيعون البهار والزعر الحلي وغيره، وشرينا منهم البضائع.

وفي اليوم التالي توجهنا يم سوق قرعة قماش، وفيه محلات واجدة تباع عبي سوداء وشرينا منهم مجموعة من الباشيات والملايات، وبعدها دخلنا سوق القوافين وشرينا منهم عدد من الصرامي الحلبية والنعل

والحبال، وقعدنا في حلب قرابة (16) الستة عشر يوم شرينا فيها الكثير من البضائع المتنوعة، وأنا في حياتي ذهبت للكثير من الأسواق في العراق والشام والحجاز وما وجدت مثل أسواق حلب المتفرعة لا ببغداد ولا بالبصرة ولا بالشام ولا بالحجاز.

وفي اليوم السابع عشر تحركنا من ولاية حلب متجهين يم ولاية الشام، وتحركت القوافل واستمرينا بالسير بدون أي مشاكل، وكان الدلوله أحمر وعيونه زرق وشعره أشقر يقول إنه فاعوري ومعه ربعه يقال لهم الفواعرة، وأنا كنت أظن أنهم شركس، وأول الأمر قال إنه فاعوري وقلت له ما خبرت أن فيه عرب يقال لهم الفواعرة، وقال لي حنا من عشائر الشام البدوية لكن عددنا قليل وموجودين بهالديار حول حمص، قلت له والنعم فيكم وتتشرف بمعرفة الرجال.

وفي اليوم التالي، وصلنا لمكان قريب من ديار عيال عمه فقام الفاعوري يدعونا عند جماعة من أقاربه، وحاولنا نتجنب هالدعوة لأننا نبي نوصل للشام بأسرع وقت، وأصر الرجال على دعوته إلى أن حلف بالطلاق؛ وقال حرمتي طالق إذا ما تقهويتو على الأقل عندنا، فغضب والدي من الرجل ونهره وقال ليش تربط مصير حرمتك فينا؟ وتوقفت القافلة وذهبت أنا والوالدي مع بعض الحرس والعبيد لقرابة هالفاعوري.

ثم يوم وصلنا رحبوا فينا، وقبل لا ندخل خيمة كبيرهم قال والدي يالفاعوري منت بصاير أكرم من المصلوخي، وأمر والدي بتنزيل بضائع عشرة من الإبل وأهداها لشيخهم الكبير اللي قبلها، وتقهوينا وعرفونا بعشيرتهم وعرفونا بكباريتهم، وعرفناهم بأنفسنا واللي أذكره أنه أغلبهم كانوا حمران حيل، وكان فيه بنيات صغيرات أعمارهن قرابة (8) الثمان

سنوات، جميلات وشعورهن طويلة وشقرا وعيونهن ملونة بعضها زرق وبعضها خضر، وأنا أظن هالجمال والبياض اللي بالفواعة بسبب بعض العروق اللي خالطتهم، وبعدها ودعنا هالعرب ورجعنا لقافتنا، وأكملنا المسير ومعنا الدلولة وربعه، وبعدها بستة أيام وصلنا للشام في رحلة استغرقت قرابة (12) الإثني عشر يوم، وبعد توقف القوافل ذهب التجار الآخرين لشراء البضائع.

وذهبنا أنا ووالدي وبعض الرجال لسوق الحميدية أولاً والسوق تسمى بالحميدية نسبة للسلطان عبد الحميد الأول وكان والدي يملك ثلاث دكاكين فيه، ورحنا لسوق الحميدية واللي شدني فيه هو سقف السوق كان عالي حيل وطريقة بناه يشابه أسواق حلب وهم الحميدية سوق كبير مكون من مجموعة أسواق متلاصقة، كل مجموعة محلات في سكة تبيع بضائع معينة.

وأول ما دخلنا السوق توجهنا یم محلات والدي، ويوم وصلناها سلموا عمال وصبيان والدي اللي ماسكين دكاكينه علينا، وواحد منهم جاب لنا شراب عرق سوس، وبعد السوالف تحاسب والدي ويأهم وبينوا لنا البيع والمشتري والأرباح والمصاريف مالت الشهور اللي فاتت، وكانت مكاسب هالدكاكين توصلنا كل ستة شهور مع أحد رجال والدي اللي يثق فيه اسمه ناجي الرويلي، وبعدها يجيب الغلة كان والدي يكرمه، وإذا جاء يمشي يعطيه والدي مبلغ من المال لأجل أمانته ومحافظة على سير العمل هناك، وانتظامه في إحضار الغلة.

ولما خلصنا من الحساب ذهب والدي لواحد من ربه اسم أبو عمر الشامي، رجل شامي ثري أظن إنه تاجر وله علاقة مع الدولة وتقهيونا

عنده، وبعدها طلب والذي شراء بعض البنادق منه، وفي ذيك الفترة ما كانت البنادق منتشرة بشكل كبير مثل الحين، حتى نجد وقبائلها ما يملكون أعداد كبيرة من البنادق وقتها، وبالبداية قال أبو عمر الشامي لوالدي يا عزيز باشا أنت غالي لكن طلبك صعب وما أقدر ألبه لك، ورد عليه والذي وقال يا أبو عمر أنا كنت عارف إنك بتقول هالكلام ومنشان هيك أنا جايب لك شي غالي عليك. وصوت والذي لثلاث من عبيده حملوا صندوق لوالدي وحطوه قدامه، وكان أبو عمر جنبه وفتح والذي الصندوق وكان ميان ذهب، وقال والذي ها متى أستلم طلبتي؟ قال أبو عمر حلفتني بالغالي يا عزيز باشا تعال بعد ثلاث أيام وراح أسلمك (80) ثمانين بندقية مع الذخيرة، وبعد ثلاثة أيام استلمنا البنادق، (40) أربعين بندقية أم قمع مسكوف منقوشة بنقوش ذهبية و(40) وأربعين بندقية أم إصبع مع الذخائر وحملناها معنا.

وبعد ما شرينا السلاح حسبنا أنا ووالدي اللي تبقى معنا وخصصنا نصفه لشراء بضائع من الشام ونصفه نخليه معنا من أجل رحلة العودة للبصرة، وبالفعل في اليوم الخامس لنا بالشام عدنا لسوق الحميدية واشترينا بضائع متنوعة من سوق الخياطين وسوق العرايس وسوق مدحت باشا وغيرها من الأسواق وزرنا بعض معارف والذي من الشام، بعد أن جلسنا قرابة (18) الثمانية عشر يومًا.

وفي جمادى الأولى من سنة 1295هـ قررنا التحرك والعودة للبصرة، وكان عدد الإبل في رحلة العودة (8000) ثمانية آلاف بعير بحمولتها، وكان خط سير القوافل من ولاية الشام إلى ولاية البصرة يقطع بادية الشام من غربها إلى شرقها، وهالصحراء لا تتبع الدولة العثمانية وفيها الكثير من العشائر ولها السبب شرينا المزيد من السلاح للدفاع عن القوافل من

أي هجوم من قطاع الطرق، ومن يمتن السرقه، واستغرقت الرحلة من ولاية الشام إلى ولاية البصرة قرابة (50) الخمسين يوم واجهنا فيها الكثير من الصعوبات.

حيث تعرضت القافلة لثلاث غارات من مجموعة من قطاع الطرق، واللي كانوا يهاجمون القوافل من الخلف، وقتلنا منهم من قتلنا وقتلوا منا من قتلوا ومع أنهم استطاعوا نهب ما يقارب (40) الأربعين بعير، ومن الخسائر أيضًا عدد من الإبل التي عقروها أثناء الغارات لأجل نهبها، ولكن الحمد لله قدرنا نحافظ على حلالنا وصدّيناهم، وبعد الكر هربوا هالجماعات، وأذكر ذبحنا منهم قرابة (30) الثلاثين رجالًا رميًا بالبنادق وهم ذبحوا منا حول سبعة عشر رجلًا واللي أذكره من رجالنا اللي ماتوا سليمان الحمد وأحمد الصالح وعبد الله الجاسر ومحمد بن حسين وغيرهم، والحمد لله على كل حال.

ولما وصلنا البصرة هلت الناس ورحبت، وجونا ربنا والتجار اللي لهم بضائع عندنا والناس تجمعت حول الإبل، رجال وحريم نجادة وعراقيين، وبدينا بالحساب وكل واحد تكاتبنا حنّا وياه بمكتوب جابه من له حق عندنا سلمناه بضاعته، واستلمنا المال بعد التأكد من المكتوب واللي اتفقنا عليه. واستغرق تسليم البضائع والحسابات قرابة (8) الثمان أيام، وبعد ما تحاسبنا مع الحرس والرجال والحاشية اللي طلعت معنا وأكرم والدي كل حارس بمبلغ من المال غير أجورهم، وكسب والدي مال كثير ووفير أكثر من اللي كنا متوقعينه بعد بيع ما يقارب (4000) الأربعة آلاف بعير بحمولتها وبضائعها على تجار البصرة النجادة والعراقيين والعجم واليهود.

وهذا غير قرابة (2000) الألفين بعير كانت مخصصة لنجد، ومع أننا تكبدنا ما قيمته (380) ثلاث مائة وثمانين بعير بحمولتها دفعناها ضرائب للدولة، وخسارة قرابة (250) المائتين وخمسين بعير ما بين هلاك للإبل بسبب الجهد، وعقر الباقي أثناء إغارة قطاع الطرق والسارقين للقوافل، وسرقة (40) أربعين بعير بحمولتها من قبل قطاع الطرق، وهذا غير أجور الرعاة والطباخين والحمالين وأجور الرجال اللي طلغوا معنا. لكن الحمد لله طلغنا بمكاسب كثيرة ومال كثير آخر الأمر.

ومثل هالرحلات خطيرة جدًا، لأننا طلغنا بكل ما نملكه من أموال، ولو لا قدر الله خسرنا الإبل والبضائع كان ذهب ثروتنا ومالنا غير التعرض للموت، وطول زمن الرحلة اللي يقارب الخمسة أشهر تنقلنا فيها لعدة ولايات، لذلك أنا بعد وفاة والدي رحمه الله حصرت رحلاتي التجارية ما بين البصرة ونجد، ولا أطلع إلا بجزء من الحلال ما يزيد عن أربع مائة إلى خمس مائة (400 - 500) بعير في أشد الحالات لأن خسارة الجزء مو مثل خسارة الكل.

ملحق رقم (3)

قصيدة الخروج

للشاعر محمد بن عبد الله العوني

مناسبة القصيدة

في عام 1321هـ، قام أهل القصيم الموجودون في الكويت بإثارة الشاعر محمد بن عبد الله العوني لينظم قصيدة يستحث بها همم الفرسان من العقيلات للمشاركة في الدفاع عن القصيم ومحاربة عبد العزيز بن رشيد إلى جانب الملك عبد العزيز آل سعود، رحمه الله، فنظم القصيدة؛ والخروج هي الناقاة التي فقدت ولدها.

خلوج تجذ القلب با تلا عوالها	تكسر بعبراتٍ تحطمن اسلالها
تهيض مفجوع الضمير بحسها	لا طوحت صوتٍ تزايد هجالها
قد قلت لك يا ناق بسك من البكا	لا تبحين النفس عما جرالها
لا تفجعين القلب بالله هوّدي	واللي خلوج خبت البين بالها
تبكين فرقا حقة شدة العرب	ضاعت يمين البوش والاشمالها
تجيك يا ناق الخطا والا يجينها	وان كان ضاعت لك بديل بدالها
أنا يا خلوج ما تعدد مصايي	لا علّتي تبراً ولا ينشكى لها
لو البكا يا ناق عني يحلها	بكيّت بيض أيامها مع ليالها
ولو البكا يا ناق يرجع بغايب	بكيّت لين العين ييس ثمالها

وبكيت على الاثنين ما دذذع الهوا
وبكيت على دار نشينا بربعها
ومن شرق طعسين الأراخم تحدّها
دار لنا في نجد كان جنة قبل ذا
وصفه من الخفرات بيضا عفيفة
حسودها يغضي اليها جا حولها
هي أمّنا يا حلو مطعوم درها
برور بنا ما مثلها يكرم الضنا
تلقى علينا الجوخ والشال فوقنا
ولا أحد جزع من صبحته يوم سلبت
قلت آه واويلاه يا خيبة الرجا
يا طارش من فوق سراقه الوطا
حابل ثمان سنين ما مس حبلها
فليا بدالي لازم قلت شدها
ولا تعتني بالخرج ماذي بحزته
فليا سرت خذالي بالرسن قدر ساعة
فليا ختمته بالسلامة فحثها
اوصيك يا مرسال بالسير والسرا
فليا سرت خمس وعشر معرّب
فليا جيت سوق العصر تاتيك غلّمة
يقولون لك يا صاح عطنا علومك
قل كل بلدان القصيم وغيرها

وبكيت على فتخان الايدي زلالها
معلومها خشم الرعن من شمالها
بين اللوى والسر ما أطيب سهالها
ومن صكته غُبر الليالي عنالها
يفوق البيض باهر جمالها
من خوف عيال تربوا بجالها
غذتنا وربّتنا وحنّا عيالها
وصول لنا لكن نسينا وصالها
وهي عارية تبكي ولا أحد بكى لها
ولا حد نشد من بعد ذا وش جرالها
كيف أمّنا تهضم وحنّا قبالها
هميم اليها سارت ذعرها ظلالها
ولا برّكت للشيل جملة حيالها
واضبط على الفزات مقضب جبالها
خذ قربتك واجعل زهابك عدالها
أبلغك عن دق المسایل جلالها
من ديرة الجابر سقى الغيث جالها
وحذراك نوم الليل عينك تنالها
مرواحك الميدان منهى منالها
تخثّع بزبنات البريسم نعالها
بلدان نجد عقبنا وش جرالها
رمت كل دار دون جالها رجالها

إلا داركم من بعدكم تندب الثرا
 لعبوها الاجناب لا رحم حيكم
 وشيياتكم تضرب على غير موجب
 أولاد علي اليوم ذا وقت نفعمكم
 أولاد علي اليوم ما هو باكر
 أولاد علي ترا الليالي قصيرة
 ولا تتبعون الهون والعجز والعسى
 أو كود أو لا بالرجا قولة إذا
 ذي قالة ما ينطحه كود نادر
 ترا مركب الأخطار هو مركب العلا
 ترا بالسيف العز والمال والبقا
 قوموا براى الله واقضوا ديونكم
 مقدم أبو جابر على العز والبقا
 اليا احترك سبع القبائل تحركت
 قوموا برأيه ثم راى ابو ثامر
 عرف السخا بحر الندى مرهق العدا
 هيح سباع الحرب بالبر والبحر
 ومصقلات الهند تدعى له البقا
 من كثر مامسهن على السير والسرا
 قوي باس ما يلين لمعضلة
 شال الحمول الكايدة يوم جدعت
 تضرابه السرحان والنمر والفهد
 تبكي على الماضين واعز تالها
 والبيض بالبلدان شتت رحالها
 من عقب عظم الجاه تنتف سبالها
 لا رحم ابو نفس اتاجر بمالها
 قوموا بعزم الليث خلّوا رزالها
 ولا للفتى كود الثنا من نوالها
 أو ربما أو ليت يتعب سوالها
 هذيك مالحقوا هل العجز جالها
 أولاد علي من بكم قال أنا لها
 ولا يدرك المقصود كود احتمالها
 بجنة خضرا وخضرة ظلالها
 انتم هلل القالات متم رذالها
 عنا ثقيات الحمول ارتكالها
 واليا سكن تسكن رواسي جبالها
 أبو كلمة يافي بها حين قالها
 إذا اشتدت الهيجا تعرفه رجالها
 والشمس تشكي عتج خيله ينالها
 والخيل والعيبرات تشكي هزالها
 ومن كثر ما خاضت مهامه سهالها
 وإن صكته صعبات الأحوال شالها
 وأعفى زمول جدعتها وجالها
 من هيته كلن رقد في ظلالها

أقسمت بالنور والكرسي والضحى
فلا جابت الخفرات سعدون أو مشا
ما مثل أبو ثامر اليا ضبضب القهر
له هدة ما قيل ابى زيد هدها
على سابق تعطيه على ما يريد
كمن لطم العرائن فوقها
شبية تروي مقادم حريبها
اليا صاح بالنشاما على الموت سبلوا
نشاما يرون الموت بالعز متجر
أبنسف على بعض الشبية ملامه
اللي هم شفيقين على عز شيخهم
هل كيف عبد الله حما الخيل وابنه
وتركوا بنقيان الصريف ترودهم
وهم يزرعون العيش ماكن كارهم
لو لا أبو ثامر برّد حر خاطري
سنة مهلهل مع كليب خليصة
وإن عاش أبو ثامر وسانع له الهوى
تبكي قصايرها وتبكي حليلها
هذا وتم القيل والله به الرجا
وأشهد بسكاب المطر من خيالها
مثله على وجه الوطا من رجالها
والخيل زاد من البلنزا اشتغالها
ولا عتتر المشهور ما قيل نالها
وتكره صناديد القبائل خيالها
وغياهب السعدون تتبع مجالها
وذا من قديم طبع جدها وخالها
وردوا كما سيل حدر من جبالها
ومجاول الفرسان غاية سوالها
وتكرم على شيل الملامه سبالها
اليا عز شيخ القوم عزّت ارذالها
ملحق قصيرات السبايا طوالها
الضبعة العرجا وتندب عيالها
ويلاه يا عين تزايد اهمالها
فرض سنة الشغموم وأيتم اطفالها
فرضها أبو ثامر وجدّد اسمالها
كم خفرة ترمي الغطا عن جمالها
وتبكي مشافيقه وترمي دلالها
وصلّوا على المختار مهما خيالها

ملحق رقم (4)

أسرة البسام

بحث كتبه (بدر البسام) عن تاريخ الأسرة

وقد اقتطفت منه الباحثة ما يتعلق ببحثها

مؤسس الأسرة حمد البسام هذا هو حفيد العالم الديني والقاضي الشهير الشيخ أحمد بن محمد بن عبد الله بن بسام بن عقبة بن ريس بن زاخر بن محمد بن علوي بن وهيب الذي ولد ونشأ في مدينة أشيقر، لكنه أنتقل إلى مدينة ملهم في القصب عام 1010هـ (1602م) ليعمل فيها قاضياً، ثم انتقل في عام 1015هـ (1607م) إلى مدينة العيينة وعمل فيها أيضاً قاضياً حتى وفاته في عام 1040هـ (1631م).

وبعد وفاة حمد البسام مؤسس الأسرة عام 1790م تقريباً في مدينة عنيزة، استقل كل ابن من أبنائه الستة (إبراهيم وسليمان وعبد الرحمن ومحمد وعبد القادر وعبد العزيز) في العمل التجاري والزراعي في المدينة، وقد استمر هذا الحال لستين عاماً ونيف تقريباً، ذاع خلالها صيتهم في عنيزة ثم في مدن نجد الأخرى، فقد كانوا تجاراً لهم سمعتهم الطيبة وكلمتهم واحدة لا تتغير في تعاملاتهم، كما كانوا يراعون ظروف الناس عندما تحلّ بهم المصائب والمصاعب. فتناقلت الناس في نجد وشمال الجزيرة والخليج الأحاديث والروايات عن كرمهم وطيبتهم،

وأغلب تلك الروايات غير موثقة كتابةً بل يرويها كبار الناس من الحضر والبدو لأبنائهم، إذ كان من الصعب توثيقها في بيئة صعبة كمنطقة نجد خصوصاً في القرن التاسع عشر الميلادي عندما كانت الحياة آنذاك صعبة جداً والتنقلات محدودة. مع هذا، قام الرحالة دواتي في القرن التاسع عشر بوصف الحياة الاجتماعية والسياسية في مدينة عنيزة، وصفاً دقيقاً في فصلين من كتابه الذي صدرت طبعته الأولى في عام 1888م، وتحدث عن حياة المدينة وشخصياتها المهمة، ذاكراً عدة شخصيات مهمة من عوائل السليم والخُنيني والبسام، موضحاً دورها الاجتماعي في المدينة.

كان العراق والشام مركزين أساسيين للتجارة مع نجد، وهما أيضاً الملجأ الرئيسي لأهل نجد والبادية عندما تشح الأمطار أو تتعرض المنطقة للمصائب أو الحروب، وبالإضافة إلى مشقة وطول السفر يتعرض سكان المدن النجدية من الحضر إلى غزو القبائل البدوية لقوافلهم المتجهة إلى العراق والشام ومصر، الأمر الذي دفع التجار إلى إيجاد حل لهذه المشكلة فنشأت في نجد مهنة تسمى العقيلي، والعقيلات هم رجال نجديون من حاضرة مدن القصيم (مثل بريدة، وعنيزة، والبكيرية، والمذنب) امتهنوا مهنة تسيير القوافل المحروسة والمزودة بالإدلاء والغذاء من مدن نجد إلى جدة ومكة والطائف والبصرة وبغداد ودمشق وعمان والقدس وغزة والسويس وبلييس والقاهرة. ويستطيع التجار والمسافرون السفر أو شحن بضائعهم مع أحد هؤلاء العقيلات بأمان وثقة مقابل أجر متفق عليه. فقد اشتهر العقيلات النجديون بالأمانة ووفاء الوعد، واستفاد العقيلات من سفراتهم هذه أيضاً في التجارة الخاصة بهم، ثم أصبح بعضهم تجاراً بسبب مهنتهم التي تتيح لهم نقل البضائع. ظهرت مهنة العقيلات تقريباً قبل عام 1730م بفترة قصيرة وذلك إبان الاضطرابات السياسية في العراق

الذي تحول إلى ساحة حرب بين الدولتين العثمانية والفارسية في الربع الثاني من القرن الثامن عشر، وتقطعت خطوط القوافل بسبب انعدام الأمن، فلبجأ الناس إلى القوافل المحروسة للوصول مدتهم في نجد. وقد أعاد هؤلاء العقيلات بعض الأمان إلى خطوط التجارة بين مدن نجد والعراق والشام ومصر، لكن مشقة السفر ومخاطر الحروب القبلية في شبه الجزيرة العربية بقيا، فمثلاً كانت الرحلة من عنيزة إلى البصرة تستغرق على الجمال حوالى الشهر تقريباً.

محمد عبد الله عبد الرحمن حمد البسام

وهو من كبار تجار الشام وشبه الجزيرة العربية في الماشية وغيرها، وهو أيضاً من أبناء عبد الله عبد الرحمن حمد البسام. وكان معروفاً لدى كبار تجار الشام والعراق وكافة شيوخ وأمرأ تلك المناطق مثل شمر وعنزة. استقر في دمشق عام 1885م. ولقبه الجميع بأمير العقيلات وفارسهم، وصار له نفوذ كبير في مدن الشام كدمشق وعمان والقدس وغزة، وكذلك في شمال الجزيرة وفي نجد، لكرمه وحسن ضيافته، إذ يروي كثير من كبار السن حكايات جميلة عنه وعن والده. كما ربطته علاقة صداقة بملك العراق فيصل الأول منذ أيام الثورة العربية عام 1916م التي قادها العرب ضد الأتراك بقيادة الشريف الحسين بن علي والد الملك فيصل الأول. وبعد احتلال الفرنسيين لدمشق بناءً على اتفاقية سايكس بيكو مع بريطانيا وقف محمد البسام مع الأهالي ضد الاحتلال وساعدهم خصوصاً بعد انهزام الجيش العربي الضعيف التسليح بقيادة يوسف العظمة أمام الجيش الفرنسي الحديث التسليح بقيادة هنري غورو في معركة ميسلون (1920م)، وقام محمد البسام بمساعدة قيادات الثورة

والملك فيصل الأول في الاختباء من الفرنسيين ثم ترحيلهم سرّاً إلى شرق الأردن الجديد الذي كان يحكمه الملك عبد الله بن الحسين شقيق الملك فيصل، لكن هذا الأمر أثار فيما بعد سخط الفرنسيين عليه وغضبهم فضايقوه حتى خسر تجارته في دمشق واضطر إلى مغادرة دمشق إلى بغداد (العراق الحديث) في عام 1925م فاستقبله الملك فيصل الأول في بغداد وعينه عضواً في مجلس الأعيان عن لواء المتفك (الناصرية - ذي قار) وأعطاه حق التنقيب عن الذهب فيه، فأصبح مجلسه في بغداد ملتقى لكبار القوم. تعاقد محمد البسام مع شركة نيرن المعروفة برحلاتها البرية لنقل المسافرين بين مدن العراق ومدن الشام، وكان أسس هذه الشركة الأخوان جيري ونورمان نيرن الأستراليان اللذان استقرا في بيروت بعد الحرب العالمية الأولى وعملوا في مجال صيانة السيارات الجديد على المنطقة آنذاك، وعندما فكروا في تسيير هذا الخط لجأ إلى محمد عبد الله البسام لتأمينه لهما بين العراق وسورية، فهو الشخص المناسب لذلك، فأصبح وكيلاً لشركتهما. توفي محمد البسام في بغداد عام 1934م تاركاً سجلاً حافلاً في الكتب العربية وفي الوثائق البريطانية وسمعة عطرة لدى جميع الناس، وله من الأبناء أربعة هم إبراهيم الذي عمل نائباً لمدير البنك العربي في العراق منذ تأسيسه (توفي في عام 1960م) وعبد الغني (توفي في عام 1963م)، وفيصل الذي عمل نائباً لرئيس شركة النفط السعودية أرامكو لفترة طويلة (وهو الآن في مدينة الخبر)، وهشام الذي عمل نائباً لمدير الخطوط الجوية السعودية (وهو الآن في مدينة جدة). لقد اعتمدت مدينة دمشق حارة تقع في المنطقة القديمة من العاصمة السورية (طلعة العفيف - حارة المهاجرين) التي كان فيها بيت ومضافة العم محمد عبد الله عبد الرحمن حمد البسام، كمنطقة أثرية، وسميت حارة البسام تخليداً لذكراه.



حارة البسام



ملحق رقم (5)

صور وثائق للعقيلات



صورة للإمام عبد الله بن سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود
(ت 1818م / 1234هـ) ويبدو فيها العقال والزي العربي الدارج


من هذه العدة الخفية والاعتراف الفاضل المحترم صاحب ابنه صاحب السلم الله تعالى وحفظهم
 امين وبعد فاني اهدي سلامي الى رحمتها وزوج كبريائها ابنت عينا
 الذي من بركاتها علينا ان صار لنا منكم نسب وصهل في ما يرتبها
 ان صارنا اخدا صخر من ياد وسقادر زاد الله في ايامكم وحفظكم في
 رسم وعلايتكم فانكم سلاله الاطياب وبقية الانجاء اهل الفخر
 والفضائل والنجاة اجدوا لوالدكم الفاضل والمكابر المرحوم الذي حفظهم
 الله به من بقاء العباد فحيي بينا عجب اهل بيته صلى الله عليه واله وسلم الابرار
 وبعد فان مشرفكم وحار الاحمس بلبس الجود وتلينه سرور يدا وحمدنا الله على
 صحتكم وصحة اولادنا وصحة وعلا شجاركم لنا ولم ننسونا فلا دري
 باي معرفتكم انكم نقدر الله ملكته فاحل ب فخر الله من رحمتها
 الجف او اكل من عسل اولادنا واسلمهم على نفسك الكبرية وعلى ابن عينا
 صاحب على والدته واولادك المسعور وخاله وعلى اخوته مامه وعلى
 بعض عبيدكم ومنه وروني عبد الغني وعياله عبد الله واحد وسلمان السلام
 على نفسكم من غير عذر او اهل بيتا طيبين وسليما وفي صلواتي وروني
 وولدت ابنتهم في طرد عندهم انهم ابيد وهم لم يتحقق شرا عنة ناسه منكم
 لعله لم يكن فيهم سلاح حصة في جواب ولا غير وانتم في ما ان الله وحفظهم
 واهلهم حرم ١٣ ربيع اخر ١٢٧٥ وشكر على اشعارهم بكتاب
 ارسلنا قبل هذا فطامع اسما بان العبد الله بنبر لعله وبكلامكم
 والله نفرد ونتمنا لربنا خياكم واولادنا بنفوس
 طيت فكم حظا صاحب المرحوم خبير بما في ذلك اسكنه اياك

رسالة من بريدة إلى جد الباحثة في سورية مؤرخة في 13/4/1375هـ



جد الباحثة (صالح بن محمد بن عبد الله الخضير)
كان يعمل هجّاناً في سورية أثناء الحكم الفرنسي لسورية

<p style="text-align: center;">- ٣ -</p> <p style="text-align: center;">يشتمل هذا الجواز على ٢٢ صيغة</p> <p style="text-align: center;">جواز سفر PASSPORT</p> <p style="text-align: center;">مملكة الحجاز وسلطنة نجد وملحقاتها</p> <p>No. of Passport <u>٢٢٢</u> رقم الجواز <u>٢٢٢</u></p> <p>Name of Bearer <u>Amor Tomanik</u> اسم حامل الجواز <u>عمر طومانك</u></p> <p>مصحوباً <u>بالتفويض</u> <u>بالتفويض</u></p> <p>Accompanied by his <u>other</u> <u>wife</u></p> <p>and by <u>الحسينة وحالتها</u></p> <p>Nationality <u>Indian Subject</u></p>	<p style="text-align: center;">جواز سفر PASSPORT</p> <p style="text-align: center;">مملكة الحجاز وسلطنة نجد وملحقاتها</p> <p style="text-align: center;">KINGDOM OF HEDJAZ AND SULTANATE OF NEJD AND DEPENDENCIES</p> <p>I, the undersigned, Representative of the Government of His Ma- jesty the King of Hedjaz & Sultan of Nejd & Dependencies in <u>India</u> heroby request all local authorities & officials & Others when it may concern to permit to pass freely & without hindrance the bearer of this Passport.</p> <p>Given at the <u>27</u> <u>July</u> 19<u>26</u> of <u>1926</u></p> <p>مأمور المخابرات <u>عبد الحليم</u></p> <p>أرجو جميع المواطنين للكين والسكرك في حكومة مملكة الحجاز وسلطنة نجد وملحقاتها وغيرهم من ذوي الشأن في سائر المحكومات أن يتعاونوا مع المأمور محمل هذا الجواز كما أني أطلب أن يساهوا في سرعة وإسعادوه في محتاج تبه الذين راسه مر في <u>١٢</u> <u>١٢</u> <u>١٢</u> من <u>١٢</u> <u>١٢</u> <u>١٢</u></p> <p>مصدق مملكة الحجاز وسلطنة نجد وملحقاتها <u>عبد الحليم</u></p>
--	---

<p style="text-align: center;">- ٥ -</p> <p style="text-align: center;">صورة حامل الجواز لشمسية</p>  <p style="text-align: center;">توقيع حامل الجواز <u>عبد الحليم</u></p> <p style="text-align: center;">أوصاف الأجزاء</p>	<p style="text-align: center;">- ٤ -</p> <p style="text-align: center;">الوصف — DESCRIPTION</p> <p>Occupation <u>Merchant</u> مهنة <u>تاجر</u></p> <p>Age & place of birth <u>٥٥</u> <u>بغداد</u> سن وعمل الميلاد <u>٥٥</u> <u>بغداد</u></p> <p>Height <u>Medium</u> طوله <u>متوسط</u></p> <p>Hair <u>gray</u> شعره <u>رمادي</u></p> <p>Eyes <u>Dark</u> عيناه <u>داكن</u></p> <p>Colour <u>Brown</u> لونه <u>بني</u></p> <p>Face <u>oval</u> شكل وجهه <u>مستطيل</u></p> <p>Particulars <u>Nil</u> ملاحظات خاصة <u>لا شيء</u></p> <p style="text-align: center;">ملحوظات</p>
--	--

جواز سفر العقيلي عامر الرميح



من الملك عبد العزيز إلى أبناء العقيلي
محمد الضائع التوبجري
نقلًا عن موقع العقيلات



جواز سفر للعقيلي سليمان النجدي
نقلًا عن موقع العقيلات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- لا اله الا الله وحده لا شريك له -

سلطنة السجدة وتوابعها

Sultanate of Mejd & Dependencies.

باسا بورط اي تذكرة المرور

PASSPORT.

TO WHOM IT MAY CONCERN.

Is a subject of the Sultanate of Mejd and Dependencies
and it is hereby requested that he be allowed to pass freely without objection or hindrance.

من هذا السلطنة القادمة مع مستظافها والطرب بالمضربان يمارك بالمرور معقلا بدون مانع او اعتراض

To: الشيخ Who is proceeding From: مكة Reading: مكة

Color of Eyes: الزبد

Signature or thumb impression: الشيخ

General description, including height: الطول و ثقل اللامات

Profession: الشيخ

Address at destination: مكة

This Passport is available until: هذه التذكرة جارية الى

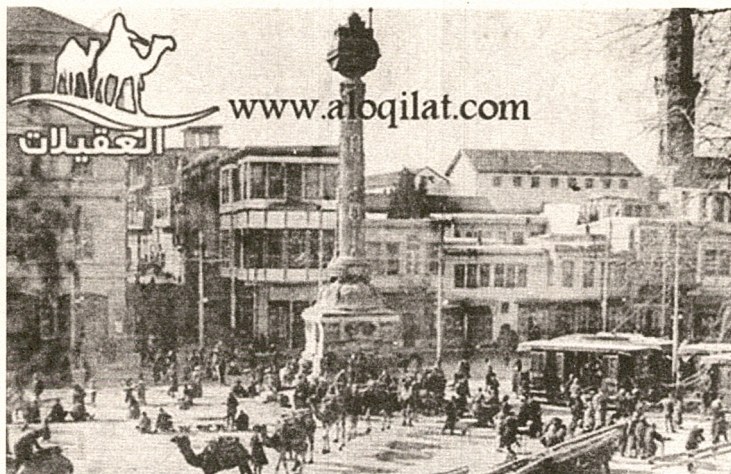
Date: ١٨ Given by order of: السلطان هذه التذكرة بالمر

موسى محمد بن سليمان

Majestic Sultanate 1336-37

Sultan Mejd

١٨



قوافل الجمال في ساحة المرجة بدمشق نقلاً عن كتاب
الحج الشامي ص 209 وموقع العقيلات للوهبي



حمام عقيل: يقع في زقاق بالميدان الفوقاني
 بدمشق مقابل جامع الشيخ يعقوب.
 بني سنة 1220هـ/ 1805م وما زال قائماً لكنه
 عبارة عن خربة مهجورة تهدمت
 معظم جدرانه ولم يتبق منه إلا بابه وواجهته الخارجية المتهالكة،
 ووجود هذا الحمام وتاريخ إنشائه
 يدل على اندماج العقيلات في المجتمع الشامي ومستوى معيشتهم.
 (حي الميدان الدمشقي تاريخه وتطوره،
 أحمد بوبس، وزارة الثقافة، دمشق، 2014م).

العملات



جنيه جورج (أبو خيال)



ريال فرانسة (ماريا تيريزا)



العملة العثمانية

(وثيقة) الرقم: 1623 التاريخ: 1353 / 3 / 25

المرسل: وكيل وزير المالية: حمد السليمان.

المرسل إليه: أمين مالية الجوف: ناصر بن دغيثر.

الموضوع: تحديد مقدار الرسوم على الصادرات من السمن والجمال والغنم إلى خارج المملكة.

نص الوثيقة: مالية الجوف

حسب الإرادة السنية الملوكية يقتضي أن تأخذوا رسم الصادرات على السمن والجمال والأغنام التي تصدر لخارج المملكة خمسة اريال عربي على كل مائة كيلو من السمن.. وأربعة اريال عربي على كل راس من الجمال ونصف اريال عربي على كل راس من الغنم رسماً مقطوع وتعطوهم اوراق بما ترسمو بها. مع العلم ان الكيلو [312] درهم والآفه الأشبولي [400] درهم. 25 ربيع الاول 1353هـ

وكيل وزارة المالية

حمد السليمان

(وثيقة) الرقم: 28 التاريخ: 9 / 5 / 1353

المرسل: أمير الجوف: عبد العزيز السديري.

المرسل إليه: أمين مالية الجوف: ناصر بن دغثير.

الموضوع: تخفيض رسوم تصدير الجمال إلى خارج المملكة.

نص الوثيقة: المكرم أمين مالية الجوف

بناء على أمر جلالة مولاي الملك المعظم أيده الله الواردة لنا في عدد [2480] وتاريخ [3] الجاري يقتضي تخفيض رسوم البعير إلى ثلاثة اربل، فاعتمدوا ذلك واعملوا بموجبه يكون معلوم. 9 جماد الاول 1353

امير الجوف

عبد العزيز السديري

المصدر (العقيل، عبد الله بن صالح، ناصر بن علي الدغثير، موقع المؤلف، انترنت)

المصادر والمراجع

- 1 - إبراهيم، عبد العزيز عبد الغني، نجديون وراء الحدود، العقيلات ودورهم في علاقة نجد العسكرية والاقتصادية بالعراق والشام ومصر، بيروت، دار الساقى، 1991م.
- 2 - إبراهيم، عبد العزيز عبد الغني، أمراء وغزاة، بيروت، دار الساقى، ط4، 2014م.
- 3 - إبراهيم، رجب عبد الجواد، المعجم العربي لأسماء الملابس، القاهرة، ط1، 1423هـ/ 2002م.
- 4 - ابن دريد، أبي بكر محمد، الاشتقاق، تقيق عبد السلام هارون، بيروت، دار الجيل، ط1، 1411هـ/ 1991م.
- 5 - أ. لوكر، مع الهلال والنجم رحلة من بومباي إلى اسطنبول عبر الخليج العربي عام 1868م، ترجمة رنا الصالح أبو ظبي، دار الكتب الوطنية، ط1، 1432هـ/ 2011م.
- 6 - اوبنهايم، ماكس فرايهير فون، بالتعاون مع آرش برونيش وفرنر كاسكل، البدو، ترجمة محمود كيبو، تحقيق ماجد شبر، المملكة المتحدة، دار الوراق، ط1، 2004م.
- 7 - اوبنهايم، ماكس فون، ترجمة محمود كيبو، من البحر المتوسط إلى الخليج، لندن، شركة الوراق، ط1، 2009م.
- 8 - اوبنهايم، ماكس فون، رحلة إلى بلاد شمر وبلاد شمال الجزيرة، بيروت، دار الوراق للنشر، ط2، 2009م.

- 9 - آينهولت، ليكلاما، رحلة آينهولت الهولندي إلى العراق عام 1866/1867م، ترجمة مير بصري، دراسة وتعليق وتقديم: طارق نافع الحمداني، بيروت، دار الوراق للنشر، ط1، 2012م.
- 10 - الأيوبي، إلياس، تاريخ مصر في عهد الخديوي اسماعيل باشا، القاهرة، مكتبة مدبولي، ط2، 1416هـ/1996م.
- 11 - باروت، محمد جمال، التكون التاريخي الحديث للجزيرة السورية، بيروت، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط1، 2013م.
- 12 - باطرفي، خالد محمد، إبراهيم محمد الحسون يتذكر، د.ن. ط1، 1435هـ/2014م.
- 13 - بالجريف، وليم جيفورد، وسط الجزيرة العربية وشرقها (1862 - 1863م)، ترجمة صبري محمد حسن، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، 2001م.
- 14 - بركات، داود، البطل الفاتح إبراهيم وفتح الشام 1832م، القاهرة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2012م.
- 15 - البسام، عبد الله محمد، تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق، تحقيق عارف أحمد عبد الغني، دمشق، دار العراب، ط2، 2015م.
- 16 - آل بسام، عبد الله بن عبد الرحمن بن صالح، علماء نجد خلال ثمانية قرون، الرياض، دار العاصمة، ط2، 1419هـ.
- 17 - ابن بشر، عثمان بن عبد الله، عنوان المجد في تاريخ نجد، حققه وعلق عليه عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله آل الشيخ، مطبوعات دار الملك عبد العزيز، ط4، 1402هـ/1982م.
- 18 - البصري، عثمان بن سند الوائلي، مطالع السعود، تحقيق عبد السلام رؤوف، بيروت، الدار العربية للموسوعات، ط1، 1431هـ/2010م.

- 19 - ابن بطوطة، محمد بن عبد الله بن محمد، رحلة ابن بطوطة في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق محمد عبد الرحيم، دار الأرقم، بيروت، ط1، د.ت.
- 20 - البلادي، عاتق غيث، معجم معالم الحجاز، دار مكة للنشر والتوزيع، ط2، 1431هـ/ 2010م.
- 21 - بلنت، الليدي آن، قبائل بدو الفرات عام 1878م، ترجمة: أسعد الفارس ونضال خضر معيوف، دار الملاح للطباعة والنشر، دمشق، ط1، 1412هـ/ 1991م.
- 22 - بلنت، الليدي آن، رحلة إلى نجد مهد العشائر العربية، ترجمة وتعليق أحمد ايش، دار الثقافة والنشر، دمشق، ط1، 2005م.
- 23 - بوبس، أحمد، حي الميدان الدمشقي تاريخه وتطوره، الهيئة العامة السورية للكتاب وزارة الثقافة، دمشق، 2014م.
- 24 - بيرتون، رتشارد، رحلة بيرتون إلى مصر والحجاز، ترجمة وتعليق عبد الرحمن عبد الله الشيخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1994م.
- 25 - بوركهات، جون لويس، ملاحظات عن البدو والهوايين، ترجمة وتعليق عبد الله الصالح العثيمين، الرياض، دار الملك عبد العزيز، 1434هـ.
- 26 - بوركهات، جون لويس، رحلات في سورية والأراضي المقدسة، ترجمة شاهر حسن عبيد، دمشق، دار الطليعة الجديدة، ط1، 2007م.
- 27 - بوركهات، جون لويس، رحلات إلى شبه الجزيرة العربية، ترجمة هتاف عبد الله، بيروت، دار الانتشار العربي ط1، 2005م.
- 28 - تايلور، بايارد، الترحال في جزيرة العرب، ترجمة رنا جزائري، أبو ظبي، دار الكتب الوطنية، ط1، 1433هـ/ 2012م.

- 29 - الثنيان، محمد بن ثنيان، نجد بين معركتين، مجلة جامعة الملك عبد العزيز، الآداب والعلوم الإنسانية، م11، 1421هـ/ 2001م.
- 30 - الجاسر، حمد، معجم قبائل المملكة العربية السعودية، النادي الأدبي في الرياض، ط1، 1401هـ - 1981م
- 31 - الجاسر، حمد، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، شمال المملكة، الرياض، دار اليمامة، د.ت.
- 32 - الجاسر، حمد، جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد، الرياض، دار اليمامة، ط3، 1421هـ/ 2001م.
- 33 - الجاف، حسن كريم، موسوعة تاريخ إيران السياسي، بيروت، الدار العربية للموسوعات، ط1، 1428هـ/ 2008م.
- 34 - جبر، يحيى عبد الرؤوف، شمال شبه الجزيرة في مصنفات الرحالة، الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية، الرياض، دار الملك عبد العزيز 1424هـ.
- 35 - جنيدل، سعد بن عبد الله، بلاد الجوف أو دومة الجندل، دار اليمامة، ط1، 1401هـ/ 1981م.
- 36 - الجهني، عويضة بن متيريك، نجد قبل حركة الإصلاح السلفية، بالتعاون مع مؤسسة الملك عبد العزيز للبحوث والأرشيف، كتاب الإلكتروني. (الكتاب مطبوع باللغة الإنكليزية بعنوان: نجد قبل الدعوة الإصلاحية السلفية، الرياض، دار الملك عبد العزيز، 2001م).
- 37 - الحربي، مبارك محمد المعبدي، محاضرات في تاريخ المملكة العربية السعودية، جامعة الملك عبد العزيز، ط1، 1429هـ/ 2008م.
- 38 - حسني، حسن، مذكرات ضابط عثمان في نجد - الأوضاع العامة في منطقة نجد، ترجمة وتعليق سهيل صابان، بيروت، ط1، 2003م.

- 39 - الحقييل، عبد الله بن حمد، توحيد المملكة العربية السعودية وأثره في النهضة العلمية والاجتماعية، الرياض، مكتبة العبيكان، ط2، 1420هـ/2000م.
- 40 - الحلو، عبد الفتاح محمد، ديوان ابن المقرب تحقيق وشرح، الأحساء، ط2، 1408هـ/1988م.
- 41 - الحلو، عبد الله، تحقيقات تاريخية لغوية في الأسماء الجغرافية السورية، بيروت، بيسان للنشر، ط1، 1999م.
- 42 - الحليسي، نواف بن صالح، عصر العقيلات، 1417هـ، دون نشر.
- 43 - الحماد، حمد عبد الله سلطان، حكم محمد العبد الله بن رشيد، جامعة الملك سعود، رسالة ماجستير، 1425هـ.
- 44 - حمزة، فؤاد، البلاد العربية السعودية، الرياض، مكتبة النصر الحديثة، ط2، 1388هـ/1968م.
- 45 - الحميدة، عبد الله بن عبد العزيز، علي الحميدة آل أبو عليان حياته وشعره 1270/1342هـ، دار الثلوثة، ط1، 1433هـ/2012م.
- 46 - الخضير، علي بن عبد العزيز، علي بن المقرب العيوني حياته وشعره، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1401هـ/1981م.
- 47 - ابن خميس، عبد الله بن محمد، معجم اليمامة، ط1، 1398هـ/1978م.
- 48 - الخويطر، خالد بن سليمان بن علي، كون المليدا ومعركة حريملاء، بيروت، جداول، ط1، 2015م.
- 49 - الخويطر، خالد بن سليمان بن علي، كون الصريف، لبنان، جداول للنشر، ط2، 2014م.
- 50 - داوتي، تشارلز، ترحال في صحراء الجزيرة العربية، ترجمة: محمد حسن مراجعة وتقديم: جمال زكريا قاسم القاهرة، نشر المجلس الأعلى للثقافة، الطبعة الأولى، 2005م.

- 51 - دارة الملك عبد العزيز، المختار من صحيفة أم القرى، 1426هـ.
- 52 - درويش، مديحة أحمد، تاريخ الدولة السعودية حتى الربع الأول من القرن العشرين، جدة، دار الشروق، ط3 1405هـ/ 1985م.
- 53 - الدغثير، دغثير بن عبد الله، المختار من القصص والتاريخ والآثار، دون نشر، ط1، 1416هـ.
- 54 - ديكسون، عرب الصحراء، ط2، دمشق، دار الفكر المعاصر، 1419هـ/ 1998م.
- 55 - ديكسون، هـ. ر.ب. الكويت وجاراتها، تحقيق فتوح عبد المحسن الخترش، الكويت ذات السلاسل، ط3، 1433هـ/ 2012م.
- 56 - الذكير، مقبل بن عبد العزيز بن مقبل، مطالع السعود في تاريخ نجد وآل سعود، خزانة التواريخ النجدية، جمع وترتيب عبد الله بن عبد الرحمن بن صالح آل بسام، ط1، 1419هـ/ 1999م.
- 57 - الرشيد، خالد عبد القادر، موسوعة اللهجة الكويتية، ط1، 2009م، د.ن.
- 58 - الرشيد، ضاري بن فهد، نبذة تاريخية عن نجد، تقديم وتحقيق عبد الله الصالح العثيمين، دارة الملك عبد العزيز، 1419هـ/ 1999م.
- 59 - الركابي، كريم طلال، التطورات السياسية الداخلية في نجد، بيروت، الدار العربية للموسوعات، ط1، 1425هـ، 2004م.
- 60 - الرواف، خليل إبراهيم، صفحات مطوية من تاريخنا العربي الحديث، جدة، الشركة السعودية للأبحاث والنشر، 1414هـ/ 1994م.
- 61 - روسو، لوي جاك، رحلة إلى الجزيرة العربية سنة 1808، ترجمة الأب بطرس حداد، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط1، 1430هـ/ 2010م.

62 - الروقي، عايض بن خزام، حروب محمد علي في الشام وأثرها في شبه الجزيرة العربية 1247 - 1255هـ / 1831 - 1839م، جامعة أم القرى، 1414هـ.

63 - الرويشد، عبد الرحمن بن سليمان، الستون رجلاً خالداً الذكر طليعة استعادة الرياض وتوحيد المملكة، الرياض، دار الشبل، ط2، 1427هـ / 2006م.

64 - الريكي، حسن بن جمال بن أحمد، لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب، تحقيق عبد الله الصالح العثيمين، الرياض، دار الملك عبد العزيز، 1426هـ / 2005م.

65 - الزركلي، خير الدين، الأعلام، بيروت، دار العلم للملايين، ط5، 1980م.

66 - الزعاري، محمد عبد الله، إمارة آل رشيد في حائل، عمان، ط1، 1997م.

67 - آل زلفة، محمد بن عبد الله، مفاوضات الملك عبد العزيز حول الحدود الشمالية والشمالية الغربية للمملكة العربية السعودية في يوميات وتقارير جلبرت كلايتون، الرياض، دار بلاد العرب، ط3، 1435هـ / 2014م.

68 - آل زلفة، محمد بن عبد الله، علاقة عسير والحجاز ونجد واليمن بالإمبراطورية العثمانية 1840 - 1872، الرياض، دار بلاد العرب، ط3، 1435هـ / 2014م.

69 - الزبيدي، مفيد، موسوعة تاريخ المملكة العربية السعودية الحديث والمعاصر، الأردن، دار أسامة للنشر والتوزيع، ط1، 2004م.

70 - ساعاتي، أمين، الحدود الدولية للمملكة العربية السعودية التسويات

- العدالة، القاهرة، المركز السعودي للدراسات الاستراتيجية، ط1، 1412هـ/ 1991م.
- 71 - السالم، لطيفة محمد، الحكم المصري للشام 1831-1841، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط2، 1410هـ/ 1990م.
- 72 - سركو، ماري دكرانو دمشق فترة السلطان عبد الحميد الثاني، وزارة الثقافة، دمشق، 2008م.
- 73 - آل سعود، خالد بن ثنيان، العلاقات السعودية البريطانية، الرياض، مكتبة العبيكان، 1998م.
- 74 - السلطان، محمد بن عبد الله، الأحوال السياسية في القصيم في عهد الدولة السعودية الثانية 1238 - 1309هـ/ 1823 - 1891م، مكتبة الملك فهد، ط2، 1420هـ/ 1999م.
- 75 - السوسي، لورنس الحسن البرهو، قافلة الحج الشامي وآثارها الاقتصادية والاجتماعية في بلاد الشام، جامعة دمشق، رسالة ماجستير، 2007م، د.ن.
- 76 - السويداء، عبد الرحمن بن زيد، عقيلات الجبل، دار الأندلس للنشر والتوزيع، حائل، ط2، 1427هـ/ 2006م.
- 77 - السويداء، عبد الرحمن بن زيد، نجد في الأمس القريب صور وملامح من أطر الحياة السائدة قبل ثلاثين عامًا، دار العلوم الرياض، ط1، 1403هـ/ 1983م.
- 78 - سيستاني، الأب دومينيكو، العراق في رحلة الأب دومينيكو سيستاني في سنة 1781م، ترجمة خالد عبد اللطيف حسين، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 2014م.
- 79 - شامي، يحيى، موسوعة المدن العربية والإسلامية، بيروت، دار الفكر العربي، ط1، 1993م.

- 80 - الشاهين، مازن محمد فايز، أحداث خالدة في تاريخ دير الزور، دير الزور، ط1، 2007م.
- 81 - الشاهين، مازن محمد فايز، تاريخ محافظة دير الزور، دير الزور، دار صائب للنشر والتوزيع، ط1، 2008م.
- 82 - شوحان، أحمد، تاريخ دير الزور، دير الزور، مكتبة التراث، ط1، 1410هـ/ 1989م.
- 83 - شيلشلىر، ليندا، دمشق في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، ترجمة عمرو الملاح ودينا الملاح، دمشق، دار الجمهورية، ط1، 1419هـ/ 1998م.
- 84 - صابان، سهيل، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية، 1421هـ/ 2000م.
- 85 - صالح، نبيل، مجموعة من الباحثين، رواية اسمها سورية، د.ن، ط2، 1428هـ/ 2007م.
- 86 - الصانع، عبد الرزاق عبد المحسن - العلي، عبد العزيز عمر، أمانة الزبير بين هجرتين بين سنتي 979هـ - 1400هـ، الكويت، ط1، 1406هـ/ 1985م.
- 87 - الصويان، سعد العبد الله، الصحراء العربية ثقافتها وشعرها عبر العصور، بيروت، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط1، 1431هـ/ 2010م.
- 88 - الصويان، سعد عبد الله، الشعر النبطي وجذوره الفصيحة، الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية، ط1، 1421هـ.
- 89 - ضناوي، سعدي، المعجم المفصل في المعرب والدخيل، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 2004م/ 1424هـ.

- 90 - طقوش، محمد سهيل، تاريخ الدولة الصفوية في إيران، بيروت، دار النفائس، ط2، 1433هـ/ 2012م.
- 91 - الطنطاوي، علي، ذكريات، جدة، دار المنارة للنشر والتوزيع، ط3، 1421هـ/ 2000م.
- 92 - الطويان، عبد الكريم بن صالح، من أفواه الرواة، الرياض، دار الجسر، ط1، 1410هـ.
- 93 - الطويان، عبد الله بن زايد، رجال في الذاكرة، الرياض، الجريسي للتوزيع، ط1، د.ت.
- 94 - الطويان، عبد الله بن زايد، الحاوي لأشهر الألقاب والعزاوي، توزيع مؤسسة الجريسي، الرياض، 1422هـ.
- 95 - الظاهري، أبو عبد الرحمن بن عقيل، مسائل من تاريخ الجزيرة العربية، دار الأصاله، الرياض، ط4، 1415هـ - 1994م.
- 96 - الظاهري، أبو عبد الرحمن بن عقيل، الشعر النبطي؛ أوزان الشعر العامي، الرياض، مازن للطباعة، 1412هـ.
- 97 - آل عبد المحسن، إبراهيم بن عبيد، تذكرة أولي النهي والعرفان بأيام الله الواحد الديان وذكر حوادث الزمان، الرياض، مكتبة الرشد، ط1، 1428هـ/ 2007م.
- 98 - العبودي، محمد بن ناصر، معجم بلاد القصيم، الرياض، ط2، 1410هـ/ 1990م.
- 99 - العبودي، محمد بن ناصر، معجم أسر بريدة، الرياض، دار الثلوثة للنشر والتوزيع، ط1، 1431هـ/ 2010م.
- 100 - العبودي، محمد بن ناصر، معجم الملابس في المأثور الشعبي، الرياض، دار الثلوثة، 1434هـ/ 2013م.

- 101 - العبودي، محمد بن ناصر، معجم الأنواء والفصول، الرياض، دار
الثلوثة ط 1، 1432هـ/ 2011م.
- 102 - العبودي، محمد بن ناصر، معجم السفر والارتحال، الرياض، دار
الثلوثة ط 1، 1433هـ/ 2012م.
- 103 - العبودي، محمد بن ناصر، معجم الطعام والشراب، الرياض، دار
الثلوثة، ط 1، 1436هـ/ 2015م.
- 104 - العبودي، محمد بن ناصر، كلمات قضت، معجم بألفاظ اختفت
من لغتنا الدارجة أو كادت، الرياض، دار الملك عبد العزيز، ط 1،
1423هـ.
- 105 - العبودي، محمد ابن ناصر، معجم الكلمات الدخيلة في لغتنا
الدارجة، الرياض، مكتبة الملك عبد العزيز، 1426هـ.
- 106 - العبيد الله، ناصر بن علي، رحيلة عزيزة في ذاكرة الشيخ علي العبيد
الله، الرياض، ط 1 1433هـ/ 2012م.
- 107 - عثمان، هاشم، تاريخ سورية الحديث، بيروت، دار الريس، ط 1،
2012م.
- 108 - العثيمين، عبد الله الصالح، تاريخ المملكة العربية السعودية،
الرياض، دار الملك عبد العزيز، 1419هـ/ 1999م.
- 109 - العثيمين، عبد الله الصالح، نشأة إمارة آل رشيد، جامعة الرياض،
ط 1، 1401هـ/ 1981م.
- 110 - العثيمين، عبد الله الصالح، معارك الملك عبد العزيز المشهورة
لتوحيد البلاد، مكتبة الملك فهد الوطنية، ط 3، 1419هـ/ 1998م.
- 111 - العثيمين، عبد الله الصالح، الشيخ محمد بن عبد الوهاب حياته
وفكره، الرياض، دار العلوم، دون تاريخ.

- 111 - العثيمين، عبد الله الصالح، تأملات في التاريخ والفكر، النادي الأدبي بالرياض، ط1، 1430هـ/ 2010م.
- 112 - العريفي، فهد العلي، حائل، الرئاسة العامة لرعاية الشباب، الرياض، ط2، 1408هـ/ 1988م.
- 113 - العريفي، أحمد الفهد، مقامات حائلية، الرياض، 1431هـ.
- 114 - العطار، عدنان، الدولة العثمانية من الميلاد إلى السقوط، دمشق، دار وحي القلم، ط1، 1427هـ/ 2006م
- 115 - علي، محمد كرد، خطط الشام، دمشق، مكتبة النوري، ط2، 1403هـ/ 1983م.
- 116 - أبو عليّة، عبد الفتاح حسن، الدولة السعودية الثانية 1256 - 1309هـ/ 1840-1891م، الرياض، دار المريخ، ط4، 1411هـ/ 1991م.
- 117 - عمر، عمر عبد العزيز، تاريخ المشرق العربي (1516 - 1922)، بيروت، دار النهضة العربية، د.ت.
- 118 - العمري، صبحي، ميسلون نهاية عهد، لندن، رياض الريس للنشر، ط1، 1991م.
- 119 - العوني، محمد العبد الله، ديوان الشاعر، جمع وترتيب وتفسير عبد الله الخالد الحاتم، الكويت، ذات السلاسل ط1، 1404هـ/ 1984م.
- 120 - عوض، عبد العزيز محمد، الإدارة العثمانية في ولاية سورية 1864 - 1914م، مصر، دار المعارف، 1969م.
- 121 - العيسى، محمد الفهد، الدرعية قاعدة الدولة السعودية الأولى، الرياض، مكتبة العبيكان، ط1، 1415هـ/ 1995م.
- 122 - ابن عيسى، إبراهيم بن صالح، عقد الدرر فيما وقع في نجد من الحوادث في آخر القرن الثالث عشر وأول الرابع عشر، تحقيق

عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ، الرياض، دار الملك عبد العزيز، 1419هـ/ 1999م.

123 - ابن عيسى، إبراهيم بن صالح، تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ووفيات بعض الأعيان وأنسابهم وبناء بعض البلدان (من 700هـ إلى 1340هـ)، أشرف على طبعه: حمد الجاسر، الرياض، منشورات دار اليمامة، ط 1، 1386هـ/ 1966م.

124 - ابن غنام، حسين، تاريخ نجد، تحقيق ناصر الدين الأسد، بيروت، دار الشروق، ط 3، 1414هـ/ 1994م.

125 - فائق بك، سليمان، تاريخ بغداد، ترجمة، موسى كاظم نورس، بيروت، الرافدين للطباعة والنشر، ط 1، 2010م.

126 - فائق بك، سليمان، عشائر المنتفق، بيروت، الدار العربية للموسوعات، ط 1، 1424هـ/ 2003م.

127 - الفاخري، محمد بن عمر، تاريخ الفاخري، دار الملك عبد العزيز، 1419هـ/ 1999م.

128 - فاسيلييف، أليكسي، تاريخ العربية السعودية، بيروت، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ط 3، 2010م.

129 - فالين، جورج أوغت «عبد الولي»، رحلات فالين إلى جزيرة العرب، ترجمة سمير سليم شبلي، بيروت، شركة دار الوراق، ط 2، 2009م.

130 - الفيصل، عبد العزيز بن محمد، شعراء بني عقيل وشعرهم، شركة العبيكان للطباعة والنشر، الرياض، ط 1، 1408هـ.

131 - القاضي، محمد بن عثمان بن صالح، روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين، الرياض، دار الثلوثة، 1424هـ/ 2013م.

- 132 - القحطاني، فاطمة بنت حسين، حملة إبراهيم باشا على الدرعية وسقوطها، الرياض، دار الملك عبد العزيز ط1، 1431هـ/ 2010م.
- 133 - القشعبي، محمد عبد الرزاق، معتمدو الملك عبد العزيز في الخارج، بيروت، الانتشار العربي، ط1، 2015م.
- 134 - كشك، محمد جلال، السعوديون والحل الإسلامي، د. ن، ط1402، 3هـ/ 1982م.
- 135 - كمنز، ديفيد، الدعوة الوهابية والمملكة العربية السعودية، ترجمة: عبد الله إبراهيم العسكر، بيروت، جداول للنشر، ط2، 2013م.
- 136 - لورنس، توماس إدوارد، أعمدة الحكمة السبعة، ترجمة محمد نجار، عمان، الأهلية للنشر، ط1، 1998م.
- 137 - لوريمر، ج. ج، دليل الخليج، ترجمة مكتب أمير دولة قطر، مؤسسة العلوم للطباعة والنشر، الدوحة، د.ت.، القسم التاريخي، القسم الجغرافي.
- 138 - لونكريك، ستيفن هيمسلي، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ترجمة جعفر خياط، بغداد، ط4، 1388هـ/ 1968م.
- 139 - لينكة، دورتيا فون (الكونتيسة مالمينياتي، رحلة إلى المدينة المنورة عبر قلب البادية، ترجمة محمد سعيد مزهر، أبو ظبي، دار الكتب الوطنية، ط1، 1432هـ/ 2011م.
- 140 - المارك، فهد، محمد العوني تاريخ جيل وحياة رجل، تحقيق محمد عبد الله المشوح، الرياض، دار الثلوثة، ط1، 1433هـ/ 2012م.
- 141 - المانع، عبد الرحمن عبد العزيز، معجم الكلمات الشعبية في نجد، ط1، 1418هـ، د.ن.

- 142 - المانع، محمد، توحيد المملكة العربية السعودية، ترجمة عبد الله الصالح العثيمين، ط2، 1415هـ، د.ن.
- 143 - المختار، صلاح الدين، تاريخ المملكة العربية السعودية في ماضيها وحاضرها، بيروت، منشورات دار مكتبة الحياة، د.ت.
- 144 - المدني، أمين بن حسن الحلواني، مختصر مطالع السعود بطيب أخبار الوالي داود، تحقيق محب الدين الخطيب، القاهرة، المطبعة السلفية، 1371 هـ.
- 145 - المسلم، إبراهيم، رجال من القصيم، القاهرة، الدار الثقافية للنشر، ط1، 1423هـ/2002م.
- 146 - المسلم، إبراهيم، رحلتي مع العقيلات، الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون، الرياض، ط2، 1408هـ/1988م.
- 147 - المسلم، إبراهيم، العقيلات، مصر، الدار الثقافية للنشر، ط3، 1427هـ/2006م.
- 148 - المسند، عبد العزيز، سفينة الصحراء، جدة، تهامة للنشر، ط1، 1406هـ/1985م.
- 149 - المعارك، إبراهيم بن عبد العزيز، بريدة ماضٍ مجيد وحاضر مزهر ومستقبل مشرف، الرياض، شركة العبيكان ط2، 1407هـ.
- 150 - المعارك، إبراهيم بن عبد العزيز، أعلام القصيم الرياض، ط1، 1415هـ.
- 151 - المعاضيدي، خاشع، دولة بني عقيل في الموصل، بغداد، مطبعة شفيق، 1968م.
- 152 - معيوف، محمد معاضة، المجامر القديمة في تيماء، الرياض، دار الملك عبد العزيز، 1430هـ/2009م.

- 153 - مغربي، محمد علي، أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر للهجرة، جدة وتهامة للنشر، ط1 1404هـ/ 1984م.
- 154 - ابن منظور، أبي الفضل جمال الدين بن محمد، لسان العرب، دار صادر، بيروت، د.ت.
- 155 - موزيل، ألويس، آل سعود دراسة في تاريخ الدولة السعودية، ترجمة سعيد فايز السعيد، بيروت، الدار العربية للموسوعات، ط1، 1424هـ/ 2003م.
- 156 - موزيل، ألويس، عبر التاريخ المعاصر لشبه الجزيرة العربية، ترجمة محمود كبيبو، لندن، دار الوراق، ط1 2007م.
- 157 - موزيل، ألويس، أخلاق الرولة وعاداتهم، ترجمة وتعليق محمد بن سليمان السديس، الرياض، مكتبة التوبة ط2، 1417هـ/ 1997م.
- 158 - موزيل، ألويس، في الصحراء العربية، ترجمة رزق الله بطرس، بيروت، شركة دار الوراق، ط1، 2011م
- 159 - النجدي، محمد البسام التميمي، الدرر المفآخر في أخبار العرب الأواخر (قبائل العرب)، تحقيق سعود بن غانم الجمران العجمي، الكويت، ط2، 2010م.
- 160 - النعيمي الدمشقي، عبد القادر، الدارس في تاريخ المدارس، إعداد وتقديم: عماد محمد النهار، دمشق، وزارة الثقافة، الهيئة العامة السورية للكتاب، ط1، 2014م.
- 161 - هويرر، شارل، رحلة في الجزيرة العربية الوسطى 1878 - 1882، ترجمة أليسار سعادة، بيروت، ط1، 2003.
- 162 - الهويميل، حسن بن فهد، بريدة، الرئاسة العامة لرعاية الشباب، ط2، 1408هـ/ 1988م.

- 163 - هيس، جوهان جاكوب، بدو وسط الجزيرة العربية، ترجمة محمد كيبو، بيروت، دار الوراق، ط1.
- 164 - وايندر، ريتشارد بايلي، المملكة العربية السعودية في القرن التاسع عشر الميلادي، ترجمة إدارة البحوث والنشر بدار الملك عبد العزيز، مراجعة فهد عبد الله السماري، دار الملك عبد العزيز، 1434هـ.
- 165 - الوليعي، عبد الله بن ناصر، الشماسية، ط1، الرياض، 1410هـ.
- 166 - الوليعي، عبد الله بن ناصر (مترجم)، مجموعة من الباحثين، معجم البلدان والقبائل في شبه الجزيرة العربية والعراق وجنوبي الأردن وسيناء، الرياض، دار الملك عبد العزيز، 1435هـ/ 2014م.
- 167 - جوهبة، حافظ، خمسون عامًا في جزيرة العرب، دار الآفاق العربية، ط1، 1421هـ/ 2001م.
- 168 - ياسين، يوسف، يوميات الدبدبة، أعدها للنشر وعلق عليها قاسم بن خلف الرويس، لبنان، جداول للنشر والتوزيع، ط2، 2013م.
- 169 - بني يونس، مأمون أصلان، قافلة الحج الشامي في شرقي الأردن في العهد العثماني 1516 - 1918، الأردن، حمادة للنشر والتوزيع، ط1، 2011م.

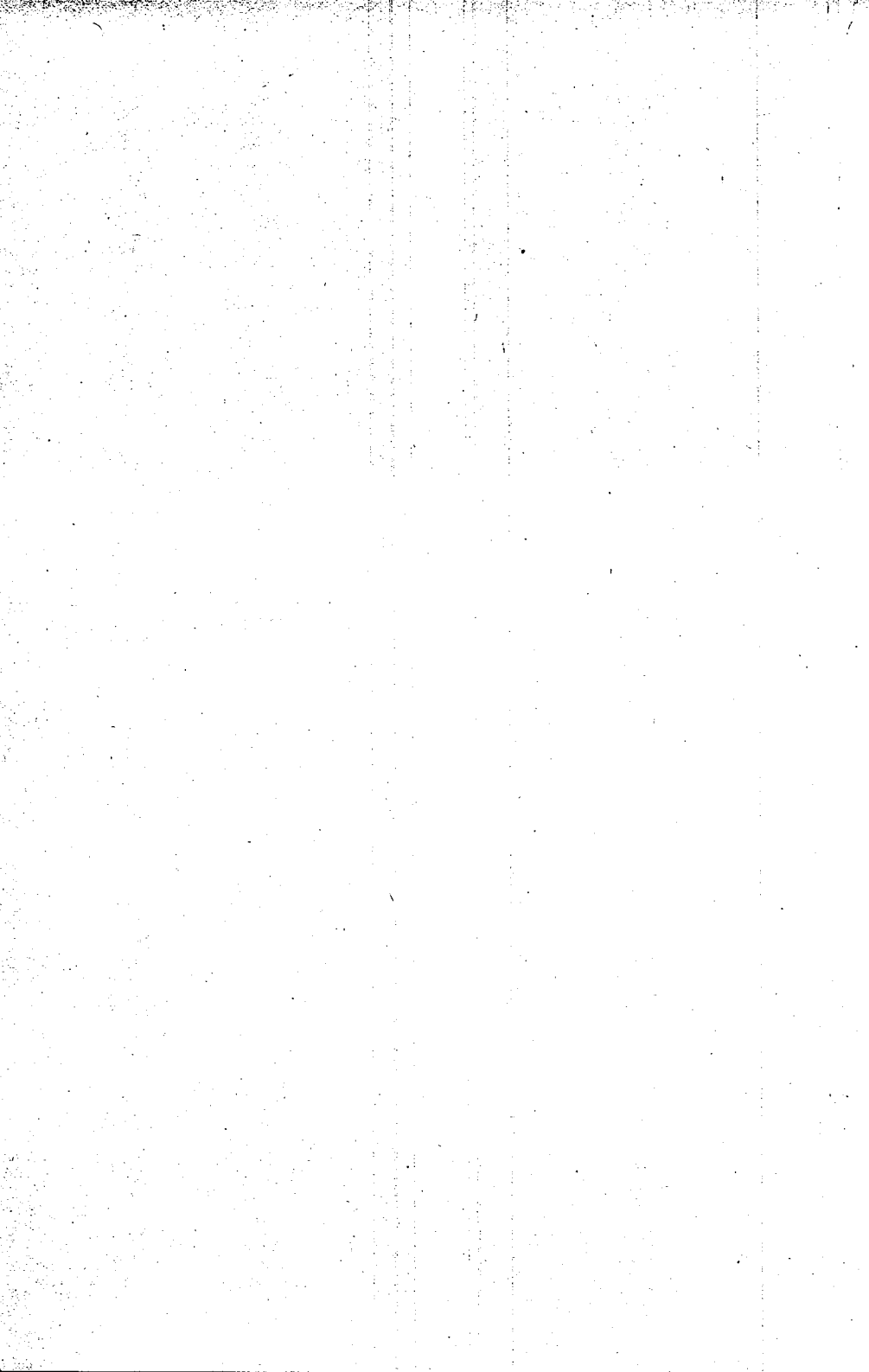
الدوريات

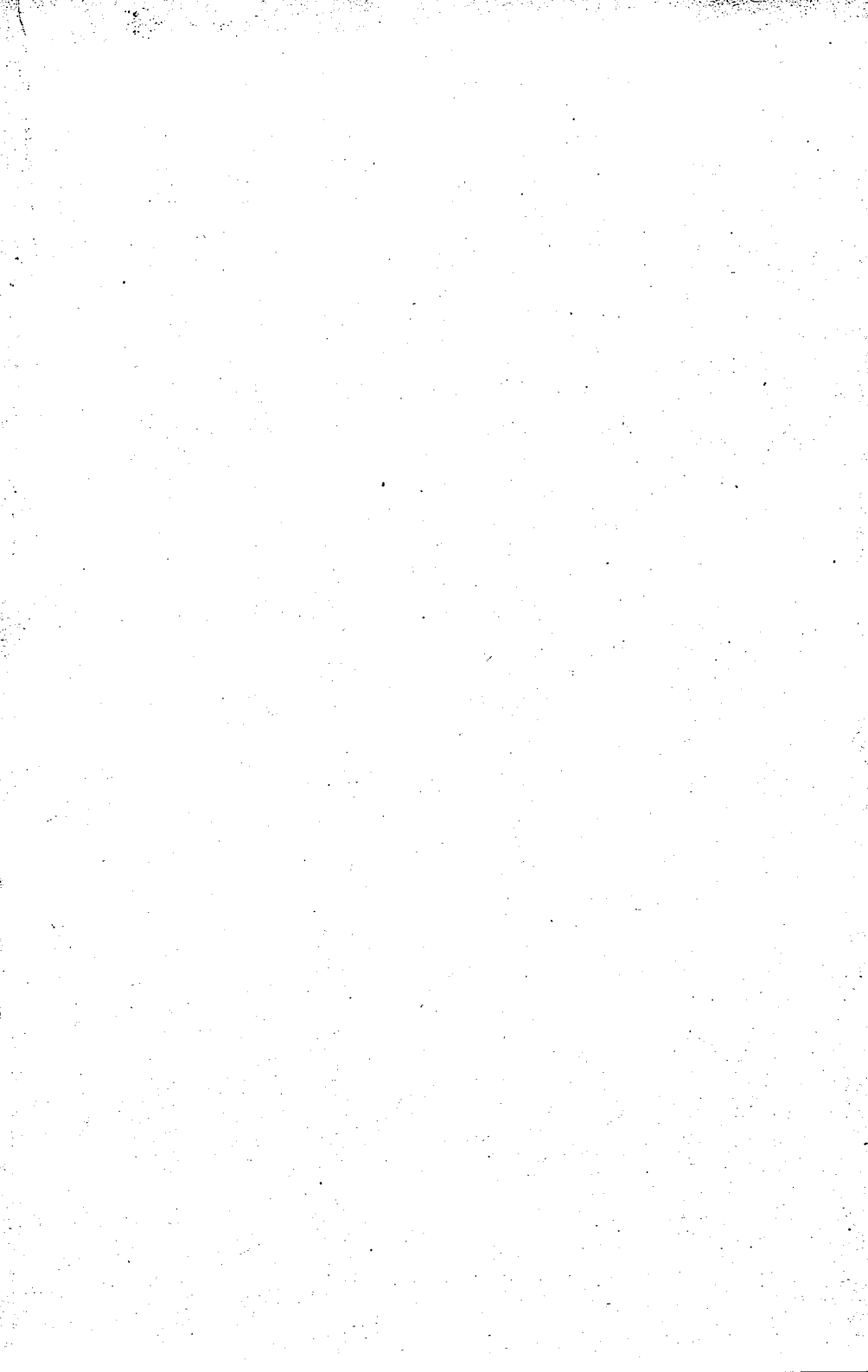
- 1 - الجاسر، حمد، من ذكريات الرحلات، مجلة العرب، س13، ج5 و6، 1398هـ.
- 2 - الدخيل، سليمان، مجلة لغة العرب، السنة الأولى، ج1.
- 3 - السعدون، خالد حمود، مقاومة القبائل لسكة حديد الحجاز الحميدية، مجلة دار الملك عبد العزيز، السنة 14، 1409هـ.

- 4- الشاذلي، ياسر، صحيفة الحياة، الأحد 4 نوفمبر 2001.
- 5- الشرعة، إبراهيم فاعور، موقف القبائل البدوية من قافلة الحج الشامي والخط الحديدي الحجازي، مجلة دار الملك عبد العزيز، ع4، السنة 31، 1426هـ.

مواقع الانترنت

- 1- الشرعان، نايف عبد الله، لمحة عن تطور النقود والنظام النقدي في المملكة العربية السعودية، منتدى وزان للعملات.
- 2- موقع مؤسسة النقد العربي السعودي، النقود المتداولة قبل سك النقد العربي السعودي.
- 3- الوهبي، عبد اللطيف، موقع العقيلات.





العقيلات في سورية



| الكتاب |

هذه دراسة تاريخية موثقة تسلط الضوء على جماعة (العقيلات في سورية) والأدوار التي أدّوها خلال ترحالهم في بلاد نجد والمدن السورية.

تناول الكتاب أسباب تسميتهم بـ (العقيلات) وأصول هذه الجماعة وبدايات ظهورهم وتكويناتهم، والمدن السورية التي انتشروا أو استقروا فيها كجماعة تجار.

عمل (العقيلات) في المتاجرة بالمواشي من إبل وخيل كانت تشكل عصب الحياة، كما اشتهروا منذ القدم بالحراسة ودلالة القوافل ونقل حجاج بيت الله الحرام، لما عرف عنهم من معرفة جيدة بالطرق.

استند البحث على العديد من المصادر الموثوقة والنادرة في تاريخ هذه الجماعة وعلى الرجوع إلى مراجع هامة في التاريخ النجدي لتدوين بعض الأحداث التي صاحبت (العقيلات). ولم يغفل البحث تتبع المصادر الأجنبية وكتب الرحلات إلى الجزيرة العربية لما يتوفر فيها من ملاحظات هامة ودقيقة عن تاريخ الجزيرة خلال فترة الدراسة.

ISBN 978-614-418-347-2



9 786144 183472

جداول 
www.jadawel.net